قال سليم قلت ياسلمان
هل دخلوا ولم يك استئذان
فقال: إي وعزة الجبّار
ليس على الزهراء من خمار

المظلومة الشهيدة

ملف خاص

عن سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام

قصيدة: مولد الزهراء عليها السلام/ سلمان هادي آل طعمة..... ٤

كتاب سُليم بن قيس الهلالي محنة كاتب أم محنة كتاب؟!/ السيد محمد علي الحلو..... ٦

قراءة فنية في خطبة الزهراء عليها السلام/ م. م. عباس الفحام..... ١٤

الحجاب الإسلامي ودور المرأة في بناء المجتمع/ السيد محمود المقدس الغريفي..... ١٨

البضعة المحمدية في كتاب خصائص الفاطمية/ هاشم حسين ناصر المحنك..... ٢٥

قصيدة: وقفت وفي حلقي شجىً/ السيد مدين الموسوي..... ٣٢

الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقي/ د. حسن الحكيم..... ٣٤

مولد الزهراء عليها السلام

• شعر:
سلمان هادي آل طعمة

مَرحى بإِشراقِ السَّنى الوَضّاءِ غَمرَ الحياةَ برونقٍ وبهاءِ
وَأطلَّ كالألقِ المنيرِ مُرتلاً آياته بالحمدِ وَالنعماءِ
ذِكرى تطلُّ عزيزة وَكأنها شمسُ الضُحى تفتر بالأضواءِ
فبكلِّ قلبٍ نَشوة وَمسرة وبكلِّ بيتٍ فرحة للقاءِ
والشوقُ يسرج كل قلبٍ هائم نوراً يفيضُ بعزةٍ قعساءِ

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الليلُ يوغرُ بالمسيرِ كأنهُ شلاّل ضوءٍ فاضَ بالأرواءِ
وتألقتْ مكة فجأة بمحاسنِ الأنوارِ وَالأبهاءِ
والطيرُ من شوقٍ يزغردُ حالماً مثلَ انهمارِ الديمةِ الوَطفاءِ
فإذا القلوبُ الواجماتُ ترنحتْ سكرى بطيبِ الجنةِ الفَيحاءِ

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

بشرى بفاطمةَ سليلة أحمدٍ فخر النساءِ ونخبة العلياءِ

ما أروعَ الذكرى تفيضُ بشاشةً وَهوى يفوحُ كنسمةٍ عذراءِ!!
هبطتْ عَلى الدُنيا مكارم جمة بالفضلِ تعلو هامةَ الجـوزاءِ
يا بنتَ خير الأنبياءِ وَموئلاً للعزِ للتقوى ونبع عطاءِ
كم من يدٍ لكِ بالندى مشهودة تجتاحُ كلَّ جرائرِ الدُخلاءِ؟

* * * * *

لـكِ مثلما لمحمدٍ وقفاته تهدي الورى للشرعةِ السمحاءِ
سلبوكِ إرْثـاً وهوَ ملك محمدٍ (فـدك) غدا نهباً إلى اللؤماءِ
وَعدا عليكِ المشركونَ وَأنهم من ظلمِهِم جبلوا على الأرزاءِ
أوَلـمْ تكوني قـدوةً لنسائِنا وملاذ كل الإنسِ من حوّاءِ؟

* * * * *

يا دوحةَ الشرفِ العظيمِ مضيئة وَمـنـارة لـلـهـمـةِ الـشـماءِ
تاريخكِ الوضّاء نـورٌ مشرقٌ مـتـألـقٌ في الليلةِ الظلماءِ
مـازالَ فينا ساطِعاً متوهّجاً يجلو ظـلامَ دجـنـةٍ سـوداءِ
ذكـراكِ سفرٌ للمآثرِ والإبـا يهـدي الـوَرى لمحجةٍ غـرّاءِ
ميلادكِ المعطارُ مصدرُ رحمةٍ سيظلُ رمـزَ مـودةٍ وَإخـاءِ

* * * * *

كتاب سُليم بن قيس الهلالي..
محنة كاتب أم محنة كتاب؟!

• السيد محمد علي الحلو
باحث وكاتب إسلامي

ينابيع كان سليم بن قيس الهلالي قد أدرك خطورة المرحلة التي يعيشها، وأدرك أن أعداء أهل البيت عليهم السلام لم تقتصر مهامهم على التصفية الجسدية التي تطال أشخاصهم بل ستعمد هذه التصفيات إلى تغييب تاريخ أهل البيت عليهم السلام ومحاولة مسخه، ولعل ما أعلنه أعداءهم من محاولة القضاء على فكر أهل البيت دعا سليم بن قيس أن يعيد النظر في تعاطيه مع الأحداث التي يعيشها...

كانت ظروفاً حرجة، وأحداثاً تستفز فيها قرائح الغيور أن يعبر عما تعتمله نفسه من وجدان...

كان سليم يعيش حالة الحظر على الحقائق التي تمارسها السلطة الحاكمة، حيث مصادرة الحدث، وتشويه الحقائق، حينما أحظر تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ومنعه من قبل الحاكم فما بالك بتسجيل الوقائع والأحداث حيث تنقل إلى أجيال بعد مئات السنين؟

كان سليم يخفي هذا الوجدان ولكنه لم يأبه بتعليمات السلطة، فالإعلام المكتوم كان برنامجاً حكومياً ارتكبته العصابات الحاكمة، والتستر عل مجريات الأحداث أمر يطغى على المعطيات السياسية لتلك الفترة.

وكان سليم بن قيس يشعر بعظم المسؤولية وخطورة الأمر إذا ما هو تغافل على تسجيل الأحداث وحاول إمرارها-ولو في الفترة الحرجة لمنع تدوين الحديث - أن يحملها بكل تفاصيلها ليقدمها إلى الأجيال التي أخفي عليها الكثير.

إذن كانت صحافة سليم بن قيس أرشفة لمجريات عقد من الزمان لا يقوى أحد أن يتحدث أو يتساءل عما جرى لأهل البيت عليهم السلام ، وكماشة السلطة تطبق بفكيها على حقوقهم فضلاً عن أشخاصهم التي تتعرض إلى شتى أنواع القتل والتنكيل.

كان سليم قد سجل مشاهداته في كتابه وأرشف أحداثه في أحاديث لم تتعد عن المشاهدة فضلاً عن السماع عن المعصوم، فكان دقيقاً جداً إذ لم يسجل في كتابه إلا ما سمعه من المعصوم أو ما شاهده عياناً فمثلاً يقول: وليس منها حديث أسمعه من أحدهم إلا سألت عنه الآخر حتى اجتمعوا عليه..[1] وفي رواية أخرى تثبت تأكده عما سمعه بقوله: قلت لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن ومن الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم...[2]

وقوله: فحدثت أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة بما حدثني به سلمان وأبو ذر والمقداد... إلى آخر الرواية[3]....

من هنا اكتسب كتاب سليم بن قيس أهمية قصوى على الصعيد العلمي وشهد بصحته جهابذة العلم وثقاة الطائفة وأجلة الأصحاب حتى أنه لم ينل كتاب من الحظوة والتقدير والاحترام كما ناله كتاب سليم، ولعل في شهادات علمائنا على عظمة كتاب سليم أمراً يفوق تصور الثناء والتبجيل وقد استحق ذلك لكونه أول مشروع يكون شاهداً على أحداث فترة بعيد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله الحرجة على أهل البيت عليهم السلام وعلى شيعتهم.

ولسنا نغفل عن توثيقات الأئمة أنفسهم لهذا الكتاب مما حدى بعلمائنا أن يتعاطوا مع هذا الكتاب بأسلوب يختلف عن تعاطيهم مع الكتب الأخرى وسنجد هذه التوثيقات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام تدلل على عظمة الكتب واكتسابه صفة الوثاقة المطلقة التي لا يتخللها أدنى احتمال تضعيف أو سبب للتشكيل.

وإليك بعض توثيقاتهم عليهم السلام لهذا الكتاب:

أولاً: الإمام زين العابدين[4]

عن أبان قال: فحججت من عامي ذلك فدخلت على علي بن الحسين عليه السلام وعنده أبو الطفيل بن وائلة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وكان من خيار أصحاب علي عليه السلام ، ولقيت عنده عمر بن أبي سلمة ابن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله.

فعرضته ـ يعني: كتاب سليم ـ عليه وعلى أبي الطفيل وعلى علي بن الحسين عليهما السلام ذلك أجمع ثلاثة أيام ـ كل يوم إلى الليل ـ ويغدو عليه عمر وعامر، فقرأه عليه ثلاثة أيام فقال عليه السلام لي: (صدق سليم رحمه الله هذا حديثنا كله نعرفه، وقال أبو الطفيل وعمر بن أبي سلمة: ما فيه إلا وقد سمعناه من علي صلوات الله عليه، ومن سلمان ومن أبي ذر ومن المقداد[٤].

ثانياً: الإمام محمد الباقر[٤]

في حديث رواه سليم بن قيس في كتابه فعرضه على علي بن الحسين عليهما السلام فأقره، ثم قرأه أبان على محمد بن علي عليهما السلام فصدقه.

قال أبان فحججت بعد موت علي بن الحسين عليهما السلام فلقيت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام فحدثته بهذا الحديث كله لم أترك منه حرفاً واحداً. فاغرورقت عيناه، ثم قال: صدق سليم قد أتاني بعد أن قتل جدي الحسين عليه السلام وأنا قاعد عند أبي فحدثني بهذا الحديث بعينه، فقال له أبي: صدقت، قد حدثك أبي بهذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ونحن شهود...[٥].

ثالثاً: جعفر بن محمد الصادق[٤]

روى العلامة المامقاني عن الإمام الصادق عليه السلام في شأن كتاب سليم بن قيس قال: من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس الهلالي فليس عنده من أمرنا شيء، ولا يعلم من أسبابنا شيئاً، وهو أبجد الشيعة وهو سر من أسرار آل محمد...[٦].

هذا ما نقله التاريخ عن اهتمام أئمة أهل البيت عليهم السلام بكتاب سليم وكونه أصل من أصول حديثهم، ومنبع من منابع علومهم حتى صار هذا التوثيق يأخذ مناحي عدة في كلمات علمائنا رضوان الله عليهم.

فقد وصف بأنه أول ما كتب في تاريخ أهل البيت عليهم السلام، وهذا يعني أن التاريخ الوثائقي كان على يد سليم بن قيس، وأرشفة الأحداث والوقائع التي وقعت بعيد وفاة النبي صلى الله عليه وآله كانت من اهتمامات سليم بن قيس وعلى هذا فيحق لنا أن نسميه (برجل التاريخ) و(المؤرخ الوثائقي) و(ورائد التدوين) وهذه شهادة علمائنا رضوان الله عليهم في هذا الشأن:

١ـ المحدث القمي قال في الكنى والألقاب: هو أول كتاب ظهر للشيعة معروف بين المحدثين[٧].

٢ـ أن كتاب سليم بن قيس الهلالي الذي يبتغي أن يقال في شأنه أنه أقدم وأفضل من جميع كتب الإمامية كما اعترف به المجلسي في مجلد الفتن من البحار...[٨].

٣ـ العلامة السيد الخونساري محمد باقر قال في روضات الجنات: أما كتابه ـ أي كتاب سليم ـ المشار إليه فهو أول ما صنف ودون في الإسلام وجمع فيه الأخبار[٩].

٤ـ السيد شهاب الدين المرعشي النجفي في هامش إحقاق الحق قال: هو من أقدم الكتب عند الشيعة...[١٠].

إضافة إلى ما ذكره السبكي في كتابه محاسن الرسائل في معرفة الأوائل: أن أول كتاب صنف للشيعة هو

كتاب سليم بن قيس الهلالي[11].

هذا شأن الكتاب الرائد في مجال تدوين التاريخ، إلا أننا لا نغفل عن كلمات الثناء من قبل العلماء في عظمة الكتاب واعتباره من الأصول الأوائل المعتبرة.

١ـ السيد جمال الدين بن طاووس قال في كتابه حل الإشكال على ما حكاه عنه صاحب المعالم في التحرير الطاووسي: تضمن الكتاب ما يشهد بشكره وصحته كتابه[12].

٢ـ العلامة محمد تقي المجلسي قال في روضة المتقين: أن الشيخين الأعظمين حكما بصحة كتابه، مع أن متن كتابه دال على صحته[13].

٣ـ العلامة السيد مصطفى التفريشي قال في نقد الرجال: والصدق مبين في وجه أحاديث هذا الكتاب من أوله إلى آخره[14].

٤ـ الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي قال في كتاب الغدير بعد كلامه عن كتاب سليم: وإنما ذكرنا هذا الإجمال لتعلم أن التعويل على الكتاب مما تسالم عليه الفريقان وهو الذي حدانا إلى النقل عنه في كتابنا هذا[15].

٥ـ السيد محمد صادق بحر العلوم قال في مقدمته على كتاب سليم: قد حقق هؤلاء الأعاظم صحة نسبة الكتاب إلى سليم وأنه معتبر غاية الاعتبار وأخباره صحيحة موثوق بها... فإذن الكتاب لا شبهة فيه ولا ريب يعتريه[16].

قصة الكتاب:

تمثل قصة انتقال كتاب سليم إلى أبان ومن ثم إلى ابن أذينة وبعده تناقلته الأجيال من جيل إلى جيل، تمثل هذه المراحل المعاناة التي تعرض لها أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، كما أنها تمثل المحنة التي عاشها الكتاب وهو يعيش مخاضات مرحلة حبلى بالتحديات لفكر أهل البيت عليهم السلام وحقوقهم.

كان سليم قد أودع مشاهداته لفترة ما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في كتابه، وكان كتابه هذه خزانة أحداث هائجة بالتصفيات الفكرية فضلاً عن التحديات السياسية التي يعانيها أهل البيت عليهم السلام، وقد مثل أبشع صورة الحجاج بن يوسف الثقفي الصنيعة المروانية الذي لاحق شيعة علي عليه السلام بأسلوب يتنافى والقيم الإنسانية فضلاً عن الدينية وسعى إلى تصفيتهم بشكل لا يدع الشك باستخدام أسلوب القتل الجماعي الذي مارسه الحجاج طيلة فترة حكمه.

وكان ممن طالتهم ملاحقة الحجاج هو سليم بن قيس الهلالي حتى دعته ينتقل من بلد إلى بلد حاملاً كتابه الذي يعتبره وديعة لا يمكن التفريط بها دون أن يبوح بسره هذا، ودعته الملاحقة للإنتقال إلى بلاد فارس والإقامة في مدينة (نوبندجان) القريبة من شيراز، وكانت المصادفة السعيدة أو قل الرعاية الإلهية أن تهيء لقاءً غير مرتقب بين المهاجر سليم بن قيس الكوفي وبين شاب يتطلع إلى الحقيقة متحرراً من تقليدية الفكر الموروث الذي أخذه إلى مجاهل لا يجد فيها ضالته، كان أبان بن أبي عياش متطلعاً لمعرفة الحق وكان سليم يراقبه عن كثب ولم تمنع سنواته المبكرة أن يرشحه سليم لأخطر مهمة،

المظلومة الشهيدة

وهي مهمة حفظ الأمانة وحمل الوديعة التي طورد من أجلها سليم وآلاف مثل سليم.

وكان أبان ذو فكر ثاقب وحرية معرفية يستشعرها حين يطلب من سليم أن يملي عليه مشاهداته في ذلك اليم العصيب الذي انقض على الحق وأهله فكان أبان يسأل سليماً عن مجريات التاريخ وكان سليم يرى في أبان ذلك الأنموذج الذي يقرأ فيه ثورة فكرية عارمة، فكان يحدثه عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وأمثالهم وكان يغمره بحقائق ما جرى، وأبان يتلقى الحقائق بكل شوق ولهفة ويتزود من علوم سليم ما يظن بها على غير أبان.

وحين بلغ أبان مبالغ المعرفة والتفقه في أمر آل محمد صلوات اله عليهم كان سليم يدرك أن أبان هو صاحب الأمانة التي سيتلقاها قريباً بعيد موته، فلما أحسن سليم بنزول الموت فيه دعا أباناً إلى تحمل المسؤولية في حمل كتابه فقد جرب ما في أبان من التطلع إلى المعرفة وقد سمع أبان ما في كتاب سليم حين حدثه بمحتويات الكتاب وأخذ عليه عهد الله تعالى أن لا يبوح بأمر الكتاب مادام سليم حياً وأن يدفعه إلى ثقاة شيعة علي عليه السلام فيما إذا نزلت بأبان نازلة، وقد تلقى أبان هذه الأمانة بكل فخر وسعادة وهو يحمل من أسرار آل محمد صلى الله عليه وآله ما لم يحظ به أحد، والعجيب في أمر أبان أنه حمل هذه الأمانة وهو لا يزال في السادسة عشر من عمره وهذا ما يبعث الفخر والاعتزاز في نفس أبان أن يخص بهذه المهمة وهو بعد في مقتبل تفتحه الفكري مستقبلاً لأسرار لا يحتملها إلا ذوو الشأن والعقيدة الصحيحة، حتى عد تسليم سليم لكتابه أباناً توثيقاً له وشهادة لحسن عقيدته واستقامة فكره.

وإذا كان هذا حال كتاب سليم يحمل فيه من أسرار سنوات عجاف ألقت بكلكلها على صدر الحقائق فبعثها مقروءة بعين الحاكم لا يعين الحقيقة، وقد أدى مشروع سليم هذا إلى كشف ما لم يستطع أحد كشفه لو لا توثيقه هذه الوقائع في أرشفة من مجاميع ليودعه كتابه، وحين انتشر هذا الكتاب واطلعت الأمة على واقع الأحداث لم يكد علماء السلطان أن يحتملوا ما وجدوه في كتاب سليم فكيف الطعن على سليم بعد أن عرفت استقامته لتكتمه على أمر الكتاب، إلا أن أبان حين نشره للكتاب وروايته له وجه المخالفون سهام حقدهم لأبان ورميه بشتى تهم التضعيف والتنكيل حتى وصل الأمر في تسقيط أبان إلى استخدامهم كلمات التضعيف في حقه بما لم يسبقهم إليه أحد وإليك عرضاً فيما قالوه في أبان تضعيفاً له واجتناباً لرواية كتاب سليم بن قيس الهلالي.

أولاً: قال شعبة بن الحجاج فيما نقله شعيب بن حرب أنه سمع شعبة بن الحجاج يقول: لأن أشرب من بول حمار حتى أروي أحب إليّ من أن أقول: حدثنا أبان بن عياش[١٧].

ثانياً: أحمد بن حنبل قال عن أبان: هو متروك الحديث، ترك الناس حديثه منذ دهر وقال: لا يكتب عنه قيل: كان له

هوى وقال: كان منكر الحديث[١٨].

وتعبير كان له هوى - أي كان له هوى في التشيع - وهذا في نظرهم موجب لإسقاط روايته.

ثالثاً: يحيى بن معين قال: متروك[١٩].

رابعاً: النسائي قال: متروك، وقال: ليس بثقة[٢٠].

خامساً: أحمد بن علي الأبار قال فيما رواه العقيلي عنه: رأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام فقلت: يا رسول الله أرضى أبان بن أبي عياش، قال: لا[٢١].

إلى آخر قائمة المضعفين له والمسقطين لروايته، وإذا استعرضنا أولئك الذين شهدوا باستقامته لرأينا العجب في شهادتهم بصلاحه والإجماع على ترك روايته وهذا ديدن أولئك الذين رموا شيعة أهل البيت عليهم السلام ورواة أحاديثهم بالضعف لمنع رواياتهم عن الانتشار.

١- قال أبو حاتم: متروك الحديث وكان رجلاً صالحاً لكنه بلي بسوء الحفظ[٢٢].

٢- أبان حيان قال: كان أبان بن أبي عياش من العباد الذين يسهرون الليل بالقيام ويطوون النهار بالصيام، سمع عن أنس أحاديث وجالس الحسن فكان يسمع كلامه ويحفظ، فإذا حدث ربما جعل كلام الحسن عن أنس مرفوعاً وهو لا يعلم ولعله روى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله أكثر من ألف وخمسمائة حديث ما لكبير شيء منها أصل يرجع إليه[٢٣].

٣- الفلاس قال: متروك الحديث وهو رجل صالح[٢٤].

إلى غير ذلك من الشهادة بصلاحه واستقامته وفي الوقت نفسه التسالم على عدم الأخذ بروايته لتشيعه ولرواية كتاب سليم.

ولا يهمنا ذلك بعد أن نقرأ ما قاله ابن قتيبة في حقه شاهداً على عظيم منزلته وعلو مقامه حيث قال: وكانت تفخر عبد القيس بأن بين مواليها أبان بن أبي عياش الفقيه[٢٥].

هذا هو حال الرجل - أبان - عند العامة، أما عند علماء الإمامية فقد تسالموا على صلاحه وتوثيقه إلا ما ظهر من ابن الغضائري في تضعيفه حيث قال: تابعي ضعيف جداً روى عن أنس بن مالك وروى عن علي بن الحسين عليهما السلام، لا يلتفت إليه[٢٦].

وتبعه على ذلك العلامة الحلي في رجاله فقال: والأقوى عندي التوقف فيما يرويه لشهادة ابن الغضائري عليه بالضعف.

وقد أثبت السيد محسن الأمين أن مرجع تضعيف أبان هو ابن الغضائري وحاله معلوم في تضعيف الرجال.

قال السيد الأمين في أعيانه: الظاهر منشأ تضعيف الشيخ له قول ابن الغضائري، وصرح العلامة بأن ذلك منشأ توقفه فيه كما سمعت، وابن الغضائري حاله معلوم في أنه يضعف بكل شيء ولم يسلم منه أحد فلا يعتمد على تضعيفه[٢٧].

وكتاب ابن الغضائري لم يثبت له، ولو ثبت له فهو لابنه أحمد وهو ليس كأبيه الحسين بن عبيد الله الغضائري الذي هو من شيوخ الاجازة، ومع كل هذا فنحن نجل حتى أحمد بن الحسين من هذا الكتاب، وأكاد أجزم أن كتاب ابن الغضائري موضوع من قبل المخالفين

الذين حاولوا الطعن على رواة الشيعة وعلى لسان أحمد بن الغضائري[٢٨] علماً أن كتاب الغضائري غير موجود بل هو موزع في كتاب ابن طاووس وهذا ما ذكره العلامة آغا بزرك الطهراني في الذريعة وقال في آخر كلامه رحمه الله: أن نسبة كتاب الضعفاء هذا إليه مما لم نجد له أصلاً حتى أن ناشره قد تبرأ من عهدته بصحتهن فيحق لنا أن ننزه ساحة ابن الغضائري عن الإقدام في تأليف هذا الكتاب والاقتحام في هتك هؤلاء المشاهير بالعفاف والتقوى والصلاح المذكورين في الكتاب والمطعونين بأنواع الجراح، بل جملة من جراحاته سارية إلى المبرئين من العيوب[٢٩].

وقال السيد الخوئي رحمه الله في معجم الرجال: أما الكتاب المنسوب إلى ابن الغضائري فهو لم يثبت ولم يتعرض له العلامة في إجازته وذكر طرقه إلى الكتب...[٣٠].

هذا أقصى ما أخذ على كتاب سليم، وهو تضعيف ابن الغضائري لأبان وقد عرفت حال كتاب ابن الغضائري ولنتساءل ما الذي فعله أبان بعيد استلامه من سليم كتابه وقد أخذ عليه العهود والمواثيق بحفظه وعدم التفريط فيه، وكيف تناقله الرواة حتى أوصلوه إلينا؟

انتقل أبان إلى البصرة وأقام فيها، وكان له شأن بين أوساط الشيعة وقد اتصل بزعيم الشيعة في البصرة وقتذاك عمر بن أذينة واطمئن إليه وعرف دينه ووثاقته، وكان مما عرض لأبان وقد بلغ من العمر السادسة والسبعين رؤيا عجيبة، حيث رأى سليم وأعلمه بموته وأوصاه بحفظ الوديعة وعدم التفريط فيها.

قال سليم لأبان في الرؤيا: يا أبان، إنك ميت في أيامك هذه، فاتق الله في وديعتي ولا تضيعها وفاءً لي بما ضمنت من كتمانك ولا تضعها إلا عند رجل من شيعة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله، له دين وحسب[٣١].

وتعجب أبان من هذه الرؤيا الصادقة التي تحققت بعد شهر من موعد وفاته، وفعلاً عندما حان أجل أبان بالموعد الذي أوعده سليم في الرؤيا انتقل إلى جوار ربه وبعد شهر من الموعد الذي ضربه له سليم، إلا أن أبان لم يضيع وديعته فقد حدث بذلك عمر بن أذينة بالرؤيا وذكر له ما في الكتاب، فازداد ابن أذينة شوقاً لما سمعه من أبان وتقبل حمل الكتاب ونقله وحفظه لديه، وبعدما رحل أبان من دار الدنيا عمد ابن أذينة إلى الكتاب فنقله إلى من يثق بصلاحه ودينه منهم: (ابن أبي عمير، وحماد بن عيسى، وعثمان بن عيسى، ومعمر بن راشد البصري، وإبراهيم بن عمر اليماني، وهمام بن نافع الصنعانين وعبد الرزاق بن همام الصنعاني).

فقام هؤلاء بنسخ الكتاب ورووه مرة عن سليم بدون واسطة ولعله يقصدون بذلك رؤيتهم لنسخة سليم الأصلية، ومرة يروون بالإسناد عن عمر بن أذينة عن أبان بن أبي عياش وهكذا أخذ الكتاب طريقه في الانتشار حتى صار من أهم الأصول الإمامية التي يعول عليها دون أدنى ريب.

وأهم ما كان في الكتاب من رواية ـ وإن كان جميعها من الأهمية بمكان ـ ما نقله من أحداث جرت على فاطمة الزهراء عليها السلام وما كان من هجوم القوم على دارها وإسقاطها محسناً وكسر ضلعها، بما يشجي الغيور ويهيج الوجدان والشعور، حتى كانت قرائح الشعراء أثرها في إثبات ما ورد في كتاب سليم وما رواه عن سلمان وغيره من الأصحاب فكانت هذه الروايات ثقتها معتمدة على أصل سليم شهرة وتسالماً، حتى كان للسيد محمد بن السيد مهدي القزويني منظومته الرائعة في إثبات واقعة الإسقاط بالإشارة إلى كتاب سليم وما رواه عن سلمان بقوله:

وا عجباً يستأذن الأمين
عليهم ويهجم الخئون
قال سليم قلت يا سلمان
هل دخلوا ولم يك استئذان
فقال أي وعزة الجبار
ليس على الزهراء من خمار
لكنها لاذت وراء الباب
رعاية للستر والحجاب
فمذ رأوها عصروها عصرة
كادت بروحي أن تموت حسرة
تصيح يا فضة أسنديني
فقد وربي قتلوا جنيني
فأسقطت بنت الهدى واحزنا
جنينها ذاك المسمى محسنا[٣٢]

وهكذا يبقى كتاب سليم من أهم الأصول وأوثقها يحكي لنا قصة محنة آل النبي صلى الله عليه وآله ويؤكد في حفظ كتابه ونقله وإيصاله إلى أيدينا محنة كاتب جاهد وحامى عن حياض كلمة الله لتكون هي العليا ■

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ٥٥٨.
(٢) نفس المصدر، ٦٢٠.
(٣) نفس المصدر، ٨٢٧.
(٤) نفس المصدر، ٥٥٩.
(٥) نفس المصدر، ٦٢٩.
(٦) المامقاني، تنقيح المقال ٢/ ٥٤.
(٧) القمي، الكنى والألقاب ٣/ ٢٤٣.
(٨) مقدمة كتاب سليم بن قيس، للمحقق الفذ الشيخ محمد باقر الأنصاري ص: ٨٥.
(٩) الخونساري، روضات الجنات ٦٧/٤.
(١٠) إحقاق الحق، ١/ ٥٥.
(١١) مقدمة كتاب سليم بن قيس ص: ٨٥.
(١٢) نفس المصدر، ١٠٨.
(١٣) نفس المصدر، ١٠٩.
(١٤) نقد الرجال، ١٥٩.
(١٥) الأميني، الغدير ١/ ١٩٥.
(١٦) مقدمة كتاب سليم بن قيس ص:١١٣.
(١٧) ابن حجر، ميزان الاعتدال ١: ١٠.
(١٨) تهذيب التهذيب ١/ ٩٧.
(١٩) ابن حجر، ميزان الاعتدال ١/ ١١.
(٢٠) المصدر السابق.
(٢١) المصدر السابق.
(٢٢) تهذيب التهذيب ١/ ٩٧.
(٢٣) ابن حجر، ميزان الاعتدال ١/ ١٢.
(٢٤) تهذيب التهذيب ١/ ٩٧.
(٢٥) ابن قتيبة، المعارف ص:٢٣٩.
(٢٦) مقدمة كتاب سليم ص:٢٢١.
(٢٧) المصدر السابق.
(٢٨) الأمين، أعيان الشيعة ٥/ ٥٠.
(٢٩) آغا بزرك، الذريعة ٤/ ٢٩٠.
(٣٠) الخوئي، معجم رجال الحديث ١٠٢/١.
(٣١) مقدمة كتاب سليم ص:٦٥.
(٣٢) الحلو، موسوعة أدب المحنة ص:٣٠٧.

قراءة فنيّة في..
خطبة الزهراء عليها السلام

• م. م. عباس الفحام
كلية الدراسات الإنسانية الجامعة

ينابيع فاطمة الزهراء عليها السلام ذلك الصوت المحمدي الهادئ كالنسيم في لحظات الوداعة والهادر كالسيل في ساعات الشدة لم يقدر لحزن فقد أبيها صلى الله عليه وآله أن يطفئ جذوته رغم أنه ثقيل لا يحتمله قلب فاطمة عليها السلام الذي تعود أن يخفق في ظله.

جاءت خطبة الزهراء عليها السلام إعلاناً مدوياً يشبه إعلان أبيها صلى الله عليه وآله في مكة غير أنه هذه المرة في المدينة، الكلمات كحد السيف والحروف صواعق محرقة والصور التي رسمتها سلام الله عليها ثورة مبكرة على رؤوس الانقلابيين الذين سلبوا ارث زوجها أمير المؤمنين عليه السلام في حقه بخلافة ابن عمه صلى الله عليه وآله ثم عادوا يسلبون نحلة أبيها لها فدكا، وكانت فدك الباعث على إعلاء صوت فاطمة والقشة التي قصمت ظهر البعير كما يقال، تذكر مصادر التاريخ[1] إنه لما بلغها إجماع أبي بكر على منعها فدكا وانصراف عاملها منها أقبلت تطأ أذياله وقد لاثت خمارها على رأسها وقد حف حولها المهاجرون والأنصار فنيطت بينها ملاءة وخطبت في ذلك الجمع الخطير تلك كانت مناسبة الخطبة التي أود - على استحياء - إلقاء الضوء على جوانب فنية بلاغية منها وذلك في ثلاث صور رسمتها الزهراء عليها السلام:

الأولى: صورة أبيها محمد صلى الله عليه وآله.

الثانية: صورة علي بن أبي طالب عليه السلام.

الثالثة: صورة العرب قبل الرسالة المحمدية.

الأولى: صورة الرسول الأعظم(ص):

قالت الزهراء عليها السلام تصف أبيها صلى الله عليه وآله: (أيها الناس اعلموا أني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله أقول عوداً وبدءا ولا يقول ما يقول غلطا ولا يفعل ما يفعل شططاً) لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فإن تعزوه وتعرفوه وتجدوه أبي دون نساءكم وأخا ابن عمي دون رجالكم ولنعم المعزى إليه فبلغ بالرسالة صادعا بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم آخذاً بكظمهم داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة يكسر الأصنام وينكث الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محظه ونطق زعيم الدين وخرست شقائق[٢] الشيطان وطاح وشيظ[٣] النفاق وانحلت عقدة الكفر والشقاق وفهمت بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص[٤]).

هذه هي صورة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بملامح الكلام الإلهي استهلت به الزهراء عليها السلام وصف أبيها صلى الله عليه وآله وقد حرصت سلام الله عليها على رسم صفات في غاية اللباقة لمقامه النبوي الشامخ وكأنها تعلم الأمة كيف تخاطب عظيمها الروحاني فهو مبلغ ومنذر، معرض عن المشركين غير عابئ بما يقدمون له من مغريات، شديد على الكافرين وهو بعد صلى الله عليه وآله الداعي إلى الله الحكيم هذه المعاني الجليلة عرضت بأسلوب قوي من خلال:

- الموازنة بين الفقرات القصيرة.
- السجع العفوي الأخاذ.
- الطباق أحياناً.

هذه العناصر أقدر على إخراج هذه القوة من الحماسة والانفعالات الإنسانية لما توفره من رنين موسيقي شديد له أثره من النفوس، هذه الحماسة تبدو قوة صورتها في قولها عليها السلام تصف انتشار الإسلام وانتصاره على الشرك (حتى تفر الليل عن صبحه) بهذه الاستعارة الموحي وكأن الليل شيء ما إن تشظت أجزاؤه حتى انبلج عنه فجر الإسلام.

وتقول الزهراء عليها السلام في وصف عظمته صلى الله عليه وآله: (ثم قبضه إليه قبض رأفة واختيار ورغبة وإيثار فمحمد صلى الله عليه وآله عن نصب هذه الدار في راحة قد حُف بالملائكة الأبرار ورضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار).

يعلق الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره على وصف الزهراء عليها السلام بقوله: (تركت النعيم

المادي كله لأنها رأت في معاني أبيها العظيم صلى الله عليه وآله ما يرتفع عن ذلك كله، وما قيمة اللذة المادية في حساب محمد صلى الله عليه وآله الروحي الذي لم يرتفع أحد بالروح الإنسانية كما ارتفع بها صلى الله عليه وآله).

هكذا يكون رحيل العظماء غير عابئين بالدنيا منشدين إلى ذات الله، عندها يكون الموت راحة لهم لذلك تجدهم مستبشرين إذا حل بهم.

الثانية: صورة علي[٤]:

قالت الزهراء عليها السلام في خطبتها أمام المسلمين وهي تعرض صورة علي عليه السلام: (كلما حشوا (أوقدوا) ناراً للحرب أطفأها ونجم قرن للظلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بحده مكدوداً في ذات الله قريبة من رسول الله سيداً في أولياء الله وأنتم في رفاهية وادعون آمنون).

صورة علي عليه السلام هذه المرة تخطها أنامل الزهراء عليها السلام، وهي أول صورة تعرضها الزهراء عليها السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله لإيقاظ الضمائر، بطولة من أجل الله ورسوله صلى الله عليه وآله شهدت لها المواقف إنه حامي رسول الله صلى الله عليه وآله وحامل لوائه، بطولة حرصت الزهراء عليها السلام في رسمها على أن تقدمها ممزوجة بهذا العشق الإلهي المحمدي عندما تذكر بقولها (قذف بأخيه) ففي كلمة (قذف) وضمن هذا السياق تستشف معاني القوة من شدة السرعة لتوحي للسامع أن يتأمل علياً عليه السلام في أوقات الحرب كيف كان شديداً غير هياب ولا متردد، والنبي صلى الله عليه وآله بعد يقذف (بأخيه) لا برجل آخر، زيادة في الثقة وهو حين (يقذف بأخيه) فإنه يقذفه وسط الحرب إمعاناً في إنه هو القادر على إطفائها وتمضي الزهراء عليها السلام في وصف هذا البطل العسكري المقدام الذي لا يرجع حتى يدوس بكامل قدمه (بأخمصه) على رأس المشركين زيادة في التمكن والتحقير (صماخها)، ثم تعمد الزهراء عليها السلام بالانتقال من هذا الجو الرهيب الصاخب الهالك بالتفات مفاجئ إلى المقارنة، مقارنة صورة الإمام علي عليه السلام مع من تخاطب بانتقال في غاية الإيجاز والإيحاء في آن واحد (وأنتم في رفاهية وادعون آمنون).

ولا غرو، ثمة فرق بين من يرمى في لهوات الحرب وبين من يكون مرابطاً في العريش، في الخطوط الخلفية للقتال، وهذا المعنى سيسمعه الناس من الإمام علي عليه السلام نفسه في مناسبة جديدة ذلك في قوله عليه السلام يصف جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وآله: (ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام)[٥].

الثالثة: صورة العرب قبل الرسالة المحمدية:

قالت الزهراء عليها السلام مذكرة في خطبتها: (وكنتم على شفة حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام تشربون الطرق، وتقتاتون الورق أذلة خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تعالى بأبي محمد صلى الله عليه وآله).

والصور متلاحقة متتابعة في رسم حالة الوهن والهزال التي وصل إليها العرب قبل الرسالة المحمدية بتوازن بين الفقرات ورعاية لنهايات الفواصل ودقة في انتقاء المفردات استهلته الزهراء عليها السلام باستحضار قرآني وظفته بدقة في مناسبة المقام فهم على شفير الهلاك (مذقة الشارب) والمذقة الشربة من اللبن الممزوج بالماء وهم (نُهزة الطامع) والنُهزة هي الفرصة المفتوحة للاغتنام وهم (قبسة العجلان) الذي يأخذ من جذوتهم ليشعل لنفسه على عجل، وهذه الكنايات التي ترمى إلى معان أبعد من صورها الحقيقية وهي معاني التشرذم والتناحر والاقتتال الداخلي جعلتهم محل طمع الآخرين وفرص سهلة للاغتنام فهم ليست لهم أدنى أهمية أمام ما يجاورهم من جيوش الأمم التي استعبدتهم ولم تحسب لهم يوماً حساب لذلك كانوا موطئ أقدام الآخرين لا منعة لهم ولا عزة.

إن مناسبة هذه المعاني يبدو وقعها ثقيلاً لأن الزهراء عليها السلام خاطب بها قوماً أصبحوا أسياد المنطقة بفضل أبيها صلى الله عليه وآله لذلك تستمر سلام الله عليها في حشد صور ذلتهم فهم قبل عهد قريب يشربون الطرق ويقتاتون الورق، والطرق هو الماء الذي بالت فيه الدواب فاصفر لونه، أما الورق فهو الأدم الرقاق من الجلد غير المدبوغ، لذلك أردفت هذه المعاني بقولها (أذلة خاسئين) فمن كان هذا شرابه وطعامه فهو لا يخشى سطوة الجار الشديد الظالم ويخاف (أن يتخطفه) أحد.

هذه الحياة المذلة كان يمكن لها أن تدوم لولا رسول الرحمة الإلهية الذي أعز شأنهم ورفع قدرهم وأسس لهم دولة الإسلام الجديد التي ما كان ليخطر ببال العربي الجاهل أن يدين له كسرى وقيصر يوماً وهو القائل:

وإذا انتشيت فإنني
رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإنني
رب الشويهة والبعير

هكذا بعد أن تستعرض الزهراء عليها السلام حالهم تذكر بأن الله استنقذهم بمحمد صلى الله عليه وآله، وتأتي بلفظة (بأبي) لتثير ولو أدنى شعور بالجميل أو لتستنهض فيهم مشاعر الإيفاء بمودة القربى التي أمروا بها من قبل ومن جانب آخر كان عليها السلام تحذرهم من تنكرهم هذا وانقلابهم الذي سيعود بهم إلى مربعهم الأول (شفير الهلاك) وسيوقف عجلة الزمن مهما طال السرى ■

---

(١) وردت هنا خطبة الزهراء عليها السلام بصورة مقطعة اعتمدنا على: الاحتجاج، الطبرسي، ١٣٢/١، بلاغات النساء، ابن طيفور، ص١٢.

(٢) الشقائق: الشقشقة، لهاة البعير، لسان العرب، ابن منظور، ١٨٥/١٠.

(٣) وشيظ: قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم وقيل هو الدخيل من القوم، لسان العرب، ابن منظور، ٤٦٥/٧.

(٤) الخماص: خماص البطون، خفاف الظهور - أي أنهم أعفة عن أموال الناس -، لسان العرب، ابن منظور، ٣١٠/٤.

(٥) نهج البلاغة خطب الإمام علي٢ ، عليه السلام/١٧١.

قراءات في وصية الزهراء*

الحجاب الإسلامي
ودور المرأة في بناء المجتمع

• سماحة السيد محمود المقدس الغريفي
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع الإسلام دين الحياة الكريمة، والنبل والفضيلة، احترم الإنسان وكرمه وجعله خليفة الله في الأرض وحمله مسؤولية بناء المجتمع الصالح، وكما ألقى على عاتق الرجل هذه المسؤولية فقد جعل للمرأة دوراً مهماً في عملية البناء والتكامل، إضافة لذلك فقد جللها بالاحترام واعتنى بها عناية فائقة بعد ما كانت مهملة الروح، تملك لإشباع الغريزة الجنسية، وتُسخر للعمل كالبهائم، وتعامل بقسوة ووحشية، وتساق إلى الابتذال وعدم الحشمة كالسلعة المعروضة للنظر والاستمتاع والتملّي بمفاتنها.

وكان من أسمى أهداف الإسلام، إكرام المرأة، والحفاظ على حرمتها وكيانها واستقلالها، وجعلها كالجوهرة النادرة الجميلة التي يجب وضعها دائماً في المكان المصون وان تحفظ في الوعاء المأمون، وان لا تخرج للعيان كالبضاعة المستهلكة، ولكن عند الضرورة أو لغرض صحيح مع رعايتها والمحافظة عليها من الكسر أو الثلم، أو صونا لها أن تمسها يد ملوثة، أو تقع عليها أنظار اللصوص فيعمدون إلى اصطيادها وسرقتها، أو خلطها مع مثيلاتها الزائفات الملوثات فتضيع بينهن ولا تعرف قيمتها الحقيقية، بل ولشدة حرص الإسلام على المرأة وصوناً لكرامتها فقد انزل الله عز وجل العديد من الآيات المباركة التي

* بحث منتقى من كتاب قراءات في وصية الزهراء عليها السلام للكاتب، مازال مخطوطاً أعد للمجلة.

شرعت لها ما يحفظ عزتها وكرامتها، وتقواها ونبلها، وحقوقها وكيانها، ومن أهمها آيات الحجاب التي تصون وقارها وحشمتها وعفتها وعرضها.

هذا التشريع الذي حرص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله كل الحرص، وأخذ بترسيخه في المجتمع وكسر الأعراف الجاهلية المتوارثة؛ وطبقت بنوده وأهدافه عمليا بنت الرسالة، فاطمة الزهراء عليها السلام، قدوة المرأة المسلمة بأعظم تطبيق وأروع التزام، وأعدت منهجاً رسالياً عملياً في بناء الحياة المستقرة الهانئة، ملؤها التقوى والإيمان والصلاح والعفة للمرأة في جميع مفاصل حياتها وسلوكها فكانت بحق مدرسة رسالية وبامتياز سيدة نساء العالمين لا عن فراغ في شخصيتها بل بجدارة واستحقاق من خلال نضالها والتزامها بالنهج القويم الذي رسمه الله عز وجل للمرأة في القرآن الكريم ورعاية أبيها محمد صلى الله عليه وآله رسول الله وصيانة بعلها أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ومن هنا نقرأ: ما ورد في الأثر عن أبي الزهراء، رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أفضل مكان للمرأة هو دارها لأن البيت إذا أعد إعدادا صالحاً فسيكون الحافظ لهويتها كامرأة، وحريتها كأنثى، بل يكون مركزاً لانطلاقها في المجتمع كإنسانة، إذ انه صلى الله عليه وآله لا يدعو في إرشاده أن يمثل البيت دائرة مغلقة في حياة المرأة، تعيش فيه كالسجينة بلا نشاط وتتخذه مكاناً للراحة والاسترخاء، أو مطعماً ومأوى لها ولأسرتها فقط، وإن كان تهيئة هذه الأمور من جملة نجاح المرأة في حياتها، ولكن ليس هذا كل شيء أُريد لها، بل لابد أن تكون الدار منفتحةً على عالمها الخارجي ومحط انطلاقتها للحياة بشخصها، أو إعدادها وتأهيلها ليصبح مدرسة تربوية بناءة لإعداد أبنائها وبناتها وذويها وتهيئتهم وإعدادهم لتكوين جيل مسلم صالح له هدف واضح يسعى له في الحياة الكريمة.

إن بيت المرأة يمكن إعداده منتدى معرفياً لبنات جيلها وأخواتها المؤمنات للمدارسة والتحاور وتداول الأفكار والمعرفة الإسلامية وترسيخ شعيرة المجالس الحسينية البيتية، بعيداً عن المظاهر الفارغة والعمل الدنيوي الذي يصحبه الرياء والسمعة، ومن وحي هذا

الفكر أجابت الزهراء عليها السلام عن سؤال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: (متى تكون المرأة أدنى من ربها؟ فلم يدروا، فلما سمعت فاطمة عليها السلام ذلك ، قالت: أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن فاطمة بضعة مني)[1].

وفي سؤال آخر لرسول الله صلى الله عليه وآله روي انه قال لفاطمة عليها السلام: أي شيء خير للمرأة (للنساء)؟ - وكم سائل عن أمره وهو عالم ولكن أراد صلى الله عليه وآله أن يعرّف بفضلها وعلمها - قالت: خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يرونهن، فقال صلى الله عليه وآله إنها بضعة مني؛ وفي رواية أخرى قالت عليها السلام أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، فضمها صلى الله عليه وآله إليه وقال: ذرية بعضها من بعض[2].

إن إرشاد الزهراء عليها السلام هذا، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله على لسانها لأنها بضعة منه وذرية بعضها من بعض، لأنها الأعرف ببنات جنسها، والأقرب إلى تفكيرهن، والأكثر إطلاعاً على دواخلهن والآنس برغباتهن فهي عليها السلام العالمة المُعلمة. على إنه لا يفهم من كلامها عليها السلام الرؤية بالمعنى الحقيقي للرؤية إذ تظافرت لدينا الكثير من الأخبار إن الزهراء عليها السلام كانت ترى الرجال وتحادثهم وبالعكس، وإن رؤية الرجل للمرأة والمرأة للرجل مكفول في الشريعة الإسلامية،مادام في ضمن حدودها ولم يخرج عن آدابها.

ولكن المراد هنا المعنى المجازي للرؤية والتي تجر إلى الاختلاط الفارغ المبتذل بين الرجل والمرأة غير الهادف والذي يورد الشبهة ويجر إلى الفتن، والوقوع في المعصية والذي يؤثر سلباً في النفسية الإنسانية للرجل والمرأة من الريبة وخواطر الشيطان فيؤثر سلباً في روحيهما.

فالزهراء عليها السلام أرادت من كلامها هذا النوع من الرؤية وهذه الصورة من الاختلاط، ولكن لا يحمل قولها عليها السلام تعبيراً عن حكم شرعي إلزامي للمرأة إذ نراها عليها السلام ونساء النبي صلى الله عليه وآله وكثيراً من نساء المسلمين كن على اختلاط مع الرجال في المسجد والحروب والسفر وغيرها ولكن في ضمن حدود تكفلها الشريعة المقدسة وآدابها من الحشمة والحجاب والاحترام.

وكما قلنا إن هذا لا يمنع المرأة من ممارسة عملها الديني والاجتماعي والتعليمي في زيادة الوعي لبنات جلدتها في دارها على شكل منتديات علمية معرفية تثقيفية، أو تدال بين دور نساء محلتها وما شاكلها حسب المقتضيات والمعطيات الزمانية والمكانية والبيئية، إذ كانت دار الزهراء عليها السلام مدرسة تثقيفية لنساء المهاجرين والأنصار يقصدنها ويطلبن منها العلم والتفقه في الدين وتعلم أحكامه، مع سعة صدرها لهن وترغيبهن في العلم والسؤال، ومن ذلك ما روي إن امرأة جاءت تسأل فاطمة عليها السلام مسائل علمية فأجابتها فاطمة عليها السلام عن سؤالها الأول وظلت المرأة تسألها حتى بلغت أسئلتها العشرة، ثم خجلت من الكثرة، فقالت لا أشق عليك يا ابنة رسول الله، فقالت فاطمة عليها السلام: هاتي وسلي عما بدا لك، إني سمعت أبي يقول إن علماء أمتنا يحشرون فيخلع عليهم الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله[3].

ويكفي المرأة أن تكون امرأة

رسالية في إعدادها لبناتها وبنيها وتجعل من أسرتها نواة صالحة في المجتمع.

وعلى هذا يمكن القول إن أفضلية البيت وعدم الاختلاط بالرجال من جهة الحكم الأولي بالنسبة للمرأة.

أما إذا اقتضت الضرورة أو استقر الواجب الشرعي في دائرة المجتمع الإسلامي وغاب الوعي، وعم الجهل، وقلّ الناصر، وفرض الواقع صوراً مقلقلة في بناء المجتمع الإنساني وانحراف القيم الأصيلة فيه، فهنا على المرأة المسلمة الواعية المحصنة أن تشارك في بناء الواقع الاجتماعي العام وتركيز دورها وفعاليتها فيه، وإسماع صوتها وتفعيل ممارساتها في البناء والتقويم والعمل خارج البيت خصوصاً في بناء النشاط النسوي وتوعيته في ضمن الحدود الشرعية للعمل والإدارة؛ على إن الضرورات تقدر بقدرها، وفي ضمن حدود مكانها وظروف زمانها، وتحركها المسؤول، وأن تتأطر حركتها خارج البيت في أطار الصورة الإسلامية وآدابها، حاملة كل معاني العفة والحشمة والوقار بما يليق بالمرأة المسلمة ومكانتها التي حفظها لها الإسلام، وبالخصوص في دور مخالطتها للرجال وفي بناء الشخصية الإيمانية في مجتمع طاهر.

ومن هنا يمكن اعتبار خروج الزهراء عليها السلام إلى مسجد أبيها بعد وفاته صلى الله عليه وآله، بعد ظلمها وغصب حقها إنما كان لإلقاء الحجة وإقامة الدليل على الحكومة القبلية القائمة ورئيسها، بعدما غُيّرت الثوابت وعُمِل بالآراء والأهواء، وجرى الحكم القبلي على الحكم السماوي إذ غصبت الحقوق وتُجُووزت الحدود وغُيّرت السنن والفرائض، ومن ثم طافت على دور المهاجرين والأنصار مستنهضة هممهم، مستصرخة بهم، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين)[٤]، (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور)[٥].

ولكن بعد أن يئست منهم، وأيقنت نكوصهم عن الحق، وبختهم على رضاهم بالباطل ومخالفة حكم الله عز وجل واستسلامهم له وسكوتهم عليه (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها)[٦]، (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم)[٧]، (والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين)[٨].

فيمكن القول إن ضرورة الخروج من البيت والاختلاط مع الرجال من جهة الحكم الثانوي بالنسبة للمرأة.

ومن هذا الموقف أيضاً نستوحي الشرعية لحركة المرأة المسلمة، ومشاركتها في العمل الجهادي والسياسي بالأطار الإسلامي ضمن الدرس الرسالي الذي رسمته الزهراء عليها السلام للمرأة المسلمة منهجاً حياً وطريقاً واضحاً، وسلوكاً صادقاً في هدفها وكلامها، بل حتى في طريقة خروجها من الدار، حيث ذكرت الرواية: أنها عليها السلام لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها وأقبلت في لُمة من حفدتها ونساء قومها تطأ

ذيولها (تجر أدراعها، تطأ ذيولها خ) ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ فدخلت (أي المسجد) عليه وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها مُلاءة (فضرب بينهم بريطة بيضاء، وقيل قبطية خ)[٩].

انظر وتأمل إنها صورة رائعة في احتشامها الذاتي واحتشامها الخارجي، أما الاحتشام الذاتي فتمثل في الخمار على الرأس، واشتمالها بجلبابها وهو الإزار والرداء أو الملحفة التي تغطي الرأس والبدن بأجمعه - بما يوازي العباءة النسائية حالياً -، تجر دراعها والدراع والدرع ثوب المرأة يشمل جميع البدن يلبس فوق القميص - والظاهر ما يوازي بما يسمى الجبة الإسلامية أو العباءة الإسلامية حالياً -، والجلباب الساتر والدرع عادة يكون فضفاضاً حتى يكون أبعد عن الإثارة في بروز مقاطع وتقاسيم جسد المرأة وأدعى للستر والحشمة، تطأ ذيولها كناية عن طول ملابسها لأنها أتم للستر وأحفظ للبدن من ظهور أي جزء من بدنها الشريف.

أما احتشامها الخارجي، إذ إنها خرجت في لمّة من حفدتها أي الجماعة من الثلاثة إلى العشرة من الأعوان والخدم، إن خروج المرأة مع غيرها من النساء أستر وأحفظ وأوقر وأكثر صوناً وتحصيناً لها من المخاطر، فضلاً عن الهدف الأسمى في عدم تشخيصها وتمييزها خصوصاً إذا كانت من ذوات الشرف والمقام الرفيع كالزهراء عليها السلام، ولا يقع النظر على امرأة بعينها، إضافة للقضايا المعنوية التي تهز الخصم وتربكه وكأنها تظاهرة نسوية.

فنيطت دونها ملاءة أي علق دونها والقوم إزار، أو ريطة وهي ملاءة ليست ذات قطعتين مُتضامتين كلها نسيج واحد وقطعة واحدة وهذا أقرب للستر والوقار فلا تكون في معرض النظرة المباشرة، وتشخص وتعرف من منطقها وكلامها، وهذا من الآداب الإسلامية العالية عند اجتماع الرجال والنساء إن لم نقل على سبيل الاستحباب مما يستفاد من قوله تعالى: (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب)[١٠] إلا إن القدر المتيقن من الآية هو حجاب المرأة الخاص الذاتي لأنها يحرم عليها الاختلاط مع الرجال بدونه، والسيرة جارية على ذلك منذ العصر الأول للرسالة في صلاة الجماعة والسفر للحج وأعماله والخروج للغزوات وغيرها.

كما نستوحي من خروج الزهراء عليها السلام إلى المسجد وطرح ظلامتها أمام المجتمع الإسلامي بكافة فصائله، حيث يعد المسجد حينها أقوى واجهة إعلامية لتجمع الناس فيه بمختلف توجهاتهم وآرائهم الشخصية والاجتماعية، على جواز استفادة المرأة من الوسائل الإعلامية الحديثة بكل صورها المباحة مع الاحتشام والوقار والالتزام بالآداب الإسلامية، لعرض آراءها وأفكارها وبيان الحقائق، وكشف الزيف والأباطيل وفضح الظلم والظالمين والمطالبة بالحقوق، إضافة لتوعية الناس وإرشادهم.

إن الزهراء عليها السلام أرادت أن تصور للمرأة المسلمة الاحتشام الإسلامي بكل صوره وأعلى مصاديقه متجسداً على الواقع لا كلاماً، وتأكيداً وترسيخاً لا شعاراً،

وما هذا إلا زيادة في الاهتمام به ومزيد الاعتناء بصورته، وعمق الهدف السامي في تفعيله على أرض الواقع وإلا فإن الواجب الشرعي للحجاب أقل من هذا فاللباس الشرعي المحتشم الذي يفرضه الإسلام على المرأة هو أن تستر جميع أجزاء بدنها ماعدا قرص الوجه والكفين، وعدم إبراز مفاتنها التي تثير الغرائز، وإن يكون لباسها فضفاضاً معتاداً لا صارخاً يلفت الانتباه ويركز النظر عليه.

ولكنها عليها السلام رسمت أعلى القيم في العفة والطهارة وأرسلت أغلى الدروس لبناتها من خلال سيرتها وسلوكها، ومن روائع دروسها، ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله لِمَ تحجبين (حجبته) وهو لا يراك؟ قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، إن لم يكن يراني فإني أراه، وهو يشم الريح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشهد أنك بَضعة مني[11]، وهذا مصداق لقوله تعالى: (قل للمؤمنات أن يغضضن من أبصارهن)[12].

فإن النظرة المباشرة سهم من سهام إبليس مسموم وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة كما جاء عن الصادق عليه السلام[13] وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (اشتد غضب الله تعالى على أمرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها)[14] فالمرأة العفيفة تتجنبها خصوصاً مع احتمال الريبة والفتنة، كما يجب أن يتجنبها الرجل العفيف لأنها تورث الندم والحسرة.

وفي هذه الرواية أشار إلى أن الدار هي محل أنوثة المرأة وزينتها وتطيبها بما لا يسعها خارجه، إذ المرأة الأنثى مكانها ليس بين المجتمعات ولا في الشوارع والطرقات ولا بين الرجال، بل حرمها بيتها، وحصنها زوجها، وطهرها بعدها عن الناظر، ومخدعها حلبة أنوثتها، لأن كرامة المرأة عفتها وعفافها، ودرعها حجابها وحصنها استقامتها فإذا تخلخل من هذا شيء اهتزت صورتها في المجتمع الإنساني السليم، وخسرت مبدأها وعقيدتها في المجتمع الإسلامي، ومن هنا رسمت الزهراء عليها السلام صورة حية للإنسانة الكريمة والمرأة المسلمة صاحبة المبدأ والعقيدة والإلتزام والمسؤولية، حيث تمثل عليها السلام النموذج الأمثل والقدوة الحسنة لحركة المرأة الرسالية ودورها في العمل والتبليغ والإعداد الرسالي على القيم والفضائل الإسلامية بما تملكه من الفيض الروحي والعطاء المعنوي والسمو الملائكي الذي تمثل غاية الطهر والنقاء.

وكانت آخر رسائلها من أروع لوحاتها، وأعظم درسها في عفة المرأة المسلمة وطهارتها في التاريخ الإسلامي بل الإنساني، حينما عبرت عن أنبل إحساس وأسمى موقف بوصيتها المباركة في الحفاظ على هيئة جسدها الطاهر وتقاسيمه من البروز للناظرين بعد الموت، وأثناء التشييع، فأرادت أن تكمل مشوار حياتها بأصدق وأكمل الخطوات في السير على النهج الرسالي والعمل في سبيل الله عز وجل في أجمل وأغلى صورة رسمتها للنعش المبارك وأوصت به أمير المؤمنين علياً عليه السلام من جملة وصاياها الشريفة، حيث قالت عليها السلام:

(أوصيك يا ابن عم أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال لها عليه السلام: صفيه لي، فوصفته فاتخذه لها)[15].

وفي رواية: أنها عليها السلام قالت لأسماء بنت عميس: (إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء (أي بعد الموت) إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بسرير فأكبته لوجهه ثم دعت بجرائد فشدتها على قوائمه ثم جللته ثوباً، فقالت عليها السلام: ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل، اصنعي لي مثله استريني سترك الله من النار)[16].

وأياً كانت الرواية فإن نعش فاطمة الزهراء عليها السلام كان أول نعش يعمل في الإسلام[17] وإنها عليها السلام لم تُر مبتسمة بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله إلا يوم رأت صورة نعشها[18]. حيث رفع جزء من المعاناة والهم الذي كان يعتلج في صدرها ومكابدات النفس في حال الكشف عن تقاسيم جسدها الطاهر أمام الرجال عند تشييعها بعد الوفاة، وهي التي حافظت عليه بعفة وطهر بكل يقين وإخلاص إيماناً برسالتها طيلة حياتها الزاكية القصيرة وأطرت هذه اللوحة الرائعة حين أوصت عليها السلام (وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار)[19]، لأن الليل ساتر بظلمته، ساكن بوحشته.

هذا هو الاصطفاء النفسي، والكمال الروحي، والإعداد الرسالي، لامرأة رعتها السماء، ونشأت بين يدي خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ونهلت من سيد الأوصياء عليه السلام فكانت بحق سيدة النساء عليها السلام.

ويمكن القول إنه لا يمكن الوصول إلى كمال الزهراء عليها السلام وعلو درجتها وشرف منزلتها وسمو سلوكها وقمة عطاءها؟، إن الزهراء عليها السلام أرادت من هذه اللوحات الرائعة التي رسمتها أن ترسل رسالة قدسية إلى كل امرأة من بناتها أن تضع قدمها على أول السلم بصدق وإيمان وإخلاص ثم ترتقي، فبالورع والاجتهاد ربما تصل إلى قمة من قمم الكمال الإنساني والإسلامي (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[20]

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ٤٣/ ٩٢.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ١١٩/٣، حلية الأولياء، الأصبهاني، ٤٠/٢.
(٣) المجالس السنية، الأمين العاملي، ١٣٠/٥.
(٤) سورة آل عمران/ الآية:١١٤.
(٥) سورة الشورى/ الآية:٢٤.
(٦) سورة يونس/ الآية:٧.
(٧) سورة التوبة/ الآية:٩٣.
(٨) سورة التوبة/ الآية:٦٢.
(٩) الاحتجاج، الطبرسي، ١٣٠/١، كشف الغمة، الاربلي، ١٠٩/٢.
(١٠) سورة الأحزاب/ الآية:٥٣.
(١١) دعائم الإسلام، القاضي نعمان، ٢/ ٢١٤.
(١٢) سورة النور/ الآية:٣١.
(١٣) سفينة البحار، القمي، ٥٩٦/٢.
(١٤) المصدر السابق.
(١٥) روضة الواعظين، النيسابوري، ص١٥١.
(١٦) تهذيب الأحكام، الطوسي، ٤٦٩/١، كشف الغمة، الأربلي، ١٢٦/٢.
(١٧) تهذيب الأحكام، الطوسي، ٤٦٩/١، مستدرك الوسائل، النوري، ٣٥٩/٢.
(١٨) كشف الغمة، الأربلي، ١٢٦/٢، ذخائر العقبى، الطبري، ص٥٧.
(١٩) روضة الواعظين، النيسابوري ص:١٥١.

البضعة المحمدية
في كتاب (خصائص الفاطمية)

• هاشم حسين ناصر المحنك
رئيس تحرير مجلة النجف

ينابيع امتداد النور المحمدي العظيم الكريم، سر إلهي لا يعلم كنهه إلا الله، فطبيعي أن يكون الامتداد الأبوي عبر أولادهم، والبقاء والخلود متبادل بين الآباء والأبناء، إلا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله فقد جعل لابنته المباركة فاطمة الزهراء عليها السلام، منها وإليها الخلود عبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فتبارك الله أحسن الخالقين لها، ومنها سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام، وإمامي الهدى، من إمام الهدى والمتقين أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وامتدادهما الذرية المباركة، والسلسلة الإمامية المباركة من الإمام الحسين عليه السلام، وخاتمهم الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه)، الذي يملأ بنوره الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً...

وسيكون استمداد موضوعنا بالنصوص المباركة من كتاب (الخصائص الفاطمية) لمؤلفه (محمد باقر الكرباسي) والمترجم من قبل (سيد علي جمال أشرف) إلى اللغة العربية، والمتكون من جزئين، طبع مطبعة شريعت، سنة (١٣٨٠هـ).

أولاً: انبثاق النور ومباركة الدنيا بها[٤]:

من الكرامات المروية عن فاطمة الزهراء عليها السلام، بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله دخل (... يوماً فسمع خديجة تحدث، قال صلى الله عليه وآله: يا خديجة، لمن تحدثين؟ قالت: أحدث الجنين الذي في بطني فإنه يحدثني ويؤنسني، قال صلى الله عليه وآله: يا خديجة،

أبشري فإنها أنثى، وإنها النسلة الطاهرة الميمونة، فإن الله جعلها من نسلي، وسيجعل من نسلها خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه...).

(وقيل: ولدت عليها السلام لخمس سنوات قبل البعثة، وقيل: بعد سنة من البعثة، والإمامية ذهبوا إلى القول: بأن ولادتها عليها السلام كانت بعد البعثة بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ولدت فاطمة... سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله. أما شهر ولادتها عليها السلام فقد وقع الخلاف فيه بين شهر رمضان ورجب وربيع الأول وجمادي الأولى وجمادي الآخرة، ولكن الأغلب في العشرين من جمادي الآخرة).

وقد اختار المرحوم الشيخ الحر العاملي جمادي الآخرة أو الثاني، في منظومته المنورة ببضعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

قد ولدت فاطمة الزهراء
البضعة الزكية الحوراء
بمكة الغراء يوم الجمعة
في ملك يزدجرد مبدي السمعة
وذاك قبل رجب بعشر
وقيل قبله بنصف شهر
لخمسة من مبعث النبي
المصطفى المكرم الزكي
وقد روى مخالفٌ ما قبله
بخمسة ومن رواه أبله

والمراد العشرون من جمادي الآخرة، لأنها قبل رجب بعشرة أيام، وحدود سنة الولادة الميمونة بخمسة سنين بعد البعثة... وقيل يوم ولادتها عليها السلام كان يوم الجمعة، وبعض الروايات الثلاثاء، والمرجح الأول، أي يوم الجمعة.

وولدت فاطمة الزهراء عليها السلام في مكة المكرمة، في بيت خديجة الطاهرة، ولم تعش مع أمها خديجة الطاهرة عليها السلام أكثر من خمس سنين.

و(قال الأوزاعي: أخذ النبي صلى الله عليه وآله يوماً بيد فاطمة عليها السلام وقال: من عرف هذه فقد عرفني، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني سميت ابنتي فاطمة لأن الله عز وجل فطمها وفطم من أحبها عن النار.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله شق لك يا فاطمة اسماً من أسمائه، فهو الفاطر وأنت فاطمة، وفي حديث آدم عليه السلام: (وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، وفاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عما يعريهم ويشينهم، فشققت لها اسماً من اسمي).

ويروى إن الملائكة فزعت - من الظلمة - ودعت الله أن يكشفها عنهم، فخلق الله قنديل أو قناديل من نور الزهراء عليها السلام الزاهر، وعلقها بالعرش فانكشفت الظلمة، ولذا سميت فاطمة الزهراء عليها السلام بالزهراء...

ثانياً: كنى فاطمة الزهراء[٤]:

الكنية تقوم مقام الاسم، وبها يعرف صاحبها كما يعرف باسمه،

والعرب يكنون أبناءهم وبناتهم بأحسن الكنى وأجملها، وذلك للتفاؤل بالخير... وفاطمة عليها السلام قد اشتهرت بكنى عديدة، شهرت بعضها متداولة ليومنا هذا، ويمكن إجمال كناها بما يأتي:

(أم أسماء)، وقيل أم الأسماء. و(أم الهناء)، وهي أم الهناء لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال عليه السلام: ما رأيت من فاطمة عليها السلام، مكروهاً وما أغضبتني قط. ومن الكنى أيضاً (أم العلوم) لعلمها عليها السلام، وفي حديث (عيون المعجزات) إنها قالت عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام: (ولو أردت حدثتك عن علوم الأولين والآخرين). وكنيت عليها السلام بـ(أم الفضائل) وهي أعم من الكنية السابقة، حيث أن العلم والمعرفة أحد الفضائل النفسانية لفاطمة الطاهرة المرضية... وأيضاً كنيت بـ(أم الكتاب)، وهو تكريم لكل امرأة خلقها الله عز وجل.

أما سائر كناها فتعود لأحد أبناءها وبالخصوص ابنيها الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام معاً، ومنه (أم الحسن)، (أم الحسين)، (أم السبطين)، (أم الريحانتين)، (أم المحسن)، (أم البررة)، (أم الأزهار)، (أم الأئمة المعصومين)، (أم النجباء)، (أم الأخيار)...

وفي مقاتل الطالبيين، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إن فاطمة تكنى بأم أبيها)، وفي كشف الغمة (إن النبي صلى الله عليه وآله كان يحبها ويكنيها بأم أبيها).

ثالثاً: أسماؤها[٤]:

ولبضعة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، أسماء عديدة منها ما ذكره أبو جعفر القمي عن كتاب المناقب وبحار الأنوار، وهي: فاطمة، البتول، الحرة، السيدة، العذراء، الزهراء، الحوراء، المباركة، الطاهرة، الزكية، الراضية، المحدثة، مريم الكبرى، الصديقة الكبرى. ويقال لها في السماء: النورية، السماوية، الحانية.

وعن أبي عبد الله عليه السلام حينما سئل عن فاطمة عليها السلام لم سميت الزهراء؟ فقال عليه السلام: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض.

رابعاً: حب الرسول الأعظم(ص) لفاطمة[٤]:

لم يقتصر حب النبي الكريم صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام، لكونها ابنته فحسب، بل لكونها الأنموذج الحي للمرأة بكل القياسات أو المقاييس المادية وغير المادية... لذا روي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون)، وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل منه: (ففاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي وروحي التي بين جنبي وهي الحوراء

الإنسية).

والنبي صلى الله عليه وآله لم ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وبهذا روى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أفضل رجال العالمين في زماني هذا علي عليه السلام، وأفضل نساء الأولين والآخرين فاطمة عليها السلام).

وقال صلى الله عليه وآله: (مريم سيدة نساء عالمها، وفاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها عديلة مريم).

ولم تكن بهذه المكانة إلا من خلال ما بينه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: (إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها). وفي صحيح البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)، ولتفرح كل امرأة في الكون بإكرام المرأة بشخص فاطمة الزهراء عليها السلام وما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أول شخص يدخل الجنة فاطمة).

وقد نزل في رضا فاطمة عليها السلام آي الذكر الحكيم في قوله: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (سورة الضحى/ الآية:٥). روي في سبب نزولها أنه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام وعليها كساء من ثلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله لما أبصرها، فقال صلى الله عليه وآله: يا بنتاه، تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ (ولسوف يعطيك الله فترضى).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنها روحي ونفسي وقلبي وبضعتي وثمرة فؤادي ونور بصري وفلذة كبدي وشجنتي، وإنها مني وأنا منها)، بالإيمان والإخلاص كله، وبالدم واللحم والفكر والنفس والسلوك الأقوم... ولذا كانت المحبة ذاتية في كونه صلى الله عليه وآله أبوها، والممثل لمحبة أرقى الأبوة... وبالمحبة الموضوعة، لما كانت تحمل من أهلية وصفات جليلة، وسلوك أرقى وأقوم ما يحمله الإنسان المتكامل، بكل معاني التكامل...

وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: يا فاطمة أبشري، فإن الله تعالى اصطفاك على نساء العالمين، وعلى نساء الإسلام وهو خير الدين).

وروى مجاهد أيضاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن فاطمة شجنة مني، يسخطني ما أسخطها، ويرضيني ما أرضاها). وفي رواية أخرى عن ابن مخرمة إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني).

خامساً: مكانة فاطمة الزهراء[٤]:

بالإضافة إلى ما تقدم يمكن أن نرى ما لمكانة بنت الرسول صلى الله عليه وآله عند الله من خلال الروايات في كتاب (الخصائص الفاطمية)، عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسن والحسين عليهما السلام: أنتما كفتا الميزان، وفاطمة لسانه، ولا تعدل الكفتان إلا باللسان، ولا يقوم اللسان إلا على الكفتين، أنتما الأمان ولأمكما الشفاعة...).

وهو دليل على عظمة فاطمة عليها السلام وعلى مكانتها، ومن خلالها مكانة الأمهات والأمومة في الإسلام، ومكانة واحترام المرأة الرفيعة التربية في الإسلام...

وفي نزهة المجالس عن النبي صلى الله عليه وآله

قال: (أنا الشمس، وعلي القمر، وفاطمة الزهرة، والفرقدان الحسن والحسين).

وقال عليه السلام: (إن الله تعالى أعطى عشرة أشياء لعشرة من النساء: التوبة لحواء زوجة آدم عليه السلام، والجمال لسارة زوجة إبراهيم عليه السلام، والحفاظ لرحمة زوجة أيوب عليه السلام، والحرمة لآسيا زوجة فرعون، والحكمة لزليخا زوجة يوسف عليه السلام، والعقل لبلقيس زوجة سليمان عليه السلام، والصبر لبرخانة أم موسى عليه السلام، والصفوة لمريم أم عيسى عليه السلام، والرضا لخديجة زوجة المصطفى صلى الله عليه وآله، والعلم لفاطمة زوجة المرتضى عليهما السلام).

وهو دليل على مكانة المرأة في الإسلام، الاجتماعية والثقافية والعلمية، لكون فاطمة الزهراء عليها السلام تمثل أرقى سلوك إنساني وفق شريعة الإسلام السمحاء، التي تسع كل مخلوق، بما فيه تطوره ونموه وحضارته ومستقبله...

وعن ابن عباس أنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقى آدم من ربه فتاب عليه؟ قال صلى الله عليه وآله: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ، فتاب عليه).

وروى عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وآله: (فاطمة وعلي والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبة بيضاء سقفها عرش الرحمن عزوجل).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (رضا فاطمة رضاي، وسخط فاطمة سخطي).

وهذا جانب مما يظهر مكانة سيدتنا الكريمة فاطمة الزهراء عليها السلام عند الله عز وجل، وعند رسوله صلى الله عليه وآله، كونه الأب والمربي والنبي، وعند كل مؤمن ومؤمنة، وعند زوجها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وما سنتناوله لاحقا... ومن أرادت الاقتداء بها، ستلحق بها، لتكون رفيقتها في جنان الخلد...

سادساً: السلوك الاجتماعي والأخلاقي عند فاطمة الزهراء[٤]:

لابد من القول بأن السلوك منعكس عن طبيعة الفكر والتفاعل معه نفسياً، وكلما كان الإيمان بالفكر أعمق، تجسد في السلوك أو الفعل أو العمل، وكان المسير والمسيطر... فما كان مبني على قويم ونقي الفكر، كانت نتائجه الحتمية والطبيعية قويمة وطيبة، وما كان مبني على منحرف وملوث الفكر، كانت نتائجه الحتمية والطبيعية منحرفة وعواقبها الدنيوية والأخروية وخيمة...

ولا يكون قويم الفكر ونقيه، إلا من بعد تربوي وأخلاقي وأرضية صالحة لنمو مكارم الأخلاق، فهناك السوك الاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي والسياسي... ومنها يكون السلوك المتسلسل أو المتتابع لمجموعة من الاستجابات، من الأعمال الجسمية الظاهرة والباطنة، أو المادية وغير المادية.

وطبيعي أن تكون فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة الرسول صلى الله عليه وآله، بضعته الجسدية والفكرية، وما لها من استيعابات واستعدادات عقائدية متفاعلة مع الفكر والنفس، لتسلك السلوك العقلاني الرشيد، التي يتوجب أن تسترشد به كل مؤمنة مخلصة لنفسها ومكانتها وعقيدتها ودينها...

وصورة من صور سلوكها الاجتماعي ـ الأخلاقي، ما يظهره كتاب نوادر الراوندي، قال: قال علي عليه السلام: (أستأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت عليها السلام: إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهم يشم الريح. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشهد أنك بضعة مني).

والبضعة لا تقتصر على الامتداد البيولوجي للإنسان، بل بالفكر والعقيدة وبالعلم والمعرفة والتفكير والاستيعاب والهداية، والغور في فلسفة الأمور...

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (عاشرت فاطمة تسع سنين، فلم تسخطني ولم أسخطها).

ويعني إنها لم تبدأ زوجها بالسخط، ولم يبادلها السخط، وليسمع كل زوج وزوجة هذا التقارب الروحي الواجب توافره في العلاقات الزوجية الخلاقة، لبناء البيت الأسري المتناهي بالسعادة والتفاهم والمحبة والإخلاص...

وحتى في مختلف الأمور يقول الإمام علي عليه السلام في علاقاته الزوجية والإنسانية والاجتماعية والنفسية والروحية: (فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان).

وبهذا يقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله: (خير هذه الأمة من بعدي علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين، ومن قال غيرها لعنه الله)، وفي حديث آخر: (خير أهل الأرض محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين).

وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام بـ(أم الهناء) وهي أم الهناء لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال عليه السلام: (ما رأيت من فاطمة عليها السلام مكروهاً، وما أغضبتي قط).

هكذا هي الحياة الأسرية الإسلامية، فيها المحبة والتسامح والألفة وكل الخير والبركة الدنيوية والأخروية، لبناء أجيال المحبة والسلام، للذات والمجتمع بأرقى سلوك...

سابعاً: زواج فاطمة الزهراء[٤]:

انطلق النداء السماوي، ليحفل أهل السماء والأرض، بأسعد لحظات البهجة وشرح الصدور، ففي حديث التزويج أن جبرئيل عليه السلام هبط إلى خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وقال: زوج النور من النور، قال صلى الله عليه وآله: من ممن؟ قال عليه السلام: بنتك فاطمة من ابن عمك علي بن أبي طالب عليها السلام.

فما أروع ما اختار الخالق عز وجل، لخير خلقه، وكما قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (أفضل العالمين في زماني هذا علي عليه السلام، وأفضل نساء الأولين والآخرين فاطمة عليها السلام).

وانطلق أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ليحقق النداء لأرقى بناء أسري عرفه التاريخ، فقد خطب عليه السلام فاطمة الزهراء عليها السلام من ابن عمه صلى الله عليه وآله، في السنة الثانية للهجرة بعد رجوعه من بدر، فولدت له خمسة ذكوراً وإناثاً، فانتشر منها نور النبوة والعصمة في ذريتها الطيبة، الذي قول الرسول الأعظم: (كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم)، وفي

رواية: (لكل بني أنثى عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم).

وفي الحديث: (لو لم يكن علي لما كان لفاطمة عليها السلام كفؤ)، وفي رواية: (لو لا علي لما كان لفاطمة كفؤ إلى يوم القيامة)، وفي رواية أخرى: (لو لا علي لما كان لفاطمة كفؤ).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام مفتخراً:

ولي الفضل على الناس بفاطم وبنيها
ثم فخري برسول الله إذ زوجنيها

وقال صاحب ناسخ التواريخ: دخل النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة الطيبة يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وكان زفاف فاطمة عليها السلام في السادس من ذي الحجة في السنة الأولى من الهجرة، وولد الإمام الحسن عليه السلام يوم الثلاثاء النصف من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، والعلم عند الله.

وفي الخبر: (كان زواج فاطمة عليها السلام بعد بدر بأيام يسيرة).

وروى النسفي: أن فاطمة سألت النبي صلى الله عليه وآله أن يكون صداقها شفاعة الأمة يوم القيامة ولها الشفاعة.

وامتدادها هذا الدرس في بناء الأسرة، يروى بأنه لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء عليها السلام قالوا: بالرفاه والبنين، قال صلى الله عليه وآله: لا بل على الخير والبركة.

ثامناً: ارتقاء فاطمة الزهراء[٤] إلى الباري عز وجل:

وكما قال أمير البلاغة والمؤمنين الإمام علي عليه السلام: (الدنيا ممر ولا دار مستقر)، فقد أدت خير نساء العالمين عليها السلام رسالتها لتلتحق بالرفيق الأعلى وبأمها وأبيها عليهم الصلاة والسلام، والذي قال أمير المؤمنين عليه السلام: (عاشرت فاطمة تسع سنين، فلم تسخطني ولم أسخطها). هكذا كانت مسيرتها في الحياة الدنيوية، وبما يسع موضوعنا...

وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا ابنته فسارها فضحكت، فسألتها عائشة، فقالت: إذاً إني لبذرة، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله قالت فاطمة عليها السلام: (إنه صلى الله عليه وآله أخبرني بموته فبكيت ثم أخبرني أني أول أهله لحوقاً به فضحكت).

وقد أخبر الأئمة المعصومين عليهم السلام بأن عمر فاطمة عليها السلام ثمانية عشر عاماً وبضعة أشهر... وفي رواية كانت وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة عليهم السلام في ١٣ جمادي الأول في سنة ١١ للهجرة...

وهكذا تعيش الزهور، وترحل وطيبها باق، رمز لأرقى امرأة عرفها التاريخ، إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض، وما أروع أن قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: (ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان).

وحقاً كما قال الشاعر:

ولو كان النساء بمثل هذي
لفضلت النساء على الرجال

فلا عجب، فهي النور الأعظم من النور الأعظم إلى النور الأعظم، فسحقاً لمن آذاها وآلمها، ونعيماً لمن سرها وأسعدها...■

وقفت وفي حلقي شجىً*

• شعر:
السيد مدين الموسوي

وقفتُ عَلى قبرِ النبي وَأعيني تكادُ بأن تأتي عَليها دموعُها
وأرخيتُ أجفاني لتسكبَ عَبرة تفجّر من أرضِ العراقِ نقيعُها
بكيتُ بها حُـزنـاً لآل محمّدٍ وقد راعني في كلّ أرض مضيعُها
لماذا عفتْ منهم قبور وَغيرهم تـلألأُ نـوراً بالنعيم شموعُها
لماذا خبتْ منهم شموس وغُيبتْ بـدورٌ مع القرآنِ كانَ طلوعُها

* * * * *

وقفتُ وفي حَلقي شجىً يستفزني وقد هدَّ من تلك العماد رفيعُها
أسائِلها الزهراء كيفَ تهشمتْ عشية خلف البابِ عَمداً ضلوعُها
أسائل عن نـارٍ ببابكِ لم تزلْ تحرّق أكباداً تضرّى صَديعُها
أسائل عن أرضٍ وقد ضمّ تربُها طهارةَ أجـداثٍ عَبيراً تضوعُها
فماراعني إلا صدىً جاوبَ الصدى وَقد صُمَّ من تلك القلوب سَميعُها
هي الآن قاعاً صَفصَفاً غيرَ أنها تحشدُ أمـلاكَ السماءِ ربوعُها

* * * * *

سلاماً أبا الـزهـراءِ إنَّ عصابة توالتْ على إيذاكَ ساءَ صنيعُها
وأنّ يـداً أعفتْ قـبـوراً بطيبةٍ وباسمك بعد الله زال خنوعُها
لها من أكـفٍّ سالفاتٍ وراثـة غداة أحاطتْ بالحسينِ جُموعُها

* قصيدة منتقاة من كتاب (للزهراء شذى الكلمات).

وأنَّ أكفاً أضرَمتْ بابَ حيدرٍ بنارٍ وللزهراءِ راحتْ تروعُها
هي الآن تمري الضرع سُمّاً تدوفه فتقطرُ من حقدٍ علينا ضروعُها
تبادلنا كأساً بكأسٍ نقيعةٍ فنسكرُها حُباً وَيطغى نقيعُها
لقد رويتْ منّا دماءً ولم يزلْ يطاردُ أشلاءَ الملايين جوعُها
وقد قطعتْ منّا رؤوساً كريمةً وقد أضرمتْ ناراً ترامى وسيعُها
فمنّا بكوفان أبيحتْ حَرائرٌ وبغدادَ ما زالتْ تسيلُ صدوعُها
وَفي كربلا حَيث الزمان تَفصّمتْ عراه وقد جلّى السماء صديعُها
وَفي أرض فخٍّ لا تزال جماجم معلّقة مالتْ عَليها جذوعُها
وَقد حسبتْ أنّا إذا السيف حُكّمتْ قواعدُه فينا تطولُ قطوعُها
وَقد حسبتْ أنّا إذا غابَ بعضنا وأخلى لها دَرباً يسودُ جميعُها
وَما علِمتْ أنّا بقية صرخة تردّد في صُمِّ الزمان رجيعُها
وأنّا غراسٌ ثابتاتٌ بأصلِها وقد ناطحتْ هام السماءِ فروعُها

* * * * *

عَزاءً أبا الزهراءِ لَستُ مُعزياً سواكَ بمَنْ يوم الحسابِ شفيعُها
بأمةٍ ظلم أجمَعتْ فيكَ رَأيها وعنكَ تَخلّى جلفها وَقطيعُها
وطالَ بوجه الله عمْداً وُقوفها وفي حضرةِ الشيطانِ دامَ ركوعُها
غداة أزاحتْ عن عُلاها عَليّها ورُفِّعَ مِن جهلٍ عَليها وَضيعُها
وراحتْ تكافيكَ الصنيعَ فَتارة بنارٍ وَأخرى سُمّها ونقيعُها
وَفي كَربلا لم تُبقِ منكَ بَقيةً ليفنى عَليها شَيخُها وَرضيعُها
وَأخرى وقدْ لاحتْ لآلكَ قُبةٌ يُلامسُ أبراجَ السماءِ سُطوعُها
عفَتها لتعفي نُورها وَسموّها وقد خابَ إلا أنْ تطولَ صنيعُها
عَزاءً أبا الزهراءِ في كلّ بقعةٍ تساوى عَليها طفُّها وبقيعُها

الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقي

• أ. د. حسن الحكيم
رئيس جامعة الكوفة

ينابيع كان اهتمام الكثير من المستشرقين بالسيرة النبوية الشريفة فصدرت كتب بلغات عديدة، وترجم بعضها إلى اللغة العربية وهي تتأرجح بين السلب والإيجاب أو بين التعصب والحياد، ومن خلالها تبرز السيرة العلوية وطابعها البطولي، والسيرة الفاطمية وملامحها التاريخية، ويرد اسم الزهراء عليها السلام في أثناء تعداد أبناء وبنات النبي صلى الله عليه وآله.

فيقول المؤرخ الهندي السيد أمير علي(Ameer Ali، sayed) إن فاطمة عليها السلام هي أصغر أخواتها، وقد لقبت بالزهراء، لجمالها، ويدعوها المسلمون (سيدتنا)، وقد تزوجت من الإمام علي عليه السلام[1].

واستعرض المستشرق (ارندنك) (C.Van، Arendonk) ذرية النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله قال: إن لأبناء فاطمة الحق الأول في أن يسموا (أبناء رسول الله) فينتسبوا بذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله، ولذلك فإن عبارة (ابن رسول الله) هي العبارة المفضلة في مخاطبتهم، وقد استقى معلوماته من مصادر إسلامية منها:

الطبراني، وابن حجر، والنبهاني، عند تعرضهم للحديث النبوي الشريف (كل أبناء آدم ينتسبون إلى عصبة أبيهم، إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم، وأنا عصبتهم)[2].

وتحدث المستشرق (دونلدسن) عن غزوة الحديبية وقال: إن النبي صلى الله عليه وآله

فاطمة

بضعة منه

قد اصطحب معه الحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، وقد عقب على ذلك بقوله: (ولا يمكن أن يخلفه حفيداه إلا إذا اعترفت بعلي خلفاً له، فإنه ليس من عادة العرب رد النسب إلى ابنته فاطمة)[٣].

وقد خفي على هذا المستشرق أنه في التشريع الإسلامي نصوص مستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف معارضة للأعراف الاجتماعية القديمة، القائمة على التقاليد الجاهلية، ولعل أهم مشكلة يتعرض لها الكثير من المستشرقين هي عدم فهمهم للإسلام ونظمه، وعدم إحاطتهم باللغة العربية وبلاغتها، وإنما يأخذون النصوص وفق ملامحها الظاهرية.

وتطرق المستشرق (دونلدسن) إلى وفاة الزهراء عليها السلام، معتمداً على المؤرخين ابن سعد واليعقوبي وعلى المحدثين أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم، دون الرجوع إلى المصادر الإمامية.

في حين أن المستشرق الفرنسي (لامنس) قال: إن فاطمة عليها السلام ماتت ولم تتجاوز الشباب[٤]. وهو بذلك قد اقترب من روايات الإمامية في عمر السيدة فاطمة عليها السلام عند وفاتها، والمدة التي قضتها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، وعند حديث المستشرق (دونلدسن) عن وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أورد نصاً اقترب فيه من رأي الشيعة الإمامية جاء فيه: (ثم دعا علياً إليه، فوضع رأسه في حجر علي، وتغيرت سحنته، وعرق جبينه، وكانت فاطمة جالسة قربه، فلما رأت ذلك قامت حزينة، وأخذت بيدي الحسن والحسين، وجعلت تندب أباها، ففتح الرسول عينيه، ووضع رأسه على صدرها، ودعا وقال: اللهم ألهم فاطمة الصبر، ثم قال: أبشري يا فاطمة فستكونين أول من يلحق بي، وجعل يعالج سكرات الموت، فأخذت تبكي بكاءً شديداً، فأراد علي إسكاتها، فقال النبي: دعها تبكي أباها، ثم أغمض عينيه وأسلم روحه[٥].

وأعطى (دونلدسن) ملامح من الوضع العام في المدينة المنورة عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله بقوله: (فبلغ أبا بكر وعمر إن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي في منزل فاطمة بنت رسول الله، وزوج علي، فذهبا ليطلعا على دخيلة الأمر)[٦].

وفي الحقيقة أن أبا بكر وعمر وجماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار من يخلف النبي صلى الله عليه وآله في إدارة الدولة، وأرسل إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام جماعة لاستطلاع الأمر، حيث كان الإمام علي عليه السلام وبعض الصحابة منشغلين في تجهيز النبي صلى الله عليه وآله استعداداً

لدفنه، ولم يكن أمر الخلافة والوصول إلى السلطة في هذا الوقت المبكر من وفاة النبي صلى الله عليه وآله في حساباتهم وتفكيرهم، وقد توقع المسلمون أن هذا الموضوع قد حسم أمره في بيعة الغدير، وأن أمير المؤمنين عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه.

وتحدث المستشرق (دونلدسن) عن فدك وميراث فاطمة عليها السلام بقوله: (ولم يمض على وفاة الرسول زمن طويل حتى جاءت فاطمة ومعها علي إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها، فقال لها: أشهدكما الله، ألم تعلما أو تسمعا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، قالا: نعم ولكن رسول الله كان ينفق على أهله وهو بار بهم)[٧].

وكان ينبغي على هذا الباحث والمؤرخ الوقوف على حقيقة الحديث المروي (نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة)، وعلى خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في اضعافه، لأنها أقرب زمانياً ومكانياً من صدور الأحاديث الشريفة، وإذا كان الحديث المذكور صحيحاً وسليماً كيف جاز للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز عدم الأخذ بمضمونه.

وقد كشف المستشرق (فلهوزن) عن هذا الجانب بقوله: أن قضية فدك قد تداولها الحاكمون حتى عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) فردها إلى ما كانت عليه أول أمرها، وأعطاها لآل النبي صلى الله عليه وآله، وبذلك ألغى عمر بن عبد العزيز ما كان قد جرى عيه أبو بكر وعمر، ومعنى هذا أنه لم يكن يتبعهما اتباعاً تاماً[٨].

وكان لقب (الشريف) قد لحق بأبناء فاطمة عليها السلام من ذرية الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وقد أشار المستشرق (ارندك) إلى أن هذا اللقب قد أطلق فيما بعد على أبناء محمد بن الحنفية، أو أبناء الإمام علي الآخرين، وكذلك لأبناء أخيه جعفر وأخيه عقيل، وأبناء عمه العباس[٩].

وقد اعتمد على المؤرخين الذهبي والسيوطي في ألحاق لقب الشريف بهؤلاء حتى قيل: الشريف العباسي أو العقيلي أو الجعفري أو الزينبي، وقال: (غير أن هذا ليس له كبير دلالة بالنسبة للصدر الأول)[١٠].

ومن الملاحظ أن الشريف الطالبي أو العلوي في العصر العباسي قد ألحق بسلالة الحسن والحسين عليهما السلام، أما لقب الشريف الهاشمي فإنه ألحق بسلالة العباس بن عبد المطلب.

وكان بعض المستشرقين قد استقى من آية التطهير (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[١١] ومن الحديث الشريف: (الكساء أو العباءة) أن آل البيت عليهم السلام هم من سلالة علي وفاطمة عليهما السلام.

ويقول: إن أهل الكساء يطلق على آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين[١٢].

وذكر المستشرق (ارندنك): أن لقب (السيد) يطلق على العلويين دون غيرهم من الهاشميين، وقد اعتمد على كتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) لابن عنبة الداودي، وكتاب

(تاريخ الإسلام) للذهبي، وكتاب (نهاية الأرب) للنويري، وكتاب (العقود اللؤلؤية) للخزرجي، وقال: إن الفاطميين في مصر قد أطلقوا لقب (الشريف) على أبناء الحسن والحسين عليهما السلام، وبقي هذا اللقب إلى أيام المؤرخ السيوطي المتوفى عام (٩١١هـ).

أما لقب (السيد) فإنه بقي يلازم أبناء الحسن والحسين عليهما السلام في حضرموت[١٣]. وربط بين لفظ السيد الذي تعارف عليه الناس على مدى التاريخ وبين الأحاديث النبوية الشريفة التي أشارت إلى هذا اللفظ كقول النبي صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، ومخاطبة كل من الحسن والحسين عليهما السلام بلفظ (سيد العرب وسيد المسلمين).

كما لقبت فاطمة الزهراء عليها السلام بلقب (سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة) وقد أطلق على الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لفظ (سيد الناس)، وقد حاول المستشرق (ارندنك) من خلال هذه الأحاديث الشريفة، إعطاء صفة العمق التاريخي لتلكم الألفاظ الدالة على مكانة أهل البيت عليهم السلام، معتمداً على كتب الصحاح والسنن ومصادر التاريخ، وقد أشار إلى (حديث الثقلين) المرتبط بأهل البيت عليهم السلام، وقال: إن الصدقة لا تجوز عليهم، وأشار إلى أن بعض المصادر تشير إلى الطالبيين والعباسيين في حرمة الصدقة عليهم[١٤].

وأن خاتمة القول عن حديث المستشرقين عن الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام هو موضع قبرها، إذ من الصعب الجزم على موضع معين كما أشارت المصادر والروايات، ولكن أقربها إلى الواقع أنها دفنت في بيتها، وعفي موضع قبرها، وأن مصادر الإمامية الصريحة في هذا المعنى.

ولكن المستشرق (دونلدسن) يجزم أنها عليها السلام دفنت بالبقيع، ودفن بالقرب منها ولدها الإمام الحسن[١٥] عليه السلام. وإن رواية دفن الزهراء عليها السلام بالبقيع قد تضعفه بعض الروايات، وإن من الثابت تاريخياً أن الإمام الحسن عليه السلام دفن بالبقيع، وبقرب جدته فاطمة بنت أسد، ولعل (دونلدسن) خلط بين الفاطميتين ونحتاج في الوقت الحاضر إلى دراسات علمية دقيقة للمجهود العلمي الذي بذله المستشرقون في دراسة التراث الإسلامي، والوقوف على الحالات التي تلتقي مع فكرنا الإسلامي أو المتعارضة معه

(١) Ameer Ali، syed: Ashort History Of the Saracen.p.٨.
(٢) ارندنك، دائرة المعارف الإسلامية، ١٣/٢٧٤، مادة (شريف).
(٣) دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص٢٣.
(٤) لامنس، دائرة المعارف الإسلامية، ٧/٤٠٠، مادة (الحسن بن علي).
(٥) دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص٣٠.
(٦) المصدر السابق، ص٣٢.
(٧) المصدر السابق، ص٣٦.
(٨) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص٢٨٧.
(٩) ارندنك، دائرة المعارف الإسلامية، ١٣/٢٦٨.
(١٠) المصدر السابق.
(١١) سورة الأحزاب/ الآية:٣٣.
(١٢) ارندنك، دائرة المعارف الإسلامية، ١٣/ ٢٦٧، مادة (شريف).
(١٣) ارندنك، دائرة المعارف الإسلامية، ١٣/ ٢٦٩-٢٧١، مادة (شريف).
(١٤) المصدر السابق، ١٣/٢٦٧.

كلمة العدد

الجديد في المسيرة

المشرف العام ٤٠

قرآنيات

المقتضى البياني للتكرار القرآني

د. مشكور العوادي ٤٢

التذكير والتأنيث في الصفات الجارية مجرى الفعل

د. هادي عبد علي هويدي ٤٨

رد على: أثر القرينة اللفظية في معاني الألفاظ

السيد أحمد الحكيم ٥٣

آمن الرسول

عقيدة التوحيد

السيد محمد علي الحكيم ٥٦

المثلية في البشرية وعصمة الأنبياء

السيد عبد الستار الجابري ٥٩

استطلاع المجلة

مقام إبراهيم الخليل(ع) وصرح نمرود

حيدر الجد ٦٨

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٨٦

واحة الأدب

عينية الشيخ قاسم محيي الدين

د. حسن الخاقاني ٩٠

قصيدة: إلى الزهراء البتول(ع)

المهندس عبدالرزاق عبود الأسدي ٩٧

قصيدة: يا واهب الأجيال

محمود محمد حسين الموصلي ٩٨

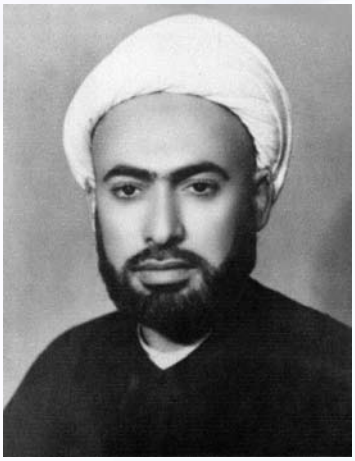

ص١١٨

ص٩٠

ص١٣٨

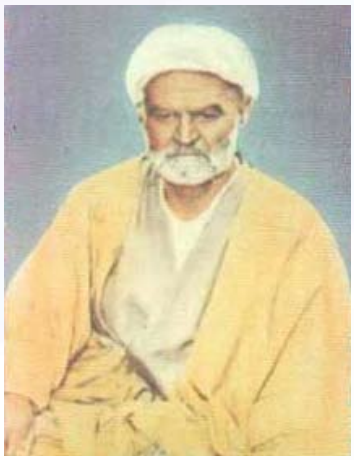

ص١١٢

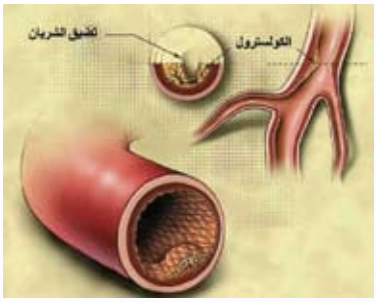

ص١٥٥

ص١٢٢

إضاءات السيرة

سيرة أهل البيت(ع) ودورهم في حياة الأمة

د. حسين سامي شير علي ١٠٠

العودة إلى بغداد/ الحلقة٢

علي سـعد النجفي ١٠٨

للفضيلة نجومها

الشيخ محمد جواد مغنية كوكب في سماء جبل عامل

حيدر المالكي ١١٢

الشيخ جعفر محبوبه مؤرخ النجف وحافظ تراثها

م. م. علاوي عباس العزاوي ١١٨

في النفس والمجتمع

دراسة في التربية عند العالم الشيعي ابن سينا

د. أسـامة النجفي ١٢٢

الجاهلية المعاصرة

الشيخ محمد الغراوي ١٢٧

طروحات عامّة

أضواء على كتاب الإسماعيلية

خليل إبراهيم المشايخي ١٣٨

العسل قديماً وحديثاً/ الحلقة٢

أ.د. يسار محمد حسن الشماع ١٤٤

التطور العمودي في اللغة

م. م. عبد علي حسن ناعور ١٥٠

الكولسترول وصحة الإنسان

م. م. نبيل سـليم تويج ١٥٥

الحاج الشاعر سمعو عبدالكريم الدرويش

من (المتحولـون) ١٣٦

في الذاكرة ٦٦

من شهداء الإرهاب ١٦٠

مسـابقة العدد ١٦١

كلمة العدد

الجديد في المسيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الصبر المرير والمعاناة التي كانت تعصف بالأمة تحرك الركب ضمن المسيرة التي كان قد خطط لها من قبل العاملين، مع ظهور هنات هنا وهناك، مما أظهر حقائق كانت خافية على الصعيد العام... على الذين منحوا الثقة لكثير من العناصر العاملة التي كانت تلبّس عليهم، وتظهر بالمظهر المدافع عن الحقوق، والداعي لإصلاح الفساد المستشري في معظم مكونات الهيئات والمنظمات العاملة.. فظهرت النفوس على حقيقتها بشكل مريع.. وبرزت في الأفق علامات حب التسلط والهيمنة على المقدرات.. تلك التي كانت السبب الرئيس في دفع الكثير لمنح تلك الثقة الآنفة الذكر من أجل استعادتها لأصحابها، أو المحافظة عليها من الضياع أو الهدر.. ولكن قلنا فيما سبق: إن النفوس لا سلطان عليها من الهوى، ولا سبيل لإصلاحها إلا بالتقوى.. لذا تبقى النزعات الشريرة الكامنة في النفوس عاملاً مشتركاً بين جميع الأفراد بشكل عام ـ إلا من عصمه الله ـ واختلاف ألوانها وأشكالها لا يؤدي إلى اختلاف تأثيرها في الخارج..

وقد لاحظنا ونحن ننظر من بعيد وجه التشابه الكبير بين بعض العناصر ذات الطابع المشترك الآنف الذكر وعناصر أخرى أصبحت في مزبلة التاريخ، وقد نبهنا إخواننا كثيراً إلى ذلك، ولا يعدّ ذلك نتيجة العمق السياسي، أو من دراسة معمقة في الواقع الميداني المعاصر، بل هو معرفة بواقع البشر، وما جُبل عليه من حب ذاته، والجري نحو غرائزه وشهواته، مع قوة التأثير وضعفه المتعاكسة مع قوة الإيمان وضعفه.

وعلى كل حال تحركت المسيرة الآن.. وتهيأت المجاميع العاملة لبدء مرحلة جديدة هي لاحقة مراحل مرت.. ولا ندري هل يتعظ اللاحق من السابق؟! وهل يستفيد من أخطائه الفادحة؟! أو أن ما تحكم في السابق من العواطف وحب الذات يتحكم في اللاحق.. ويبقى العاقل من خبرته التجارب، واتعظ بغيره.

والأمر الهام الذي يدعونا إلى الحديث بهذا الشكل، والنيل من ذوي الأنانية وحب الذات هو أن مستقبل الأمة بجميع مصنفاته من الرقي والحضارة المتألقة، إلى العيش بسلام في حفظ المال والأنفس وغيرهما، بيد أولئك العاملين.. وحقوقهم مرهونة بإرادة القائمين عليها. لذا فأي خلل في ذلك يعود بالضرر على شعب برمته، وينذر بوقوع كارثة جديدة تحاكي تلك الكوارث التي نعيشها اليوم، والتي عاشتها الأمة سنين طويلة.. فترجع عليهم المسؤولية العظمى، حتى أثر عن الأئمة عليهم السلام أنه يؤتى للعبد يوم القيامة

بقارورة فيها قطرة دم ويقال له: هذا نصيبك من دم فلان. وذلك لأنه تكلم ـ مثلاً ـ بكلام له مردود سلبي، وانتقل إلى آخر، وثالث، حتى أدى ذلك إلى سفك دم حرام.

وفي الوقت ذاته على أصحاب الحقوق المهضومة عدم الرضوخ للواقع الخارجي وما تمليه عليهم المفارقات السياسية.. وعدم السكوت عن حقوقهم، فقد ورد أيضاً عن الأئمة عليهم السلام إن العبد يسأل يوم القيامة.. فيعتذر بأنه مسلوب الحق وليس له سلطان، فيجاب: أليس أرض الله واسعة فلماذا لم تهاجر؟! وهو يتضمن دلالة واضحة على عدم مشروعية السكوت على هضم الحق، والرضوخ لتحمل الظلم والتعسف، إلا إذا كان على حساب قضية أخرى أهم من ذلك.

ومن هنا فالمسؤولية الملقاة على عاتق العاملين على نحوين:

الأول: مسؤولية العمل من قبلهم من أجل استرجاع حقوق المستضعفين، الذين منحوهم الثقة حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، واعتبروهم بمستوى المسؤولية، فأصبحوا أمل الأمة بعد تاريخ طويل حافل بالتضحيات الجسام، ناهيك عن تدخل الرموز الدينية العليا في طبيعة المسيرة، والدفع بها نحو الأمام بشكل أمّن مسيرتها هذه، لما رأته من المصلحة العامة من أجل حفظ التوازن، ولئلا تتفاعل الصراعات الفئوية لتقف في طريق التقدم والوصول إلى الأهداف التي تحفظ للأمة كيانها وحقوقها من الضياع.

وتتجسد هذه المسؤولية بالأعمال الميدانية في ضمن أمور كثيرة لا حصر لها، ويجمعها ـ بعد الإخلاص في العمل فإن المعين هو الله تعالى ـ الجدية والمثابرة، ومتابعة الأمور الخارجية بشكل يضمن إيصال الحقوق المهضومة، كما يضمن إرجاع الحقوق المصادرة. وفي الوقت ذاته يتكفل بسد الثغرات التي ينفذ منها الأعداء بشتى الوسائل.

الثاني: مسؤولية إبداء النتائج على الصعيد العام، ووضع الأمة أمام الأمر الواقع، ليعرف الحق من الباطل، ولا تبقى الأمور خلف الستائر ووراء الكواليس.. فتطلق الاتهامات اللاذعة بشكل ينال جميع الطياف، ويلتبس الأمر على العامة. ولا تقل هذه المسؤولية عن سابقتها لأن فيها أيضاً هضماً للحقوق، ولو حقوق العاملين المخلصين في الميادين المختلفة، كما أنها تضمن تعرية أصحاب المصالح والمفسدين، الذين يلتوون على مصالح الأمة لمصادرة ثرواتها، وهضمها حقوقها، إشباعاً لغرائزهم الدنيئة.. وفي ذلك تعرف الأمة واقعها، وبيدِ مَن زمام أمورها لتنهض منكرة مطالبة بحقوقها بشكل مشروع، فتخلو الذمة حينئذ من المسؤولية تجاهها.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد لها مجدها وكرامتها وحقوقها إنه سميع مجيب ■

المشرف العام

المقتضى البياني.. للتكرار القرآني

• د. مشكور العوادي
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع تعد فرائد القرآن الأسلوبية ومقتضياته البيانية من روائع الإعجاز، فقد أخذت فرادتها من خصوبة القرآن البنائية والموضوعية والهندسية، فكان لكل فريدة منه مغزى إيماني وعرفاني، وفحوى تشريعي وسلوكي، ومنحى بياني وجمالي... وغيرها، مما يوصل بين معابرها إلى مجالات النظامية والاتساق الشامل، إذا بانت بلاغة هذا النص في تطبيق الأحوال وتنزيلها على وفق مقتضيات المقامات والدواعي... ومن هنا، وعلى سبيل المثال، يكشف لنا التكرار القرآني كثيراً من أبعاد ذلك النظام اللغوي وخصائص تركيبة وهندسة محاوره، لذا فإن التأمل بهذه الخصائص والكيفيات لكفيل في رصد الإبانة الإسلوبية وبحث مقتضياتها المتطاولة في سياقها الفسيح.

وورد التكرار القرآني في الأمور المهمة والمعاني الجليلة مقتضى أسلوبي وبياني مقصود لأن فيه شيئاً واضحاً من الإضافة أو تأكيداً متصلاً بالمعنى السابق في سياق يكون التأكيد فيه ضرورة لأداء المعنى المطلوب، من هنا حرص القرآن ـ على أنماطه وأحواله ـ في سياقاته وتعبيراته، إذ بثها في القلوب وثبتها في الضمائر، كما أشار سبحانه وتعالى إلى الغرض من التكرار فقال: (ولقد وصلنا القول لعلهم يتذكرون) (سورة القصص/الآية:٥١)، وقال تعالى: (وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً) (سورة طه/الآية:١١٣) وهنا ذكر الخطابي

في دراسته حول إعجاز القرآن أن قانون البلاغة يقتضي بأن يرخى عنان القول في سياق تربية المعاني في القلوب حتى تحيط بأقطار النفس وفضاءاتها فتنفذ إلى مواقع قياداتها والغلبة عليها متجهة إلى حيث يريد صاحب البيان بتوجيهه وبيانه، وهذا واضح بيّن في سياق التهذيب والتعهد بالنصح والإرشاد، وكذلك في الأحداث المهمة والأمور الجليلة التي يراد لها أن تمثل في النفوس وتحيا في الضمائر، وقد أدرك أهل صناعة الأدب هذه الخاصية البلاغية في رسائل الولاة والسلاطين، وأشاروا إلى أن ما كان صادراً في شأن تفخيم النعمة والترغيب والطاعة والنهي عن المعصية سبيلها أن تكون مشبعة مستقاة تملأ الصدور وتأخذ بمجامع القلوب ويقولون إن العرب كانت تبسط القول لكي يفهم عنها، وتوجزه ليحفظ عنه، وعلى هذا جاء القرآن الكريم نراه يشبع القول في بعض المواقف التي تحتاج إلى ذلك ويوجزه فيما لا يكون لهذه المواقف.

ويعتقد الدكتور محمد أبو موسى (أن التكرار في القرآن هو أحد عناصر بلاغته، وهذا الاعتقاد ليس بجديد، وإنما بنى الدكتور أبو موسى رؤية تحليلية أشارت أولاً إلى حاجة هذا الموضوع إلى دراسة مستقلة تتبين بدقة المعاني التي تكررت والمعاني التي لم تتكرر شارحة أحوال هذا وتلك وصلتها بالمقاصد الأساسية في هذا الكتاب الكريم، ثم بدا له بعد نظرته الأولى في المصحف أن هناك موضوعات لم تتكرر كالمواريث والدين والرهان وأحكام الظهار والمحرمات من النساء وتخيير أزواج النبي ﷺ - وحادثة الافك وبعض ما عوتب فيه ﷺ - كحادثة عبد الله بن أم مكتوم في سورة (عبس) وتحريم ما أحل الله له يبتغي مرضاة أزواجه، وبعض القصص مثل قصة سيدنا يوسف عليه السلام وبعض الأحداث في قصص الأنبياء كلقاء سيدنا موسى مع عبد الله الذي أتاه الله رحمة منه، وكذلك لقائه مع امرأتين تذودان وما شابه ذلك، ويورد بعض الباحثين تعليلات حسنة لعدم تكرار قصة سيدنا يوسف عليه السلام منها أن بها بعض الأحداث التي تقتضي الحساسية الأخلاقية في هذا الكتاب الكريم سترها وعدم شيوعها، فهي تبرز جانباً من سلوك المرأة غير القويم إبرازها

فيه شيء من التفصيل، دعا إليه سياق تجلية الخلق العف النبيل، واقتداره على تجاوز مزالق الفتنة وإن عظم إغراؤها، ومنها أحداث القصة أحداث (شيقة) فهي في مجملها تروي الانتصار الظافر على السلوك غير القويم وطبائع الأنانية الجائرة إلى آخر هذه الأحداث المتجاوبة مع أشواق النفوس ورغباتها في رواية أمثالها.

ومن هذا اللون التحليلي يخلص الدكتور أبو موسى إلى ضرورة الدراسة المستقلة لهذا الباب تتناوله تناولاً شاملاً، تتحدد عندها أحواله بدقة، لأن الموضوعات التي وقع فيها التكرار لم تتكرر بدرجة واحدة وإنما كان يعضها أكثر تصرفاً وشيوعاً على وفق المقتضى، خذ موضوع (الوحدانية) وما يجري في إطارها ويتصل اتصالاً قريباً بمسألة إثارة الإحساس بالربانية وبث الإيمان بكينونة الإنسان في قبضتها، إذ تجد هذا يتكرر بكثرة تفوق غيره من الموضوعات الأخر، وهذا واضح، ومنه قوله تعالى: (له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما) (سورة طه/الآية:٦). وقوله تعالى: (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) (سورة الملك/الآية:١)، وقوله تعالى: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) (سورة الحديد/الآية:٣) وغيرها...

وكأن الكتاب الكريم إنما بنى على هذا، وتتصل به تلك الآيات الكثيرة التي تلفت عقل الإنسان وبصيرته إلى الإصغاء إلى آيات الله في الكون والنفس، فكثير من الآيات تلفت إلى السماء وما يجري فيها من كواكب مسخرة تمضي على أفلاكها بتقدير ونظام دقيق وثابت، وكثير من الآيات تتحدث عن خلق الإنسان والنعم التي أنعمها الله سبحانه وتعالى عليه، من التي تهتف حول الإنسان وفي دواخله بالربانية، ومع هذه الكثرة الهائلة التي نجدها في المصحف الشريف وهي تؤكد وتقرر هذا المعنى لا نستطيع أن نزعم أنها زائدة عن الغرض، لأن تنبيه الملكات وبعثها من الغفلة والجمود أمر صعب جداً، والنفوس في همودها وقرارها على الغفلة في هذا الجانب أمرها عجيب، والعجب منه لا ينقضي، وكأن تحريك الجبال الراسخة أيسر من توجيه الإدراك إلى هذه الناحية، والقرآن يومئ إلى هذا بقوله: (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) (سورة الحشر/الآية:٢١) كما يذكر فريقاً من الناس ويصفهم بقوله تعالى: (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا) (سورة لقمان/الآية:٧).

إذن فهذه المعرفة المحيطة بفطرة الإنسان وملكاته وأحوال نفسه تؤكد لنا أن التكرار الذي يدور حول هذا المحور المهم هو إيقاظ الإحساس بالربانية والنظر في الآيات الهاتفة بوجودها ليس زائداً على أصل المعنى، ثم إنك تجد محاور أخرى تصرف القول حولها تصرفاً عجباً مثل الترغيب والترهيب الذي يدخل

في دائرته تكرار الجنة والنار، والحاقة والقارعة، وقصص الأنبياء، وتجد معاني جزئية يختلف الحل بها في التكرار فنجد (التوبة) تذكر في خمس عشرة سورة من القرآن و(الزكاة) و(الصدقات) تذكر في ثمان وثلاثين، و(الصوم) يذكر في سورة واحدة، و(الوضوء) يذكر في ثلاث سور...[1].

وهذا المقتضى النظامي هو بلا شك مقتضى معرفي، يرجع إلى طبيعة الأقوام والأحوال والأزمات لتحقق انطباق هذه المحاور وغيرها على نحو من الدقة العجيبة، إذ أنها مثلاً في العبادات ترجع إلى طبيعة الفرائض، فالصوم الذي يجيء في العام مرة واحدة ذكر في القرآن مرة، والصلاة التي تتكرر في كل يوم تكررت، والزكاة التي هي مضنة ضن النفوس بها تكررت، وبذلك أخرج هذا التصرف التكرار عن طبيعته في كلام الناس وإعطائه طبيعة أخرى لأنه يورث الملل إذا لم تدره يد بصيرة بمتصرفات القول، إذ نرى الشاعر يصيب في مواقع منه ثم يفلت منه قيادة فيلقي ظلالاً باردة على كلامه وهذا بخلاف ما نرى في القرآن الكريم فنقرأ ـ مثلاً ـ سورة الرحمن التي بنيت على تكرار: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) (سورة الرحمن/الآية:١٣) أو سورة القمر التي بنيت على تكرار (فهل من مدّكر) (سورة القمر/الآية:١٥) ... وغيرها (فكيف كان عذابي ونذر) (سورة القمر/ الآية:١٦) وغيرها

كذلك سورة المرسلات التي بنيت على تكرار (ويل يومئذ للمكذبين) (سورة المرسلات/الآية:١٥) وغيرها... كذلك سورة الشعراء وغيرها مما ترى التكرار حسناً جداً قادراً متمكناً على استجاشة القلوب وفي ذلك مظهر دال من مظاهر الإعجاز العظيم. ويمكن أن نلحظ للتكرار عند التحقيق لونين من ألوان المعنى مستمدين ذلك من تحليل الزمخشري ـ رحمه الله ـ للفروق الدقيقة والجليلة في قوله تعالى: (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) (سورة التكاثر/الآية:٣، ٤) إذ يقول: (أن الثانية ليست تأكيد للأولى، لأن حرف التراخي (ثم) إذن بأنه يباين الأول في الرتبة ويختلف عنه اختلافاً بيناً، وبهذا صار كما يقول العلامة الزركشي تأسيساً لا تأكيداً، ومثله قوله تعالى: (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين) (سورة الإنفطار/الآية:١٧ ، ١٨)، فكلمة (ثم) أفادت أن الثاني مغاير للأول في الرتبة وكأنه أشد في التهويل والتعظيم منه وبذلك لا يكون هو، وهذا يجري في

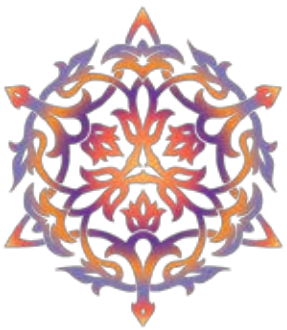

أساليب كثيرة وطرائق مختلفة.

ومن هذين اللونين المعنويين للتكرار ما يكون فيه التصرف منصباً في الصياغة والنظم كقوله تعالى: (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصاً له ديني) (سورة الزمر/الآية:١١-١٤) فقد أعاد قوله: (قل الله أعبد مخلصاً له ديني) (سورة الزمر/الآية:١٤).

وهو ليس في الحقيقة تكراراً للأول لأنه أحدث في الصياغة ضرباً من التصرف أعطاها لوناً من ألوان المعنى ليس في الأول لأنه قدم المفعول على عامله فأفاد الاختصاص وكأنه قال في الأول: إني أمرت أن أعبد الله، وفي الثاني: لا أعبد إلا الله، وبينهما فرق كبير في المعنى والمقتضى الأسلوبي، وقد يأخذ التكرار في تجليه مقتضياته في السورة الواحدة، إذ نلحظ مثلاً في سورة (المؤمنون) مجيء التكرار في اسم الإشارة للبعيد كقوله تعالى: (أولئك هم الوارثون... أولئك يسارعون في الخيرات. فأولئك هم المفلحون... فأولئك الذين خسروا أنفسهم) أو اسم الإشارة الموضوع للبعيد كما في قوله تعالى: (ما هذا إلا بشر مثلكم... إن هذه أمتكم أمة واحدة... بل هم في غمرة من هذا... لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين)... إلى غيرها من المواضع السياقية، وهي لا يخفى عنها ما وراء التعبير بتلك الأسماء من تصوير للمعنى وتجسيده من جهة، ومزايا بلاغية وأسلوبية تضمنتها من جهة أخرى.

أو تكرار الاسم الموصول في أول السورة: (الذين هم في صلاتهم... الذين هم عن اللغو... الآيات، وفي أوسطها: (فقال الملأ الذين كفروا من قومه... ولا تخاطبني في الذين ظلموا... وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا... إن الذين هم من خشية ربهم والذين هم... الآيات... وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة... وهو الذي أنشأ لكم السمع... وهو الذي ذرأكم وهو الذي يحيي ويميت... ادفع بالتي هي أحسن).

ويقول الدكتور بسيوني عبد الفتاح: (كرر الاسم الموصول في تلك المواطن لإبراز المعاني التي تحملها جملة الصلة فهي تكشف عن صفات أولئك المؤمنين الذين استحقوا بها الفوز والفلاح، وتجلي صفات هؤلاء المعاندين من كفر وظلم وتكذيب وانتفاء الإيمان، فقد استحقوا من أجلها العقاب والتعذيب، وتظهر قدرة الله - عز وجل - أمام أولئك المعاندين لعلهم يتأملون ويتدبرون فيقلعون عما هم فيه من كفر وضلال وعناد ومكابرة، ويقبلون على تحقيق الإيمان وإعلان الطاعة لله ولرسوله[٢]. وكرر القرآن في سورة الرحمن نيفاً وثلاثين مرة قوله تعالى: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) متسائلاً عما يستطيع أن ينكره الجن والإنس مما أولاهما الله من نعم، فلعل هذا السؤال المتكرر،

ما يثير في نفس سامعيه اليقين بأنه ليس من الصواب نكران نعم تكررت وآلاء توالت.

ويوحي التكرار في سورة (الكافرون) باليأس إلى قلوب من كفر من أن ينصرف الرسول عن دينه إلى ما كان يعبد هؤلاء الكفرة فليتدبروا أمرهم بينهم ملياً ليروا سرد هذا الإصرار من الرسول فعساهم يدركون أن هذا السر هو أن الرسول على حق فيما يدعو إليه، فلم ينصرف عنه إلى أديان لا سند لها من الصواب والحق[٢].

وخلاصة ما تقدم:

فإن التكرار القرآني هو من الروافد البيانية المهمة لبث الفكرة في نفوس الناس وإقرارها في قلوبهم إقراراً لأن المكرر ينطبع في الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ـ كما يقول علماء السلوك ـ من هنا جاء في القرآن لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وسامعيه حتى يقر ويرسخ في أفئدتهم فيصبح عقيدة من عقائدهم لأن تكرار المعاني بأصوله وأنساقه وأعجازه من شأنه أن ينبثق عنه العمل الصالح المبني على أساس من الإيمان المكين.

والحمد لله أولاً وآخراً ■

(١) ظ: الإعجاز البلاغي، ص٦٤-٦٧.

(٢) ظ: من هدي القرآن الكريم، ص١٦٧-١٦٨.

(٣) ظ: من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص١٥٣-١٥٥.

ابن عباس

عن ابن عباس أنه مرّ ـ بعد ما كفّ بصره ـ بمجلسٍ من مجالس قريش، وهم يسبون علياً عليه السلام، فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟ قال: سمعتهم يسبون علياً. قال: فردني إليهم، فرده.

فوقف عليهم فقال: أيكم الساب لله تبارك وتعالى؟. قالوا: سبحان الله من سب الله فقد أشرك.

فقال: أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: سبحان الله من سب رسول الله فقد كفر.

قال: فأيكم الساب علي بن أبي طالب؟. قالوا: أما هذا، فقد كان.

قال ابن عباس: فأنا أشهد بالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سبب الله عزوجل. ثم تولى عنهم.

وقال لقائده: ما سمعتهم يقولون؟. قال: ما سمعتهم قالوا شيئاً. قال: كيف رأيت نظرهم إلي حين قلت ما قلت لهم؟ فقال شعراً:

نظروا إليك بأعين مزورة
نظر التيوس إلى شعار الجازر

فقال: زدني لله أبوك، فقال:

خزر الحواجب ناكسو أذقانهم
نظر الذليل إلى العزيز القاهر

فقال: زدني لله أبوك، فقال: ما عندي ما أزيدك. قال ابن عباس: لكن عندي، ثم قال:

أحياهم خزيا على أمواتهم
والميتون فضيحة للغابر

شرح الأخبار للقاضي النعمان ج:١ ص:١٥٥

التذكير والتأنيث

في الصفات الجارية مجرى الفعل في القرآن الكريم

• د. هادي عبد علي هويدي
كلية الدراسات الإسلامية/ جامعة الكوفة

ينابيع يرى النحويون أنه مما جعل اسم الفاعل يعمل عمل فعله المضارع مشابهته إياه في التذكير والتأنيث، فكما تأتي التاء في بداية الفعل المضارع لتأنيث الفعل، تأتي الهاء في نهاية اسم الفاعل والمبالغة والصفة المشبهة فرقاً بين المذكر والمؤنث، فتقول: (رجل قائم وامرأة قائمة). قال المبرد: (اعلم أن علامة التأنيث تكون على لفظين، التاء التي تبدل منها في الوقف هاءً. وهي تدخل على كل نعت يجري على فعله، ولا يؤنث إلا بها، وذلك كقولك في قائم وقاعد، ومفطر وصائم وكريم وجواد ومنطلق ومقتدر، إذا أردت التأنيث قلت: قائمة، قاعدة، مفطرة، صائمة، وما لم نسمه فهذا بابه)[1].

ونفهم من كلامه أن كل الصفات المشتقة من الفعل تخضع لقاعدة التأنيث والتذكير (الفاعل والمبالغة والصفة المشبهة) فمما ورد في القرآن الكريم تأنيث ما كان على وزن (فعال) للمبالغة كما في قوله تعالى: (حمالة) في المسد، الآية:٤، و(اللوامة) في سورة القيامة، الآية:٢، و(نزاعة) في قوله تعالى: (كلا إنها لظى نزاعة للشوى)[2].

والفرّاء يرى أن علامة التأنيث لا تلحق الصفات التي لاحظ للمذكر فيها نحو (الحائض والطامث والطالق، إذ لم يحتاجوا للتفريق بين المذكر والمؤنث)[3].

بينما يخرجها المبرد على النسب فيقول: (وأما ما كان من المذكر نعتاً

لمؤنث فهو كقولك: امرأة طالق، وبكر ضامر، وامرأة متئم، إذا جاءت بتوأمين - وصبية مطفل، مشدن)[٤].

ثم يقول فيها: (إنما جاء هذا بغير هاء لأنه ليس على فعله، فمجازه مجاز النسب، فإن سميته بشيء صرفته لأنه لا لفظ للتأنيث فيه)[٥].

ومن خلال هذا العرض نجد أن الفراء يراه لا يؤنث لأنه لاحظ للمذكر فيه، أي هذه الصفات وردت هكذا للمؤنث ولا يوجد مذكر ينعت بهذه الصفات. أما المبرد فهو يرى أنه لا لفظ للتأنيث فيه لأنها جاءت للدلالة على النسب ولم تجر على أفعالها. وفي الرد على الرأيين ورود الألفاظ للمذكر والمؤنث بلفظ واحد فقد ورد (غلام بالغ وجارية بالغ وعانس للاثنين أيضاً) ومما يستشهد به مما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: (أمسك عليك زوجك)[٦] وقوله أيضاً: (اسكن أنت وزوجك الجنة)[٧] فقد ورد هذا اللفظ في كلام الله العزيز للمذكر والمؤنث دون اقترانه بعلامة التأنيث. ونظيره وصف المذكر بصفات لحقتها علامة التأنيث كقولهم: (رجل ربعة، وغلام يفعة، وعلامّة ونسّابة وراوية)[٨] فإن جرى الوصف على الفعل طابقه في التذكير والتأنيث كقولك (أشدنت الصبية وأتلت فهي متلية وطلقت المرأة فهي طالقة)[٩] ومنه قوله تعالى: (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت)[١٠]. فقد جاء اسم الفاعل في الآية القرآنية على الفعل بدليل قوله: (أرضعت)[١١].

يؤيد قول المبرد ما ورد في التكملة (فأما الصفات التي تجرى على المؤنث بغير هاء نحو طالق وحائض وقاعد لليائسة من الولد ومرضع وعاصف في وصف الريح، فما جاء من ذلك بالتاء نحو طالقة وحائضة وعاصفة ومرضعة فإنما ذلك لجريه على الفعل ومنه قوله تعالى: (ولسليمان الريح عاصفة))[١٢].

والأدلة التي سبقت فيما مر تؤكد أن اسم الفاعل والصفات المشبهة تشابه الفعل في التذكير والتأنيث وتجرى عليه وإذا لم تجر عليه فإن لها دلالات أخر.

وأما ما كان على (فعيل) فإنه يجرى على ضربين، أحدهما أن يأتي بمعنى (فاعل) لقدير وسميع وعليم بمعنى (قادر، وسامع وعالم، والثاني أن يأتي بمعنى مفعول (كقتيل وجريح وخضيب وكحيل ودهين بمعنى (مقتول ومجروح ومخضوب ومكحول

ومدهون) وكلمه بمعنى (مفعول).

فـإذا أتى بمعنى (فاعل) فقياسـه أن يجـري علـى فعله فـي إلحاق التـاء مع المؤنث دون المذكر كقولك (جميل وجميلـة، وشـريف وشـريفة ومليـح وصبيح، مليحة وصبيحة) ونحوه.

الثانـي: إذا جـاء بمعنـى (مفعـول) فأمـا أن يصحب الموصـوف (كرجل قتيـل وامـرأة قتيل) أو يفـرد عنه، فإن صحب الموصوف استوى فيه المذكر والمؤنـث (كرجل قتيـل وامرأة قتيل) وإن لـم يصحب الموصـوف فإنه يؤنث إذا جـرى علـى المؤنـث نحـو (قتيلـة بنـي فلان) ومنه قولـه تعالى: (حرمت عليكـم الميتة والـدم ولحم الخنزير... والنطيحة)[١٣]. هذا حكـم (فعيل) وأما فعـول فهـو قريـب منـه لفظـاً ومعنى فإنهمـا متشـابهان في الـوزن والدلالة على المبالغـة وورودهما بمعنى (فاعل) و(مفعـول)[١٤] واسـتغني بـ(فعيـل) عـن (فاعـل) فـي المضاعـف مثـل جليـل وعزيـز وذليـل لخفتـه وكراهية ثقل التضعيف إذ قالـوا: ذالل وعازز وجالل فأتوا بـ(فعيل) مفصولاً فيه بين المثلين بالياء السـاكنة ولم يأتوا بـ(فعول) لأن (فعيلاً) أخف منه.

وبنـاء (فعيـل) مطـرد فـي (فعـل) كشـريف وظريف وجميل ونبيل وفي هذا يختلـف النحويون فمنهم لا يعدونه لأنـه جعلـوه من بـاب الصفة المشـبهة لأنـه مصـوغ مـن الـلازم[١٥]. وتلحـق هـذه الصفات تـاء التأنيث فرقـاً بينها وبيـن المذكـر لأنهـا بمعنـى (فاعل) الـذي يجري على فعلـه، يقول أبو علي الفارسـي: (إذا كان التأنيـث حقيقيـاً لزمـت فعلـه هـذه العلامة (التـاء) ولم تحـذف وذلـك نحـو (قامـت المـرأة وسارت الناقة) وإذا كان التأنيث غير حقيقي جاز أن تحـذف، فمما جاز فيه الأمران قوله تعالى: (فأخذتهم الصيحة مشـرقين)[١٦] وفي الأخرى قوله تعالى: (وأخذ الذيـن ظلموا الصيحة)[١٧] وقوله تعالـى: (وما كان صلاتهـم عند البيت إلا مكاء)[١٩].

نفهم من ذلك ما يأتي:

١ـ التأنيـث والتذكيـر أصل الفعل وإنمـا تؤنـث وتذكر الصفـات جرياً على تأنيث وتذكير الفعل لشبهها به.

٢ـ المطابقـة للفعل الأصل في صيغة (اسم الفاعل) وهو الذي يشابه الفعل في حركاته وسكناته وتذكيره وتأنيثه، وإنما تنسحب المشابهة لسائر الصفات لشـبهها باسـم الفاعل كما يحصل في أوزان المبالغة والصفات المشبهة.

٣ـ تخضـع هـذه الصفـات فـي التذكيـر والتأنيث لقاعـدة الفعل في ضـوء تذكيـره وتأنيثـه مـع المؤنـث الحقيقـي واللفظـي، كمـا لحُـظ في الأمثلة.

لقـد أسـهم بعـض الدارسـين المعاصرين من المستشرقين والمهتمين بالدراسـات السـامية في تفسـير هذه الظاهرة في اللغة العربية، فالمستشرق برحشتراشـر يقول: (وأسـماء الفاعل والمفعول بسيطة في العربية، فـ(فاعل) هـي أصليـة سـامية و(مفعـول) أصلها (فعـول) زيـدت فيهـا الميـم الكثيرة الاسـتعمال في هذه الأسـماء فصارت

مفعـولاً. وإن صيغـة (فعـول) موجودة فـي العربية فـي معنى المجهـول فاعله نحـو (رسـول) بمعنى (المرسـل) وهي اسـم المفعول في العبريـة مثل (قبور) معنى (مقبور) وينوب عنها في الآرامية (فعيـل) بمعنـى (قتيـل) أي (مقتـول)، وذلـك مـن تبـادل الضمة والكسـرة الممدوتيـن، والميم في سـائر أسـماء الفاعل والمفعول سامية الأصل)[٢٠].

ونترك التعليق قبل أن نتعرض لرأي باحث آخر في هذا المجال حيث يقول ما يقضى أن اسـم المفعـول الذي تدل عليه صيغـة (فعول) ومثاله فـي العربية (رسـول وحلوبة وركـوب) ثم أجرت العربيـة بمضـي الزمـن أن الصيغة في حاجة إلى تأكيد إبقاء عليها ومحافظة علـى قوتها المعبـرة، فأضافـوا الميم إليها فأصبحت (مفعول)[٢١].

إن الـذي أشـار إليـه الباحث الأول من وجـود صيغة (فاعـل) ودلالتها على الفعـل والقائم به لا تحتـاج إلى نقاش، كمـا أن وجـود صيغـة ـ فعـول ـ فـي اللغات السامية التي أشار إليها الباحث ـ في دلالتها على المجهور فاعله (اسـم المفعول) ومثله في اللغة العربية موجود وكثيـر جـداً. إلا أن وجودها في اللغة العربية لـم يكن مطرداً بهـذا المعنى وأمثلته كثيرة في القرآن، قوله تعالى: (واللّه رؤوف بالعبـاد)[٢٢] و(واللّه غفور رحيـم)[٢٣] و(فـإن اللّه غفـور رحيم)[٢٤] دلت على مجيئة اسم فاعل معنى (رائف وغافر) وليس بمعنى (مرؤوف ومغفور كالتي وردت في قوله تعالى: (... وسيداً وحصوراً ونبيـاً)[٢٥] فقد جـاءت بمعنى (محصور) اسـم مفعول. فالقاعدة التي أشـار إليها الباحث عبد المجيد عابدين كما أشرنا لم تطرد في (فعول).

مـن جهة أخرى قد تأتي (فعول) في اللغة كمـا وردت (حلوبـة وركوب) التي أشـار إليها وقد تفسـر بالمفعولية ولكن ليـس المراد منهـا الدلالة على المفعوليـة فـي السـياق بقدر مـا أريد لهـا الدلالة علـى الكثـرة والمبالغة إذ المقصـود بالحلوب والركوب كثرة الحلـب وكثـرة الركـوب والمبالغة فيه فهي صفـات دالة على المبالغة على وزن (فعـول) وهـذا الـوزن نحـول من اسـم الفاعل إلـى المبالغـة للدلالة على الكثـرة. فتحمـل على اتصـاف الفعل بها على سـبيل الكرة والمبالغة أكثر مـن وقوعـه عليهـا. وبالتالـي فإنه من المحتمل أن تكون (فعول) التي دخلت عليهـا الميم فصارت (مفعول) هي غير (فعـول) الدالة على المبالغة واستشـهد لهـا بالأمثلـة. وأن هذا الـرأي لا ينطبق على (فعيل) التي هي تأتي بمعنى (فاعل) و(مفعـول) فهـي صيغـة مختلفـة عـن (فعـول) لأن دلالة (فعيـل) على المبالغة يختلف فيها النحويون العرب، وسبقت الإشارة إليه في الفقرات السابقة ■

---

(١) المذكـر والمؤنـث لأبـي العبـاس محمد بن يزيـد المبرد، حققه وقـدم وعلق عليه الدكتـور رمضـان عبد التـواب، صلاح الدين الهادي، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م، ص٨٣.

(٢) سورة المعارج، الآية: ١٥، ١٦.

(٣) المذكر والمؤنـث لأبي زكريا يحيى بن زيـاد الفراء (١٤٤ ـ ٢٠٧)هـ، حققه وقدم له

وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٥٨.
(٤) المذكر والمؤنث للمبرد، ص١٠٣.
(٥) المصدر نفسه، ص١٠٢.
(٦) سورة الأحزاب، الآية:٣٧.
(٧) سورة الأعراف، الآية:١٩.
(٨) المذكر والمؤنث للمبرد، ص١٠٢.
(٩) المصدر نفسه، ص١٠٣.
(١٠) سورة الحج، الآية:٢.
(١١) التكملة، ص٣٤٤.
(١٢) التكملة لأبي علي الفارسي، ص٣٤٤، والآية من سورة الأنبياء، الآية:٨١.
(١٣) سورة المائدة، الآية:٣.
(١٤) انظر: بدائع الفوائد للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن قيم الجوزية المتوفى في ٧٥١هـ، عني بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله للمرة الأولى دار الطباعة المنيرية، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج٣، ص١٨.
(١٥) انظر: المقتضب ٢/ ١١٥-١١٦ والأصول لابن السراج ١/ ١٤٦.
(١٦) سورة الحجر، الآية:٧٣.
(١٧) سورة هود، الآية:٦٧.
(١٨) سورة القيامة، الآية:٩.
(٩١) التكملة، ٣٤٢.
(٢٠) التطور النحوي للغة العربية، تأليف برحشتراسر، أخرجه وصحح وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، بدون طبعة، ص١٠٤.
(٢١) المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية، تأليف عبد المجيد عابدين، ط١، مصر، ١٩٥١م، ص٥٥.
(٢٢) سورة آل عمران، الآية:٣٠.
(٢٣) سورة آل عمران، الآية:٣١.
(٢٤) سورة آل عمران، الآية:٨٩.
(٢٥) سورة آل عمران، الآية:٣٩.

ربيع القلوب

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام:

إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الاسلام، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة. وإقام الصلاة فإنها الملة. وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة. وصوم شهر رمضان فإنه جنة من العقاب. وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب. وصلة الرحم، فإنها مثراة في المال، ومنسأة في الأجل. وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة. وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء. وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر.

وارغبوا فيما وعد المتقين فإن وعده أصدق الوعد. واقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى. واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن.

وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور. وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم.

نهج البلاغة ج:١ ص:٢١٥

رد على مقالة:

أثر القرينة اللفظية في معاني الألفاظ في القرآن الكريم

• السيد أحمد الحكيم

نشر الأستاذ عادل النصراوي صفحة ١٤-١٦ من العدد التاسع من مجلة ينابيع مقالة تحت عنوان: (أثر القرينة اللفظية...) وقد تضمنت بعض المفاهيم وبعض الآراء التي تحتاج إلى توضيح ومناقشة.. فأقول:

ينابيع إن الإنسان مهما بلغ من العلم يبقى مذهولاً أمام معاني وألفاظ القرآن الكريم. وهذا واضح لدى كافة الطبقات في المجتمع. وذلك حينما تطرح نصوص القرآن الكريم أمام الباحث ويحاول أن يجاريها في البلاغة والفصاحة فإنه لن يأت بآية مثلما أتى بها القرآن الكريم.

لكن الباحث النصراوي حاول أن يغفل عن ذلك وذكر (فقيمة اللفظ تتأثر بهذه الإيحائية ونوعيتها قوة وضعفاً) يبدو أن فيه طعناً فظيعاً. لأن الآيات المباركات ليس فيها ضعفاً. بل لم يوجد ضعف ولو كان كذلك لكان هناك مجال للتشكيك وهذا واضح البطلان.

واستعرض النصراوي الكلمات (جاء، أتى، حضر) وذكر كلها بمعنى واحد لكن القرائن تدل على الافتراق. ويبدو أن هذه الكلمات إذا تجردت عن الزمان فلابد أن تكون مصدر تشتق منه الكلمات ولكن إذا اشتقت فلابد

من كون الزمان يلازم الفعل. فليست هناك قرائن مورداً للافتراق وهذا ما اعترف به نفسه حيث ذكر إن (جاء) زمنياً لا تحتمل التأخير والتباطؤ وفق القرائن المردفة.

وعلى هذا فإن كانت (جاء) المصدر فلا زمان لها. وإن كانت الفعل فهي تدل على المضي ولا دخل للقرائن فيها. واستشهاده بالآية المباركة (حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) يبدو بعيداً مما ذكره لأن الآية تذكر أنه بعد مضي أمر الله تعالى وحصول الغرور. يأتي يوم القيامة من دون عذر. وليس لها تحديد بالآية الحضورية الفورية من دون تأخير لأن الآية تذكر ذلك اليوم الذي لا تنفع الأعذار ولا مقابل الذنب من الكفارات لأنه قد فات ذلك في دار الدنيا.

واستشهاده بالآية الثانية (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) فهو إخبار وتهديد لم يحاول أن يماطل ويسوف في أعماله. ودليل الاستفهام من باب الإقرار لهؤلاء.

ثم ابتدأت الآية بالإنذار حينما يرد أمره تعالى فلا يبقى شيء على حاله. بل يتغير كل شيء.

والآية الثالثة (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها) فإنها تأكيد بعدم التأخير في حال حضور الأجل، وحينئذ فإن المجيء حاصل وقد أوضحت ذلك قوله تعالى لا يؤخر...

وأما الآية الرابعة (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) فهو إخبار في زمان مضى وكان هيئة الرجل في حال كونه يسعى.

وقد استشهد في باب (أتى) التي هي فعل دال على مضي الحدث ولكنه ادعى إنه يمكن التأخير. وهذا مناف لمعنى الفعلية وحصولها في زمان ماضي.

فالآية الأولى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) هي جملة شرط وجوابه فإذا حدث الأول فلابد من حدوث الثاني، وليس المستفاد أن الفعل (أتى) هو الذي دل بالآية على التأخير من قوله تعالى (فلا تستعجلوه). وإنما هو رد لهؤلاء المتسرعين بوقوعه وكأنه اعتبره واقعاً حال ورود الأمر لا أنه يتأخر.

واستشهد بالآية الثانية (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً ونهاراً) التي اعتبر فيها التأخير من جراء الليل والنهار. ويبدو أن الكاتب لم يلحظ وقوع عدة أمور حتى يرد أمره تعالى. وهي أخذ الأرض بالزخرف، ثم التزيين. وتوهم أهل الأرض باستمرار الغي ففي ذلك يأتي الأمر الإلهي قطعاً. ولكن من دون أن يحدد الزمان لئلا يماطلوا. وهو إنذار لوقوع الحدث.

والآية الثالثة (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) الترقب في الآية معناه الانتظار فلابد من عاقبة الترقب هو الإتيان السماء في المستقبل بالدخان، وليس معناه الإيواء بالترقب.

والآية الرابعة (قال تزرعون سبع سنين دأبًا فما حصدتم فذروه في سنبله

إلاّ قليلًا ممّا تأكلون، ثمّ يأتي من بعد ذلك سبعٌ شدادٌ يأكلن ما قدّمتم لهنّ إلاّ قليلاً ممّا تحصنون، ثمّ يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث النّاس وفيه يعصرون) إخبار عما يحدث في سبع سنين من الحصاد من تأكلون الحصاد ولم يبق سوى القلة ثم تحصل الأزمة. وإن كلمة يأتي تدل على المستقبل سواء ذكر الزمان أم لا. فمع ذكر الزمان يتضح المعنى أكثر جلياً.

واستشهد الكاتب بـ(حضر) في الآية (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين...) وقال أن الفعل غير معلوم زمن وقوعه مستقبلاً. لكن لم يلاحظ أن فاعل الحضور هو الموت. فهو تابع الوقوع فلا يمكن لفعل من دون فاعل فهما متلازمان في كلا الآيتين. كما أن الزمان ملازم لهما. ولا يحتاج من الكاتب فصل الحضور من الموت.

والآية الثانية (وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) فإن حضور القسمة ملازم للموت. فإن لم يمت فلا ينتقل ميراثه لقرابته، ولكن الحضور للقسمة متلازمان بعد حصول الموت، ولا إبهام الموت، نعم موعده غير معلوم، وأما وقوعه فيحمل قطعاً. وبعد هذا لخص الموضوع وأعاد ترتيب الكلمات واستنتج أن كلمة (جاء) لا تحتمل التأخير ولكن الظاهر خلاف ذلك كما تقدم.

كما أنه ذكر أن لفظة (أتى) تحتمل التأخير في وقوع الفعل زمنياً ولكن ما بيناه إن كانت فعلاً ماضياً فإنها تدل على وقوعه في زمان مضى.

وأما ذكره (حضر) فهو يحتمل التأخير في وقوع الفعل فكما قلنا إن كان فعلاً فهو حاصل في زمان ماضي، ثم ذكر أن الآية (إنما يخشى الله من عباده العلماء) دلت على وقوع المكروه على سبيل القطع في (إنما..) ويبدو أن الكاتب لم يمعن النظر جيداً من أن الآية قد حصرت الخوف من عذابه تعالى ببعض الناس وهم العلماء فقط، هم الذين يفعلون ويعلمون ما يفعلون.

والآية الأخرى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) قد حصرت الإنذار بفئة مخصوصة وهم يخافونه تعالى بالغيب كذلك صفتهم بأنهم يقيموا الصلاة ■

نفس الرسول

عن عمرو بن شاس قال: إن رسول الله ﷺ قال: من آذى علياً فقد آذاني.

قال: وكان ذلك إني خرجت مع علي عليه السلام إلى اليمن فرأيت منه جفوة، فانصرفت إلى المدينة، فجعلت أشكوه إلى من أجلس إليه في المسجد. وإني دخلت يوماً إلى المسجد، فرأيت رسول الله ﷺ ينظر إلي حتى جلست، فلما اطمأننت. قال: أما والله يا عمرو بن شاس لقد آذيتني. فقلت: أعوذ بالله وبالاسلام أن أؤذي رسول الله. قال: بلى، من آذى علياً فقد آذاني. قلت: والله لا أؤذيه أبداً.

شرح الأخبار للقاضي النعمان ج:١ ص:١٥٤

عقيدة التوحيد

• السيد محمد علي الحكيم

ينابيع التوحيد أصل من أصول الدين متفق عليه بين الفرق الإسلامية، وهو مبحث أنطلوجي معرفي يتعلق بحقيقية الذات الإلهية المقدسة، تناولته كتب العقائد بالنظر العقلي والبرهان المنطقي، وبالتالي فهو منهج يختلف عما ذهب إليه (كانت) الذي صادر هذه الأصول ـ وجود الله ـ وجعلها مسلمات ضرورية لقيام الاختلاف. وهو منهج معاكس أيضاً لمنهج (وليم جيمس) أحد أعلام الفلسفة البرجمانية، الذي يرى أن أفكارنا ومعتقداتنا لا تطلب لذاتها، وإنما تلتمس كوسائل لتحقيق أغراضنا، فالمعتقد صحيح عندما ينتهي بنا إلى تحقيق أغراضنا في دنيانا الحاضرة، وهو لا يجد أساساً نظرياً لوجود عالم غير منظور، ومع ذلك يقول أن مبادئ البرجماتزم تقتضي بأن يكون فرض وجود إله فرضاً حقيقياً، إذا كان من شأنه أن يبعث السلوى والسكينة في النفس، فبإمكاننا أن نكون مؤمنين، مادام يولد لدينا حياة خلقية ودينية فاضلة، على العكس تماماً مما يذهب إليه مفكري الإسلام حيث يذهبون إلى أن المعتقد صحيح مادام يتعلق بالوقائع، وأن العمل تابع للعلم، والذي يلزم العلم به أمران التوحيد والعدل، كما يقول الشيخ الطوسي قدس سره.

تلك الاتجاهات تتفق على ضرورة التسليم بأصول ميتافيزيقية لقيام الأخلاق، لكنها تختلف في منهجها للوصول لتلك الأصول الميتافيزيقية، ومن الوضوح بمكان أن منهج الفكر الإسلامي أكثر دقة ورسوخاً وبالتالي

يكون الأساس الأخلاقي أكثر متانة لديهم.

ولما كانت هذه الأصول موضع إيمان، وأن اليقين أساس طمأنينة النفس، قبل أن تحدد لنفسها السلوك، وهذه الطمأنينة لا تتأتى من تنحية المعتقدات الباطلة، التي تؤرق النفس، بل تقضي ترسيخ معتقدات تشيع في النفس الطمأنينة، لتعذر بقاء النفس بالعيش في فراغ، وإن الإيمان هو المقدمة الضرورية للعمل لأن العمل ليس مجرد سلوك يمارسه الإنسان، وإنما لا يصدر السلوك إلا عن اعتقاد وإيمان، فالإيمان هو الذي يحرك الإرادة، والإرادة تحرك السلوك، من هنا كانت أصول الاعتقاد ـ لدى مفكري الإسلام ـ تسبق العمل سبقاً زمنياً ومنطقياً، ولا اختلاف في ذلك بين شعائر الدين وقيم الأخلاق.

والحديث عن الأبعاد الأخلاقية في الجانب العقيدي، منهج قرآني، جاء لبناء القاعدة البشرية المؤمنة، لتقوم بدورها في الحياة الإنسانية، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

وهو يدخل في صلب البحث العقائدي في متبنيات مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهذه المدرسة الأصيلة التي امتزجت بفهمها الخاص للإيمان عن باقي المدارس الإسلامية الأخرى، التي فصلت الإيمان عن العمل، حتى ذهب بعض الصوفية ليجعل إيمان الأنبياء عليهم السلام وإيمان إبليس على حد سواء، في حين أكدت مدرسة أهل البيت عليهم السلام، على أن الإيمان يكمل وينقص بالجانب العملي، وأن الإيمان ليس مجرد التزام قلبي، بل هو أيضاً تطبيقات عملية، يمكن من خلالها أن يتكامل أو يتناقص.

وعقيدة التوحيد تتضمن قضية التوحيد الصفاتي، حيث أن صفات الباري عين ذاته، فهي تشكل صورة الكمال المطلق ـ الحقيقية والخارجية... ـ التي تمثل المثل الأعلى، الذي هو هدف وإطار لحركة الإنسان، باعتبار أن حركته حركة غائية تهدف إلى تحقيق هدف وغاية، تتمثل بتجسيد إرادة هذا المثل الأعلى والاقتراب منه. في حين أن الفلسفة المادية التي تجعل من الطبيعة هي العلة المادية والعلة الفاعلة للعالم، فالعالم بالنسبة لهم صادر عن مادة أزلية مسلوبة القصد والاختيار، وأن هذا الصدور جاء بمحض الصدفة، أي من دون قصد أو غرض، وسلب الحكمة عن تلك الصيرورة يجعلها خارج إطار أي دلالة أخلاقية، فالمادة مهما كانت عظيمة ومهيبة لكنها لا تقر طمأنينة النفس، ولا تقوم أخلاقاً، لأن الإنسان يركن إلى الإيمان، وتطمأن نفسه به، ويندفع إلى العطاء، حيث يجد إرادة حية وراء الأشياء كلها هادفة إلى غرض وحكمة.

وتتضمن عقيدة التوحيد قضية التوحيد الفعلي، في مقابل التعدد والشرك، والتي تجعل من الشركاء مؤثرين في الكون والإنسان، وما يؤدي عنها من تعدد للولاءات، وما ينتج عنها من تشقق وتمزق وانحطاط أخلاقي، بسبب هذا التعدد، وما يفعله من صراعات نفسية أو اجتماعية،

آمن الرسول

وهو ما رفضه (سقراط) أيضاً، حيث اعتقد: (أن تلك سياسة انتحارية لا أمل فيها، وأنها تقدم إلى الوراء، لقد كان له إيمان خاص به، لقد آمن بإله واحد، وآمن باعتدال أن الموت سوف لا يقضي عليه تماماً، أدرك أن هناك شريعة أخلاقية أبدية، لا يمكن أن تقوم على دين ضعيف، كالدين الذي آمنت به أثينا ـ تعدد الآلهة ـ في ذلك الوقت، كما ينقله لنا (ديورانت) في قصة الفلسفة.

في حين أن عقيدة التوحيد تشكل لنا صورة مميزة، تجعل الموجودات الكونية وتأثيراتها معلومة لله، وليس لشيء آخر، ولا يعني ذلك، إلغاء دور الأسباب للتأثير بالكون، وإنما التأكيد على أن الله تعالى هو السبب الأول لوجود الأشياء، وهي قائمة به، ومن دونه لا يمكنها التأثير في الأشياء.

وتجعل من كل الخيرات والنعم من قبل الله تعالى، فهو المنعم الحقيقي، مهما تعددت الأسباب والوسائط، وهذه الأنعام، ليس لغرض عائد إليه أصلاً، بل لغرض نفع العبد وصلاحه، وحتى المصائب والمحن، هي من قبل الله تعالى، وهي تمثل الإطار الأصلح لحركة الإنسان في هذه الدنيا.

وهو ما لم يدركه (أرسطو)، الذي يرى أن الإله كامل كمالاً مطلقاً، لذا فهو لا يفعل شيء، لأن في الفعل طلباً لشيء، وهو ينافي كماله الأزلي الذي لا يتغير أو يتأثر، وليس له غرض أو إرادة، ووظيفته الوحيدة التفكير في ذاته.

أما في عقيدة التوحيد، فلا يمتنع أن يجتمع الكمال الواحد، والمتألف من الصفات الحسنى، التي وصف بها الإله مع لوازمها ومقتضياتها، فالاختيار وإن كان بين أمرين، إلا أن اختياره تعالى ليس لذاته، بل لمخلوقاته التي تعتريها حالات مختلفة، لا تجوز في حقه، وكذلك فعله يتعلق بمخلوقاته ومصالحها، لا بالذات المقدسة، وهذا ما لا ينافي كماله، فالباري وإن كان في منتهى الكمال والتنزيه، لكنه خلق العالم وأحاطه بلطفه ورحمته.

وفي ضوء هذا الفهم، لحقيقة الذات المقدسة، كان لابد لهم من إثبات موقف يقابله فيكون من جانب العبد تجاه ربه وشاطره في الدلالات الأخلاقية، فقالوا بالتوحيد العبادي، التي تحقق التوحيد في الولاء والتوحيد في الطاعة والتوحيد في العبادة، والتي هي ليست مجرد شعائر وطقوس يعبر فيه عن التقديس والاحترام أو الضعف والعجز أمام الإله، بل هي حالة اجتماعية تكاملية في حركة الإنسان، ليست مفصولة عن المجتمع الإنساني، بحيث يمكن أن يتحول كل عمل نافع إلى عمل صالح، لتجسيد إرادة المثل الأعلى والتقرب إليه ■

أهم المصادر:

(١) القرآن الكريم.
(٢) الاقتصاد للشيخ الطوسي.
(٣) المنهاج الثقافي لشهيد المحراب.
(٤) صراط الحق للمحسني.
(٥) موسوعة العقاد.
(٦) الموسوعة الفلسفية المختصرة.
(٧) قصة الفلسفة لديورانت.

المثلية في البشرية.. وعصمة الأنبياء

قراءة في آية: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾

• السيد عبد الستار الجابري
ماجستير علوم إسلامية

ينابيع سؤال قد يطرح وهو: ألا يكون ادعاء العصمة منافياً لقوله تعالى: (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي)الكهف:١١٠. فإن ظاهر الآية أن الأنبياء كغيرهم من البشر وقد ثبت عصمتهم في تبليغ الرسالات من دليل خارج فيبقى النبي كغيره من البشر فيما سوى التبليغ.

ولجواب هذا الإشكال نبحث عن البشرية في المصطلح القرآني ونرى هل أن الطباع التي عند الناس من مقتضى بشريتهم أم مقتضى أمر آخر فنقول وبالله الاستعانة: إن لفظة البشر وردت في الكتاب العزيز في عدة مواضيع يمكن إجمالها فيما يلي:

١- قول الرسل (صلوات الله عليهم) لقومهم أنا بشر مثلكم.

٢- رفض الكفار للإيمان بالرسل لكونهم بشر.

٣- ما ورد على لسان مريم عليها السلام من استغرابها أن يكون لها ولد ولم يمسها بشر.

٤- إخبار الله تعالى ملائكته أنه سيخلق بشراً.

٥- رفض إبليس السجود لبشر.

٦- وصفن نساء مصر ليوسف عليه السلام بأنه ليس من البشر بل من الملائكة.

٧- ما يستفاد منه من إخبارات الله تعالى لماهية البشر.

وما يخص بحثنا هو الموضع الأول والسابع لتحقيق كون البشرية نافية للعصمة أم لا؟

آمن الرسول

القسم الأول:

١- قوله تعالى: (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّه يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّه وَعَلَى اللّه فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ) (سورة إبراهيم/ الآية:١١) فهذه الآية تدل بإضافة دلالات الآيات السابقة عليها أن الرسل إنما نفوا استقلالهم في إجابة أقوامهم إلى ما يطلبونه منه، ونفي الاستقلالية لا يثبت عدم العصمة بل إنما يثبت الحاجة إلى اللّه تعالى في صغائر الأمور وكبائرها وأنهم عليهم السلام لا يفعلون شيئاً إلا بأمر اللّه تعالى. فتلخص أن هذه الآية في مقام إثبات إمكان إرسال الرسل وتبعيتهم وعدم استقلالهم في التصرف عن اللّه تعالى وأي واحد من هذه الأمور لا ينفي العصمة عنهم صلوات اللّه عليهم.

٢- قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (سورة الكهف/الآية:١١٠).

إن هذه الآية الشريفة واضحة الدلالة في عدم جواز إشراك الأنبياء والرسل عليهم السلام في العبادة فيجب التوحيد في العبادة وأن لا يشرك العبد مع ربه أحداً.

فالرسول في هذه الآية يبين لمن بعث إليهم أنه عبد من العبيد اصطفاه اللّه بأن بعثه بالرسالة وأن الإله الذي تجب عبادته إله واحد ومن كان يرجو الفوز برحمة ربه فعليه أن يعمل الصالحات ويتجنب الذنوب وأكبر تلك الذنوب هو الشرك باللّه تعالى لأن الذنب ظلم وأعظم الظلم هو الشرك باللّه تعالى: (يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللّه إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (سورة لقمان/الآية:١٣).

ومما يؤيد أن هذه الآية واردة في عدم جواز إشراك الرسل والأنبياء والأولياء في العبادة هو قوله تعالى في بعض الآيات المتقدمة على هذه الآية الشريفة (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً) (سورة الكهف/الآية:١٠٢). فهذه الآية الشريفة أيضاً ليست في مقام نفي العصمة.

٣- قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) (سورة فصلت/الآية:٦).

إن هذه الآية الشريفة وردت بعد آيات صرح الكفار فيها بأنهم لا يريدون الإيمان بما جاء به الرسل وتحدوهم وقالوا لهم بأنهم سيستمرون على عملهم المنافي لدعوة التوحيد وتحدوا الرسل أن يستطيعوا أن يغيروا ما هم عليه بقولهم الذي حكاه الكتاب العزيز (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) (سورة فصلت/الآية:٥).

فالآية مورد البحث إنما تكشف أن الأنبياء يدعون إلى اللّه تعالى بدعوة الحق ولم يأذن لهم بالتصرف في المخلوقات بأعمال ولايتهم لينقلوهم من الكفر إلى الإيمان بل شاء اللّه أن يوجد في الإنسان دواعي الإيمان ودواعي الكفروأن يوجد

في طريق الإنسان من يدعوه إلى الإيمان ومن يدعوه إلى الكفر وترك له اختيار طريقه وبعد ذلك مرجعه إلى الله فيوفيه حسابه.

فالآية مورد البحث تظهر أن النبيﷺ يجيب على تحدي المشركين بأنه ليس رباً ليعمل فيهم ما يشاء لأن المطلق الذي لا يسأل عما يفعل هو الله تعالى وإنما هو بشر مربوب كما هم بشر مربوبون غاية الأمر أن الله تعالى قد اختصه بالوحي وأمره بدعوة الناس إلى التوحيد فمن أجاب فاز برضا الله ومن عاند فمصيره إلى النار.

فالآية الشريفة إذن ليست في مقام إثبات كل الصفات التي للآخرين هي للنبي وإنما في مقام إثبات جهة أنه عبد مربوب لله تعالى ليس التصرف إلا بإذن الله تعالى.

٤ـ قوله تعالى: (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً) (سورة الإسراء/الآية:٩٣).

فهذه الآية الشريفة تصرح أن اعتراض الرسولﷺ بالبشرية إنما هو لنفي غير المعتاد من سيرة الناس وما عندهم من الملكات وأنه صلى الله عليه وآله وسلم في وجوده الملكي بشر مبعوث لهداية الناس وليس مكلفاً بالإتيان بالخوارق والمعجزات دائماً وهو الذي يشير إليه قوله تعالى: (هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً)(سورة الإسراء الآية:٩٣) والرسول مبعوث من قبل غيره لإبلاغ ما أمره به المرسل فيتعين عليه العمل وفق ما رسمه له المرسل سواء كان قادراً على الاستجابة إلى ما يطلبه منه المرسل إليهم أم لا فهوﷺ في الآية الكريمة يأمره الله تعالى أن يبين لهم أنه لا يخرج عن حدود ما رسمه الله تعالى إليه.

وعدم استجابتهﷺ لهم إنما هو لعلمه بأنهم لن يؤمنوا حتى وإن أتاهم بما طلبوا لأنهم بعد أن طلبوا منه قائمة من الطلبات أضافوا إليها أنهم لن يؤمنوا لرقيه إلى السماء حتى يأتيهم بكتاب يقرؤونه، ومع ذلك فإنهم قد هيأوا لأنفسهم فيما لو آتاهم ما طلبوا إذ يرمونه بالسحر.

كما أن الرسولﷺ بل وجميع الأنبياء والرسلعليهم السلام منهجهم في الهداية هو إثارة الطاقة الكامنة في الإنسان للنهوض بمداركه وإيصاله إلى كماله، والمعجزة دليل على صدق المبعوث في دعواه لأن الغالب في الناس قصور إدراكاتهم عن فهم المطالب الدقيقة.

فللآية الشريفة إيضاح ودلالة على أن إثبات البشرية للأنبياء والرسل يقتضي نفي العصمة عنهم صلوات الله عليهم أجمعين.

وبهذا ينتهي القسم الأول من الآيات مورد البحث وكما يتبين فليس فيها آية دلالة على نفي العصمة عن الأنبياء والأئمة عليهم السلام لكونهم بشراً.

القسم الثاني:

إن هذا القسم من الآيات الشريفة يتحدث عن البشرية ولوازمها ومن تتبع الآيات الشريفة في هذا القسم سنجد أن البشرية في المصطلح القرآني لا يلازمها عدم العصمة.

آمن الرسول

١ـ قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)(سورة الحجر/الآية:٢٨) الآية الشريفة في مقام الأنبياء عما جرى في العالم العلوي بين الله تعالى وملائكته حيث أنبأهم أنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون وأمرهم أنه إذا نفخ فيه من روحه فعليهم أن يسجدوا له، وهذا يظهر لنا عظمة آدم عليه السلام وأنه في مقام البشرية المحضة فإذا ولجته الروح يكون في درجة من العلو والقرب من المقام الإلهي تستدعي سجود الملائكة له إعظاماً وتكريماً، سجدت الملائكة وطاعة لله عز وجل معلنة بذلك خضوعها لأوامر الله تعالى، والذي يتابع سورة البقرة وما جرى هناك من إخبار الله تعالى ملائكته بجعل خليفة في الأرض وما بينه الملائكة من كونهم ذوي انقطاع في العبادة والتقديس فلم يجعل الله تعالى خليفة له في الأرض من غيرهم.

والذي يراجع تلك الآيات الكريمة يجد أن اعتراض الملائكة كان على الخليفة لا على البشر، وعندما أمرهم الله تعالى بالسجود، أمرهم بالسجود لآدم عليه السلام لا للخليفة، والذي يتابع القصة هناك يجد الاعتراض كان بعد نفخ الروح وبعد السجود، ذلك لأن الملائكة لما اعترضوا طلب منهم الله تعالى إنباءه بالأسماء فلم يتمكنوا وأعلنوا عجزهم وأنبأ آدم عليه السلام الملائكة بالأسماء بعد أن علمه الله تعالى. وقبل نفخ الروح لم يكن لآدم عليه السلام أن يعلم شيئاً.

وهذا النص القرآني نبأ عن هذه الحقيقة:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ❖ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ❖ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ❖ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ❖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ) (سورة البقرة/الآيات:٣٠-٣٤).

فإذن هذه الآيات الشريفة تثبت أن البشر لا تقتضي أي صفة نقص بدليل أنها عند نفخ الروح فيها استحقت سجود الملائكة ولو كانت البشرية تقضي أي صفة من صفات النقص لما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لها إذ ليس من العدل أن يأمر الله العبد المطيع الذي لا يعصي بالسجود لعبد من شأنه المعصية وارتكاب الآثام. ومثلها في الدلالة الآية (٧٢) من سورة (ص).

٢ـ قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) (سورة الفرقان/من الآية:٥٤).

وهذه الآية الشريفة أيضاً لا تثبت العصمة للبشر بل الذي تثبته هو الطبيعة الخلقية والقدرة المخزونة في المادة، قال العلامة الطباطبائي قدس سره: (و... والمعنى وهو الذي خلق من النطفة ـ وهي

ماء واحد ـ بشراً فقسمه قسمين ذا نسب وذا صهر يعني الرجل والمرأة وهذا تنظير آخر يفيد ما تفيده الآية السابقة أن لله سبحانه أن يحفظ الكثرة في عين الوحدة والتفرق في عين الاتحاد وهكذا يحفظ اختلاف النفوس والآراء بالإيمان والكفر مع اتحاد المجتمع البشري بما بعث الله الرسل لكشف حجاب الضلال الذي من شأنه غشيانه لو لا الدعوة الحقة).

فيثبت من الآيات الشريفة أن مصطلح البشر في القرآن الكريم لا يقتضي نفي العصمة وأن المثلية المشار إليها في قوله تعالى: (إنما أنا بشر منكم) يراد منها المثلة في أصل الخلقة وبعبارة أخرى نفي الاستقلال الذاتي وإثبات العبودية لله تعالى.

وحينئذ لقائل أن يقول إذا لم يكن البشر هو الذي نفيت عنه العصمة فأي شيء نفيت عنه العصمة.

الجواب على ذلك أن البشرية هي حقيقة المخلوق الطيني تمييزاً له عن المخلوقات النارية الذين هم الجن والشياطين والمخلوقات النورية الذين هم الملائكة.

والبشر في نشأته الطينية كان بشراً وأما بعد أن تلجه الروح يصبح إنساناً والإنسان ذو مراتب مختلفة لذلك لم يقع في الكتاب العزيز دعوى المثلية في الإنسان فلم تأتي آية تأمر النبي صلى الله عليه وآله أن يقول إنما أنا إنسان مثلكم، وعلة ذلك أن الإنسان ذو مراتب بعضها في أقصى درجات الكمال وهي مرتبة الإنسان الكامل ثم يتدرج في الهبوط حتى يصل إلى مرتبة ما دون مرتبة الأنعام.

والآيات الكريمة الواردة في نفي العصمة والذم ونحوها موجهة إلى الإنسان لا إلى البشر، وعند تتبع الآيات الكريمة نجد ذلك الفرق في مراتب الإنسانية والى هذا الفرق في مراتب الإنسانية أشارت بعض الآيات الشريفة في (سورة التين): (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (سورة التين/الآيات:٤-٦) يقول

الإمام الحسن(٤) والعبد

روي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أنه كان ماراً على بعض حيطان المدينة فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة ويطعم الكلب إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الإمام الحسن عليه السلام: ما حملك على أن شاطرته فلم تغابنه فيه بشيء؟ فقال: استحيتْ عيناي من عينه أن أغابنه. فقال له: غلام من أنت؟ قال: غلام أبان بن عثمان. فقال: والحائط؟ فقال: لأبان بن عثمان. فقال له الحسن عليه السلام: أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك، فمر فاشترى الغلام والحائط وجاء إلى الغلام فقال: يا غلام قد اشتريتك. فقام قائماً فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي. قال: فقد اشتريت الحائط وأنت حرّ لوجه الله، والحائط هبة مني إليك. قال: فقال الغلام: يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له.

تاريخ مدينة دمشق ج:١٣ ص:٢٤٦

آمن الرسول

العلامة الطباطبائي قدس سره في تفسير هذه الآيات الشريفة:

قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ❖ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (سورة الأحزاب/الآيات:٧٢، ٧٣).

الأمانة - أياً كانت - شيء يودع عند الغير ليحفظه ثم يرده إلى من أودعه فهذه الأمانة المذكورة في الآية شيء ائتمن الله الإنسان عليه ليحفظ على سلامته واستقامته، ثم يرده إليه سبحانه كما أودعه.

ويستفاد من قوله: (ليعذب الله المنافقين والمنافقات) أنه أمر يترتب على حملة النفاق والشرك والإيمان فينقسم حاملوه باختلاف كيفية حملهم إلى منافق ومشرك ومؤمن.

وأما الآيات الشريفة الأخرى التي تثبت صفات النقص للإنسان فهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

١- (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ❖ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ) (سورة هود/الآيات:٩، ١٠).

٢- (إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (سورة إبراهيم/الآية:من الآية٣٤).

٣- (خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) (سورة النحل/الآية:٤).

٤- (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ) (سورة الإسراء/من الآية:٨٣).

٥- (كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى) (سورة العلق/الآية:٦).

وبالإضافة لها توجد آيات تثبت الكمال للإنسان مثلاً:

١- (خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (سورة الرحمن/الآيات:٣، ٤).

فهذه الآية كاشفة عن كمال في الإنسان وهو الاستعداد للتعلم.

٢- (عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (سورة العلق/الآية:٥).

٣- (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (سورة الذاريات/الآية:٥٦).

فمقتضى الجمع بين هذه الآيات الشريفة أن الإنسان جامع لصفات الخير والشر وفيه أهلية القرب والبعد من الله تعالى فصفات الكمال وصفات النقص موجودة في الإنسان فإذا بلغ الإنسان أعلى مراتب كماله كان مظهراً من مظاهر الكمال المطلق، وإن كان بذاته ليس كمالاً مطلقاً لأنه محتاج والحاجة تنافي الكمال المطلق، ولكنه مظهر لذلك الكمال المطلق الذي لا يشوبه نقص وليس كمثله شيء.

ولذا لا نجد الله تعالى يأمر رسوله صلى الله عليه وآله بأن يقول للمشركين إنما أنا إنسان مثلكم للتفاوت في درجات الكمال الإنساني، وإنما أمره أن يقول إنما أنا بشر مثلكم للتساوي من هذه الجهة وهي جهة الخلق من الطين وقبل اقتران الروح بهذا الجسد الطيني لم يكن حائزاً على أي من درجات الكمال، وإنما لحقته درجات الكمال بعد أن اقترنت به

الروح.

وبهذا يثبت أن المماثلة في البشرية لا تقتضي أكثر من الإمكان والافتقار إلى الله تعالى وأما مراتب الفرق والاختلاف فهي في الحقيقة الإنسانية ودرجات الكمال المتحققة لكل واحد من الناس.

وبهذا يثبت أن المماثلة في البشرية لا تقتضي نفي العصمة.

وبالإضافة إلى ما تقدم نقل البخاري في صحيحه مجموعة روايات تؤكد هذا المعنى:

١ـ كان النبي صلى الله عليه وآله تنام عينه ولا ينام قلبه.

٢ـ عن عائشة في آخر الرواية (تنام عيني ولا ينام قلبي).

٣ـ عن شريك بن أبي نمر سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وآله من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم. فكانت تلك فلم يرهم حتى جاؤا في ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي صلى الله عليه وآله نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء).

وهذه الرواية تدل على خصوصية في الأنبياء عليهم السلام وحملة الرسالات وحفظتها أنهم دائماً في أقصى حالات الوعي والإدراك، ذلك لأن النوم هو حالة الاسترخاء وتعطل القوة المدركة عن العمل فالإنسان لا يستطيع ممارسة التفكير عند نومه بل لو كان له شغل شاغل لرأى في نومه كوابيس وأموراً تكشف عن اضطراب في الإدراكات، وكذلك فإن الإنسان إذا نام بل إذا أغلق عينيه لم يدرك الأمور المبصرة بالعين بينما مقتضى هذه الرواية أن الأنبياء عليهم السلام يرون ويسمعون حتى في حالة النوم، وهذا يكشف أن الأنبياء عليهم السلام لهم حاسة إدراكية أعلى وأرقى من الحواس العادية الموجودة عند سواهم من الخلق وبهذه الخصوصية تكون المعلومات دائمة الحضور عند حفظة الرسالة فلا تزدحم عندهم المعلومات في اليقضة ولا في المنام. بل أن البخاري يروي ويروي غيره أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله يرى من أمامه كما يرى من خلفه وهذا كاشف عن وسائل الإدراك عند حملة الرسالة وحفظتها أوسع منها في غيرهم فلا تزاحم في المعلومات عند حملة الرسالة ولا يحجب عنهم شيء ولا تتعطل وسائل إدراكهم في نوم أو مرض أو هم أو غم أو فرح وبذلك يثبت لهم العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

ومثله هذا الحديث رواه المجلسي رحمه الله في البحار عن رجال الكشي بإسناده إلى زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: طلب أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له في حائط كذا وكذا فتوجه في طلبه فوجده نائماً فأعظمه أن ينبهه فأراد أن يستبرئ نومه من يقظته فتناول عسيباً يابساً فكسره ليسمع صوته ليستبرئ نومه فسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله فرفع رأسه فقال: يا أبا ذر تخدعني؟ أما علمت أني أرى أعمالكم في منامي كما أراكم في يقظتي إن عيني تنامان ولا ينام قلبي) (بحار الأنوار ٢٥/ ٤١١) ■

..في الذاكرة

شهر جمادى الأولى:

- في اليوم الخامس منه كانت ولادة السيدة زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام سنة ٥هـ.
- وفي اليوم السادس منه استشهد جعفر الطيار عليه السلام سنة ٨هـ في غزوة مؤتة.
- وفي اليوم الثامن منه سنة ١٣١٣ هـ كانت وفاة السيد محمد باقر الخونساري صاحب كتاب (روضات الجنات).
- وفي اليوم التاسع منه كان استشهاد الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي سنة ٧٨٦هـ.
- وفي اليوم الحادي عشر منه كانت ولادة الخواجة نصير الدين الطوسي سنة ٥٩٧هـ.
- وفي اليوم الثالث عشر منه سنة ١١ هـ كان استشهاد الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام على رواية خمس وخمسين يوماً.
- وفي اليوم الخامس عشر منه فتح أمير المؤمنين علي عليه السلام البصرة في حرب الجمل سنة ٣٦هـ.
- وفي ليلة الخامس عشر منه أيضاً سنة ٣٨هـ ولد الإمام علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام.
- وفي اليوم السادس عشر منه كانت غزوة ذات الرقاع سنة ٤ هـ واستمرت ثلاثة أيام.
- وفي اليوم السابع والعشرين منه كانت وفاة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وآله، توفي ولرسول الله صلى الله عليه وآله من العمر ثمان سنين وشهرين وعشرة أيام، وتولى تربيته عمه أبو طالب.

❋ وفي اليوم التاسع والعشرين منه سنة ٣٠٥هـ كانت وفاة محمد بن عثمان العمري السفير الثاني للإمام الحجة المنتظر عليه السلام.

شهر جمادى الثانية:

❋ في اليوم الثالث منه سنة ١١ هـ كان استشهاد الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام على رواية خمس وتسعين يوماً.

❋ وفي ليلة الرابع منه كان هلاك هارون الرشيد سنة ١٩٣ هـ.

❋ وفي اليوم التاسع منه سنة ١٣٧٧ هـ كانت وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي.

❋ وفي اليوم الثاني عشر منه سنة ٧هـ توجه النبي صلى الله عليه وآله إلى حرب اليهود في خيبر.

❋ وفي اليوم الثالث عشر منه سنة ٦٤هـ كانت وفاة السيدة الجليلة فاطمة الكلابية أم البنين عليها السلام.

❋ وفي اليوم الخامس عشر منه هدمت الكعبة على يد عبد الله بن الزبير سنة ٦٤هـ.

❋ وفي اليوم الثامن عشر منه كانت وفاة الشيخ الأكبر مرتضى الأنصاري سنة ١٢٨١هـ.

❋ وفي اليوم العشرين منه كانت ولادة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد البعثة النبوية بخمس سنوات، وقبل الإسراء بثلاث سنوات.

❋ وفي اليوم الواحد والعشرين منه كانت وفاة السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام بعد أربعة أشهر من رجوعها إلى المدينة سنة ٦١هـ.

❋ وفي اليوم الثالث والعشرين منه كانت وفاة الشيخ جعفر بن سعيد المعروف بالمحقق الحلي سنة ٦٧٦هـ.

❋ وفي اليوم السابع والعشرين منه سنة ١٣هـ مات أبو بكر وولي عمر بن الخطاب الخلافة.

❋ وفي اليوم التاسع والعشرين منه سنة ٢٥٢هـ كانت وفاة السيد محمد بن الإمام الهادي عليه السلام في سامراء.

مقام إبراهيم عليه السلام

صرح نمرود.. أرض المحرقة

أثار المعجزة الإلهية في مدينة بُرس المنسيّة

- استطلاع: حيدر الجد
- تصوير: ضرغام كمونة

استطلاع المجلة

ينابيع تفتخر الدول، دول العالم ذات الحضارة العريقة، بما تحويه أرضها ويضمه ثراها وتتزين به مدنها من تراث وشواهد تاريخية كانت ولازالت محطاً لأنظار السياح والزائرين، شواهد باقية شاخصة تنقل المشاهد إلى عمق التاريخ الممتد لمئات بل لنقل آلاف السنين.

وحينما أدركت هذه الدول أهمية المواقع الأثرية لما لها من مردود اقتصادي يؤثر أحياناً بصورة مباشرة في الدخل القومي للبلاد، فقد أولت هذه المناطق عناية فائقة واهتمام منقطع النظير، فبالإضافة للعامل الاقتصادي الأساسي، فقد أصبحت مصدر اعتزاز لدى المواطن باعتبارها العلامة البارزة لجذوره الأولى في أرضه.

والعراق واحد من تلك الدول التي تزخر بالآثار من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه فهو مهد الحضارات الأولى التي عرفتها البشرية ومعقل الديانات التي أثرت تأثيراً مباشراً في معتقدات الإنسان، فمن العراق انطلقت الكتابة وفيه ازدهرت العلوم، فهو بلاد ما بين النهرين (Mesopotimia)، اصطفاها الله تعالى قاعدة لأنبيائه ومثوى لأوليائه، إضافة لكونه متحفاً طبيعياً يقدم نتاجات الإنسان القديم وآثاره، الإنسان الذي عاش على هذه الأرض المعطاء منذ دهور موغلة بالقدم وضاربة بجذورها في عصر الحضارة الأول.

لقد عانت الآثار في العراق أشد المعاناة، ولم تشهد أدنى رعاية وعناية بل كانت نهب الأيدي ومطمع النفوس فهربت تارة وكسرت أخرى فهي اليوم أما رهينة أطباق الثرى أو متناثرة الأجزاء في الفلا أو معروضة بمتاحف الغرب وكأنها جزء من الحضارة الغربية.

ومن هذه الآثار، تلك الشاخصة في أرض برس ذات التاريخ العريق والاسم الذائع الصيت، أرض برس التي تحكي

مقام إبراهيم الخليل(ع) وصرح نمرود

قصة خليل الباري إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء الذين أيقنوا بوحدانية الله جل وعلا الخالق المبدع، إبراهيم عليه السلام الذي خُص بالخلّة وحُبي بالكرامة فكان أصلاً لنبوات أتت من بعده، هذا وقد أودع الله صلبه، ماءً مباركاً ونوراً متألقاً، لم يزل (جل وعلا) ينقله من صلب إلى صلب حتى أنزله أرضه طاهراً مطهراً وزاكياً طيباً فسماه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو المحمود.

على أطلال برس وقفنا، ومن بين تلعاتها مررنا، حتى زرنا مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ثم انعطفنا نحو صرح نمرود، وانتهينا إلى أرض المحرقة. سجلنا خلال هذه الجولة استطلاع مجلتنا الخاص بهذا العدد وعليه فسوف يكون مقام إبراهيم عليه السلام المدخل وبالله نستعين.

مقام إبراهيم[٤]:

قبل أن نسترسل بالحديث عن إبراهيم عليه السلام يجب أن نتعرف على بعض القرى والمدن التي سوف ترد في هذا الاستطلاع، فـ(برس، وبورسبا، وكوثى، وكوثاريا، وكوثى ربى) كلها تدل على هذه البقعة والظاهر أن بورسبا الاسم الأقدم للمنطقة ثم أصبح برس. وبرس عبارة عن قرية تقع بالقرب من قرى كوثى وقنطانا وقد ذهبت المسميات اليوم فلم يبق سوى اسم برس يطلق عموماً على منطقة مقام إبراهيم عليه السلام والصرح الموجود اليوم.

أولاً: برس.

وهي بضم الباء الموحدة، وسكون الراء، والسين المهملة ناحية بأرض بابل وقال الشيخ علي النمازي: (برس كقُفُل)[١] ومنهم من قال: هي بضم أوله وإسكان الثانية وبالسين المهملة، موضع بأرض بابل به آثار بخت نصر وهو تل مفرط بالعلو يسمى صرح برس وهي قرية معروفة بالعراق بين الكوفة والحلة[٢]، وفي الخبر روى شريك عن جابر عن عامر في امرأة أرضعت بنت رجل وجارية أخرى أتحل الجارية للرجل؟ فقال: هي أحل من ماء برس، وماء برس هو ماء الفرات لأن قرية برس واقعة على شفيره[٣].

وقد ضبطه المولى خليل القزويني بكسر أوله (بِرس) في شرحه على الكافي[٤].

وقال ابن الاثير: برس أجمة معروفة بالعراق وهي الآن قرية، وقد ألزم الإمام علي عليه السلام أهل أجمة برس أربعة آلاف درهم وكتب لهم بذلك كتاباً في قطعة آدم، وأهل برس ممن عرفوا بالولاء لآل البيت عليهم السلام فقد كانوا يزورون الإمام الكاظم عليه السلام في مقابر قريش، فعن علي بن محمد قال خرج نهي عن زيارة مقابر قريش والحير، فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقطائي فقال له: ألق بني الفرات والبرسيين وقل لهم: لا يزوروا مقابر قريش فقد أمر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه، والحير هنا معناه حائر كربلاء[٥].

من نسب إلى بُرس من العلماء:

وقد نُسب إلى برس جماعة من الفضلاء والعلماء والشعراء منهم الحافظ رجب البرسي، كان حياً سنة (٨١٣هـ) وهو رضي الدين رجب بن محمد بن

استطلاع المجلة

رجب البرسي المعروف بالحافظ شاعر علم محدث شهير ولد في قرية برس ونشأ بها وانتقل إلى الحلة لقربها من مسقط رأسه ولأنها كانت محط رحال العلماء والأدباء وقد أثنى عليه أرباب السير والتراجم، ومن أشهر مؤلفاته البالغة عشرة مؤلفات كتابه (مشارق أنوار اليقين) الذي ذكر فيه أن بين ولادة المهدي (عجل الله فرجه) وبين تأليف الكتاب ٥١٨ سنة[٦]، كما ينسب إلى برس أبو عبد الله الحسين البرسي الذي ينتهي نسبه إلى زيد بن الإمام الحسن عليه السلام، كان يسكن قرية برس وسكنها من بعده بعض أولاده وأحفاده.

ثانياً: بورسبا.

والظاهر أن كلمة برس مُحرّفة عن كلمة بورسبا وتعني باللغة السومرية قرن البحر لوقوعها على حافة الغدران.

أما كلمات (كوثاريا) (وكوثى) (وكوثى ربا) فستأتي ضمناً خلال الكلام عن مقام النبي إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وآله أفضل تحية وسلام.

مع النبي إبراهيم[٤]:

المتتبع لحياة نبي الله إبراهيم عليه السلام يلاحظ كيف حفت به الرحمة منذ ولادته، بل قبل أن يولد حيث كان حملاً، كان موضعاً لعناية السماء، وحينما نتحدث عن سيرة النبي إبراهيم عليه السلام فإننا نأخذ ما يهمنا هنا وبما جرى في هذه البقعة.

نسب إبراهيم الخليل[٤]:

لعل بُعد عصر النبي إبراهيم عليه السلام عن عصر التدوين الإسلامي، أحدث كثيراً من الثغرات والمبهمات خصوصاً وأن الإسرائيليات أخذت مأخذها من هذا التدوين وعموماً سوف ننقل الحقائق والمعلومات كما أثبتت ونحاول قدر الإمكان رصد ما تركه لنا أئمتنا الأطهار عليهم السلام، الينبوع الثر الصافي، المصدر الموثوق الأمين.

فإبراهيم عليه السلام هو (ابن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح)، أما أمه فهي (نونا بنت كرنبا بن

المدخل الرئيس لمقام نبي الله إبراهيم عليه السلام

مقام إبراهيم الخليل[٤] وصرح نمرود

محل الولادة في المغارة التي يتم الوصول إليها عبر عدة سلالم نزولاً

كوثا من بني ارفخشد بن سام)[٧].

اختلفت الآراء حول شخصية والد إبراهيم عليه السلام فمنهم من قال أن (آزر) هو والده وآخرون قالوا أن والده (تارخ)، وقد ذهب أصحاب الرأي الأول[٨] إلى ما ورد في الآية الكريمة: (إذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين)[٩] وأما أصحاب الرأي الثاني[١٠] فقد قالوا (إن آزر عمه وليس أبيه) لأن أباه (تارخ) فقد نقل بعض الأفاضل أنه لا خلاف بين النسابين إن اسم والد إبراهيم عليه السلام (تارخ) وهذا غير مستبعد لاشتهار تسمية العم بالأب في الزمن السابق وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله: (لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، حتى أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنسني بدنس الجاهلية)[١١] ولو كان في آبائه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة، مع قوله تعالى: (إنما المشركون نجس)[١٢].

وقد ذكرت بعض الروايات أن (تارخ) والد إبراهيم توفي قبل أن يولد ولده، فانتقلت أم إبراهيم عليه السلام إلى دار شقيق زوجها (آزر) وهي حامل بإبراهيم عليه السلام كان يوم الأول من ذي الحجة يوماً مميزاً إذ ولد فيه إبراهيم عليه السلام.

كان بين الطوفان ومولد إبراهيم عليه السلام ألف سنة وتسع وتسعون وقيل ألف ومائتا

استطلاع المجلة

سنة وثلاث وستون وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وسبع وثلاثين سنة.

وقد روى أبو أمامة أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: كم بين نوح وإبراهيم؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: عشرة قرون[١٣].

محل ولادة الخليل[٤]:

أيضاً أصبح محل ولادة الخليل عليه السلام موضع اختلاف ونحن هنا نعرض المواضع المختلف فيها:

١- غوطة دمشق: قال ياقوت في معجمه: ولد إبراهيم عليه السلام في قرية من قرى (الغوطة) يقال لها (برزة)[١٤] في جبل يقال له (قاسيون) ثم قال والصحيح أنه ولد بـ(بابل)، وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معيناً للنبي لوط عليه السلام.

٢- الوركاء: قال ياقوت أيضاً: هو موضع بناحية (الروابي)[١٥] ولد بها إبراهيم عليه السلام وهو من حدود (كسكر) و(كسكر) هذه هي واسط القصبة التي بين الكوفة والبصرة وقيل قرب البصرة والظاهر اليوم يطلق عليه آثار (الوركاء) بين السماوة والناصرية.

٣- أور: قال حرز الدين في مراقد المعارف[١٦]: (إن مولده - أي إبراهيم عليه السلام - كان بـ(ذي قار - المقيّر - أور) في قرى ومدن الكلدانيين واليوم هو من سواد العراق قرب مدينة الناصرية، أحد ألوية العراق في أراضي (المنتفك)) وهنا تجدر الملاحظة إلى أن الكلدانيين لم يسكنوا يوماً تلك الأراضي فـ(أور) كانت مسكناً للسومريين، وقد ذكر

الواجهة الأمامية لمقام الولادة

لنا الدكتور حسن الحكيم: أن (أور) كان يطلق على مدينتين أور الكلدانيين وتقع بالقرب من بابل وأور السومريين التي أشار إليها حرز الدين آنفاً، والذي يذهب إليه الدكتور أنه أور الكلدانيين هي الأقرب إلى المكان الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، على أن عبد الوهاب النجار يذكر: (وكانت رحلته إلى أور الكلدانيين - أي (كوثى) - ثم حاران (حران) فقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه ولم يطب له المقام بين أهله وقومه فذهب إلى أور الكلدانيين وهي مدينة كانت قرب الشاطئ الغربي للفرات)[١٧].

وهنا نلاحظ الخلط حيث إن إبراهيم عليه السلام ولد وتبرأ من الأصنام وألقي في النار في نفس المنطقة، ثم بعدها هاجر إلى (حران) فكيف ترك أهله وقومه أصحاب الأوثان وجاء إلى أور الكلدانيين (كوثى) وفيها ألقي في

مقام إبراهيم الخليل[٤] وصرح نمرود

النار؟!

عموماً فقد ورد ذكرها - أي أور - في (العهد القديم) كونها ميلاد (تارخ) وهو أبو إبراهيم الخليل عليه السلام ومنها نزح الخليل عليه السلام إلى فلسطين.

٣- حران: قال الزبيدي في معجمه: وهي بلدة بالجزيرة بناها (هاران) أخو إبراهيم عليه السلام ووالد لوط النبي عليه السلام (وبه ولد سيدنا إبراهيم الخليل[١٨] عليه السلام) وهي مدينة عظيمة مشهورة في الشام، على طريق الموصل - الشام.

وهناك إشارة أخرى لمدينة إبراهيم في العراق وهي: (كان إبراهيم فتى من أهل (فدان آرام) بالعراق كما في التوراة وكان قومه أهل أوثان)[١٩].

٤- كُوثى: نصت أغلب كتب التاريخ والآثار والبلدان على أن مدينة (كوثى) هي محل ولادة النبي إبراهيم عليه السلام والتي تعرف اليوم بـ(قرية إبراهيم الخليل) والواقعة ضمناً تحت اسم (آثار برس) وهناك عدة أقوال نعرض لها في ذكر هذه المدينة.

(كوثى، كوثى ربا، كوثاريا) وهذه الأسماء كلها تدل على نفس المنطقة وقد سكنها (النبط) فعن ابن عباس قال: (نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى)[٢٠]، وقد بيّن البحراني قائلاً: لأن إبراهيم الخليل ولد بها وكان (النبط سكانها) وقال آخر: كوثى سرة السواد بها ولد إبراهيم الخليل[٢١] عليه السلام.

أما الحموي فيشير قائلاً: كوثى بالعراق في موضعين كوثى الطريق وكوثى ربا وبها مشهد إبراهيم الخليل وهما قريتان، بينهما تلول من رماد،

القبة التي تعلو المقام ويبدو عليها آثار التصدّع

يقال أنها رماد النار التي أوقدها (نمرود) لإحراقه وعليه فإبراهيم ولد في قرية (كوثى ربا)، وأما كوثى الأخرى فهي بالقرب منها، على أن (كوثى ربا) قد صحفت وأصبحت في بعض الكتب (كوثاريا) وعليه فإن الاحتمال الأقرب للصحة كون المقام الموجود الآن بالقرب من مدينة الحلة هو مقام ولادة إبراهيم الخليل عليه السلام، كما أن هذه القرية - أي كوثى ربا - كانت تقسم إلى مناطق أصغر حيث تنقل الرواية (قيل أن أول من تكلم بالعبرانية إبراهيم الخليل عليه السلام بعد أن خرج من قريته المعروفة بـ(أوركشد) من بلاد (كوثى) من (خنيرث) وهو إقليم بابل)[٢٢] وفي (أوركشد) دلالة على أور الكلدانيين.

معجزة الولادة:

قال المؤرخون: لم يكن بين نوح

استطلاع المجلة

وإبراهيم النبي عليهم السلام إلا هود وصالح عليهم، فلما أراد الله تعالى إظهار إبراهيم عليه السلام قال المنجمون لنمرود[٢٣] إنا نجد في علمنا أن غلاماً يولد في قريتك هذه، يقال له إبراهيم يفارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا فلما دخلت السنة المذكورة بعث نمرود إلى كل امرأة حامل بقريته، فحبسها عنده ولم يعلم بحمل أم إبراهيم عليه السلام فجعل لا يولد غلام في ذلك الشهر إلا ذبحه فلما وجدت أم إبراهيم عليه السلام الطلق، خرجت ليلاً إلى مغارة وفيها ولدت إبراهيم عليه السلام، فأصلحت شأنه ثم جعلت على باب المغارة صخرة، ثم رجعت إلى بيتها وكانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل فتجده يمص إبهامه - قد جعل الله رزقه في ذلك -.

وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة فلما تكلم إبراهيم عليه السلام قال لأمه: أخرجيني أنظر وقال: إن الذي رزقني وأطعمني ما لي رب غيره ثم رأى كوكباً ثم رأى القمر ثم رأى الشمس فقال ما قصه الله تعالى علينا بقوله تعالى: (فلما جن عليه الله رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فكر السموات والأرض حنيفاً وما أنا

قولان على هذه الصخرة.. الصخرة التي ولد عليها إبراهيم، أو التي غلقت بواسطتها أم إبراهيم المغارة

المدخل إلى الحجرة التي تعلو مغارة الولادة

مقام إبراهيم الخليل[٤] وصرح نمرود

مقام إبراهيم عليه السلام كما يبدو من أعلى صرح نمرود

من المشركين)[٢٤].

وإن كانت هذه القصة قد لا تتفق مع ظاهر القرآن الكريم لأن الآيات المذكورة واردة في محاججة إبراهيم عليه السلام لقومه، وهذا معناه بالغ مبالغ النبوة والمحاججة، لأن الآية التي بعدها (وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان)[٢٥] وعلى كل حال فمن الصعب جداً تحديد بعض الخصوصيات التاريخية لمثل هذه القرون القديمة وفقدنا للمصادر الصحيحة غير المبتنية على الإسرائيليات وغيرها من الموضوعات.

نحن ومقام إبراهيم[٤]:

قبل أن نتحدث عن رحلتنا إلى هذا المقام الطاهر لابد لنا من تبيان الاختلاف في كون هذا المقام هو محل ولادته أم مكان إقامته أم سجنه الذي سجنه فيه (نمرود) بعد أن كسر الأصنام وعاب على من يعبدونها كما يتحدث البعض عن هذا المقام بنسبته إلى إبراهيم عليه السلام دون تخصيص للمكان، فيذكر الشيخ حمود الساعدي قائلاً: (يوجد اليوم في سفح تل (برس) من جهته الشرقية قبر تعلوه قبة بيضاء ينزل إليه بعدة سلالم ينسب إلى إبراهيم الخليل[٢٦](عليه السلام).

أما حرز الدين فيقول: (هو مقام يؤثر لإبراهيم عليه السلام وهو الذي وجد فيه بعد خمود نار نمرود قائماً يعبد الله تعالى في روضة ويقع هذا المقام على تل عال بالقرب من تل (نمرود ـ البرج).

ثم يضيف قائلاً: وقفت عليه وكان

استطلاع المجلة

عليه قبة صغيرة شبه السرداب، ينزل عن مستوى أرض الموضع بستة درجات وكان بناؤه شبه القديم كما يبدو منه ولم نجد فيه أثراً تاريخياً ظاهراً للعيان مثل الصخور والكتابة وشبهها، ثم يضيف كذلك: حيث يذكر الرأي القائل بأن هذا المقام هو محل ولادة إبراهيم عليه السلام، ويروى أن هذا المقام هو رسم لموضع الغار الذي ألقته فيه أمه، وكانت الغزالة تأوي إليه ترضعه حتى ترعرع وجاءت إليه أمه على العادة فتعلق بها فأخذته معها وكان من أمره ما كان[٢٧].

واليوم قصدنا إلى هذا المقام المبارك، سواء أكان مقاماً لولادته أو محلاً نَزَله، أو موقعاً سقط فيه أو حبس، فهو مهبط للرحمات، فيه أنفاس الخليل تصاعدت بحمد الله وثنائه.

من النجف اتجهنا نحو مدينة الحلة وقبل أن ندخلها، انعطفنا إلى اليسار خلال طريق ضيق معبد تحيطه الأراضي الزراعية، مررنا واجتزنا مرقداً ينسب إلى محمد الأصغر بن الإمام علي عليه السلام الملقب بـ(أبي بكر بن علي) وبمسافة تقدر بـ(٥) كيلومترات وصلنا إلى مرتفعين أحدهما عال جداً والآخر عبارة عن تل، يقع على قمته مقام النبي إبراهيم عليه السلام، وقد صعدنا التل متجهين إلى هذا المقام بواسطة سيارتنا، وفي القمة لاحظنا مسافة مساحة دائرية كبيرة يتوسطها المقام، والمقام عبارة عن مجمع متكامل حيث الصحن ذو الفسحة الواسعة، يمكن الدخول إليه من خلال المدخل الذي يتوسط الواجهة الأمامية للمقام.

يتركز موقع المقام في منتصف الصحن ويحتوي موقع المقام على رواق يحيط بمركز المقام من جوانبه الأربعة يغطي مساحة (٢٥٦م٢)، وتطل منه على الصحن بابان أحداهما المدخل الرئيس لمركز المقام والأخرى تقع في الجهة المقابلة لهذا المركز.

أما الحرم الداخلي للمقام فهو عبارة عن حجرة يتم الدخول إليها بعد أن نرتقي أربعة درجات تقع في الجهة الداخلية للحرم المقابلة للمدخل سلم ذو سبعة عشرة درجة تؤدي بك نزولاً إلى المغارة التي ولد فيها إبراهيم الخليل عليه السلام، والمغارة بنفس مساحة الحجرة التي تعلوها بأبعاد (٤٢م٢) وفي أحد جوانب المغارة، المقابل للسلم نلاحظ صندوق خشبي ملاصق للحائط يطل بشباكين على وسط المغارة، وبشباك واحد على الجانبين الآخرين، أما أبعاده فهي (١م) عرضاً و(٥ ،٢م) طولاً و(٣م) ارتفاعاً، يوجد بداخله صخرة (٥ ،٠م × ٥ ،٠م) تحوي على ثقوب صغيرة، يقال إنها الصخرة التي ولد عليها إبراهيم عليه السلام كما أخبرنا بذلك الأخ إبراهيم التميمي أحد القائمين على خدمة هذا المقام المبارك.

وقيل هي الصخرة التي أغلقت بها أم إبراهيم عليه السلام المغارة، بعد أن وضعت ابنها في داخلها وعلى مسافة مترين أو أقل من هذا الصندوق لاحظنا عند السقف فتحة تطل على الرواق الموجود في الأعلى بأبعاد (٥ ،٠م × ٥ ،٠م) وعندما استفهمنا من الأخ التميمي قال لنا: إن هذه الفتحة معروفة عندنا عن طريق أجدادنا أنها

مقام إبراهيم الخليل[٤] وصرح نمرود

طريق الملائكة الذين هبطوا لحماية إبراهيم عليه السلام من كيد الكائدين).

كما تعلوها قطعة من القماش كتب عليها (غار النور ولادة نبي الله إبراهيم الخليل) وفي الجهة المقابلة لهذا الصندوق في الزاوية اليمنى البعيدة من الغار، أشار مرشدنا الأخ التميمي قائلاً: إن تحت هذه الزاوية قبر لعالم من العلماء وعندما استفهمنا عنه عرفنا أنه قبر الحافظ (رجب البرسي) الذي ذكرناه آنفاً.

وقد أكد لنا أحد من التقينا من أهل تلك المنطقة (إن ترميمات جرت قبل عشرين أو ثلاثين سنة في هذا المقام) وعندما وصل العمال إلى هذا الزاوية وجدوا قبراً فعندما فتحوا القبر وإذا الشيخ وكأنه دفن منذ ساعة، طري الجسد وقد تتبعنا محل وفاته في الكتب فلم نعثر عليه.

تعلو الحرم الداخلي قبة خضراء بارتفاع عشرة أمتار وبقطر (٥م)، كتب على طوقها آية (وإذ يرفع إبراهيم القواعد...) حدثنا الأخ التميمي عنها، أنها بنيت عام (١٩٦٣م) وهي اليوم بوضع غير جيد، تحتاج إلى إزالة كلية وإنشاء جديد، ومن خلالنا يطلب الأخ حسن من المحسنين مد يد العون في المساعدة بتشييد قبة جديدة تليق بمقام الخليل عليه السلام، كما طلب منا أن نشير إلى بعض الظواهر السلبية عند طلبة الجامعات خلال زيارتهم لهذا المقام، فتبدأ منهم سلوكيات لا أخلاقية، بعيداً عن روح الإسلام وتعاليمه التي تحث على احترام الأماكن المقدسة.

كما طلب إلينا رجال حماية المنشآت أن نبين معاناتهم فهم يتقاضون أجوراً قليلة بالرغم من حمايتهم المستمرة للمقام والتي قد تمتد اليوم كله مع قلة في تجهيزاتهم من قبيل السلاح والعتاد.

وأنت تقف بالقرب من هذا التل تأخذك الخاطرة حيث إبراهيم الخليل عليه السلام، النفحة القدسية والومضة النورانية تستذكر مواقفه الخالدة في الدفاع عن العقيدة ولو ببذل النفس.

صرح نمرود:

على بعد كيلومتر تقريباً أو أقل من

الآثار المتبقية على قمة صرح نمرود

استطلاع المجلة

ذلك يتراءى لك صرح نمرود الذي سنبين ما قيل فيه قبل أن نعرض ما شاهدنا على قمته.

من هو نمرود؟

هو نمرود بن كنعان بن سنحاريب ابن نمرود بن حام بن نوح، وقد ولد إبراهيم عليه السلام في عهده، وكان نمرود قد ملك الشرق والغرب، رابع أربعة ملكوا هذا المُلْك، وهم (ذو القرنين، وسليمان ابن داود، وبخت نصر).

أما نمرود فقد استعبد أهل (كوثى) وفرض عليهم نفسه رباً، ولضعف ثقافتهم وسخافة عقولهم وقلة تفكيرهم اتخذوه مع أصنام لهم أرباباً من دون الله، توجهوا إليه والى أصنامهم بالعبادة وراحوا يؤدون إليهم الخضوع والخشوع[٢٨].

وقد نسب هذا الصرح إلى نمرود والظاهر أن هذا الصرح كان بناءً مشيداً على طراز (الزقورة) المعروفة عند السومريين وكانت مركزاً لمدينة (برس)، قال الحموي: (واجمة (برس) بحضرة الصرح، صرح نمرود بن كنعان بأرض بابل)[٢٩]، أما القرطبي فقد قال: (إن نمرود بنى صرحاً طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً)[٣٠]، يذكر الشيخ حمود الساعدي عند ذكره أخبار مدينة (برس)[٣١]: (و(برس) تل أثري كبير يبلغ ارتفاعه عن سطح الأرض زهاء (٤٤م) ثم يقوم فوق ذروته بناءً آجري منتصب إلى علو (٥٠-١٢) متراً) يمثل خرائب زقورة تعود إلى معبد (إيزيدا) المكرس للإله (نابو) ابن إله البابليين (مردوخ)، ويرجح أن تاريخ إنشاء هذا المعبد يرجع إلى عهد نبوخذ نصر، يقع هذا التل التاريخي المسمى (برس) على بعد (١٥) كيلومتراً جنوب غربي الحلة على يمين الذاهب من الحلة إلى الكوفة، وفي الحديث الوارد لم نلحظ ذكراً لنمرود ولعل المراد بـ(نابو) هو نمرود نفسه.

وبعدما أدينا زيارة مقام النبي إبراهيم عليه السلام اتجهنا نحو هذا التل وقد اصطحبنا الأخوة سعد محمد الشمري،

آثار الدمار الذي لحق الصرح جراء الصاعقة

بقايا مساكن قوم نمرود

مقام إبراهيم الخليل[٤] وصرح نمرود

صرح برس (نمرود) كما يبدو من سطح مقام نبي الله إبراهيم عليه السلام

ورائد صالح التميمي، وهما من شرطة حماية المنشآت، اللذين أرشدنا إلى معالم هذا التل والذي ارتقيناه مشياً حتى بلغنا قمته، وفي القمة شاهدنا كتل ضخمة من البناء المهدم، بعض منه محترق والآخر أخذت منه الحرارة كل مأخذ حتى وصل إلى درجة الذوبان.

أخبرنا الأخ رائد التميمي أن هذا البناء كان صرحاً قائماً وقد حل به الدمار إثر صاعقة ضربته ولازالت قمته تحتفظ ببعض أقسامها بقطع من الطابوق الفرشي بأبعاد (٢٠سم × ٢٠سم) وقد ختم ببعض الأختام المربعة والمستطيلة دلالة على اهتمام معمل الطابوق آنذاك بإنتاجه وخصوصاً أنه سوف يستخدم في بناء قصر الملك.

لاحظنا أيضاً ثقوباً في مناطق مختلفة من الصرح فسألنا الأخ رائد التميمي، فقال لنا أن نمرود كان قد أوهم الناس أنه إلههم وقد أمر البنائين بأن يجعلوا مجرى الماء الرئيسي للمدينة يمر خلال قصره من هذه الفتحات التي تلاحظوها فإذا غضب على أهل المدينة سد الماء عليهم فيأتون إليه، معتقدين أنه منع الماء باعتباره إله النماء والخصب لديهم فيقدمون القرابين إليه، وقيل أن هذه الثقوب قد وضعت لغرض معماري حيث تمر خلالها الرياح مما يؤدي إلى تطييب الهواء داخل البناء وانتعاشه.

وللعقاد رأي في هذا البناء فيقول[٣٢]: إن نمرود أراد أن يتحدى إله إبراهيم فبنى لنفسه برجاً عالياً وصعد عليه ليناجز

الله في سمائه، ثم طفق يرمي السماء بالسهام حتى عاد إليه سهم منها وقد اصطبغ بالبخيع الأحمر، فخيل إليه أنه أصاب مرماه ولكنه لم يلبث أن سقط على الأرض وسقط معه قومه ونهضوا من سقطتهم يتصايحون بكلام لا يفهمونه، لأن السماء أرسلت عليهم سهاماً زلزلت البرج وقوضت أركانه وتركتهم في بلبال حائرين لا يدرون ما يفعلون.

يطل هذا البرج على بقايا بيوت تحيط به يبدو أنها كانت مبنية من الطين وهي تابعة لحاشية نمرود وزبانيته.

أرض المحرقة:

كان سبب إحراق إبراهيم عليه السلام كما تذكر الروايات[٣٣] أن نمرود خرج وجميع أهل مملكتهم إلى عيد لهم وكره أن يخرج إبراهيم عليه السلام معهم، فوكله نمرود ببيت الأصنام، فلما ذهبوا عمد إبراهيم عليه السلام إلى طعام فأدخله بيت أصنامهم، فكان يدني صنم من صنم فيقول له كل وتكلم فإذا لم يجبه، اتخذ القدوم فكسر يده ورجله، حتى فعل ذلك بجميع الأصنام، ثم علق القدوم (الفأس) في عنق الكبير منهم الذي كان في الصدر، فلما رجع الملك وقومه، نظروا إلى الأصنام متكسرة، فقالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، فقالوا: ها هنا فتى يذكرهم، يقال له إبراهيم وهو ابن (آزر)، فجاؤا له إلى نمرود، فقال: نمرود لـ(آزر) خنتني وكتمت هذا الولد عني، فقال: أيها الملك هذا عمل أمه، فدعا نمرود أم إبراهيم عليه السلام، فقال لها: ما حملك على أن تكتميني أمر هذا الغلام حتى فعل بآلهتنا ما فعل؟ فقالت: أيها الملك نظراً مني لرعيتك، فقال: وكيف ذلك؟ قالت: لأني رأيتك تقتل أولاد رعيتك، فكان يذهب النسل، فقلت إن كان هذا الذي يطلبه دفعته ليقتله، ويكف عن أولاد الناس، وإن لم يكن ذلك فبقى لنا ولدنا، وقد ظفرت به، فشأنك، فكن عن أولاد الناس بصواب رأيها، ثم قال لإبراهيم عليه السلام: من فعل هذا بآلهتنا؟ (قال فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)، قال الإمام الصادق عليه السلام: (ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم لأنه إنما قال فعله كبيرهم هذا، إن نطق فلم يفعل كبيرهم هذا شيئاً)، فاستشار نمرود قومه في إبراهيم عليه السلام فقالوا: له احرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين.

قال المؤرخون: ثم أجمع نمرود وقومه على تحريقه فقالوا احرقوه، قال شعيب بن الجبائي: (أن الذي قال احرقوه خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة).

والظاهر أن القوم لما أجمعوا على إحراق إبراهيم عليه السلام في مكان ولعل المكان الذي زرناه - أي المقام هو المكان الذي حبس - ففي قصة فتح العراق قال ابن الجوزي: (وأقام سعد ببابل أياماً ثم جاء إلى (كوثى)، ورأى المكان الذي حبس فيه إبراهيم وكان ذلك عام ١٦هـ).

استقرت فكرة إحراق إبراهيم عليه السلام فكان على القوم أن يهيؤا الحطب اللازم لإشعال النار والإدارة الخاصة بإبقاء إبراهيم عليه السلام وسطها، فتمثل لهم

مقام إبراهيم الخليل[٤] وصرح نمرود

إبليس وأمرهم باتخاذ المنجنيق، فعن المجلسي قدس سره قال: (أول منجنيق عمل في الدنيا، منجنيق عمل لإبراهيم عليه السلام بسور الكوفة في نهر يقال له (كوثى)، وفي قرية يقال لها (قنطانا)).

بدأت بعدها مهمة جمع الحطب وأعدوا المكان اللازم لاستيعاب هذه الكميات الهائلة، موقد لم يحدد سعته وارتفاعه ولكنه من دون شك كبير وكبير جداً بحجم الانتقام الذي يغلي في الصدور ففي حين أن إحراق إبراهيم عليه السلام لا يحتاج إلا إلى كومة صغيرة من الحطب، فإن القوم إرهاباً لغيره وزيادة في النكاية، أوقدوا ناراً ضخمة لا يستطيع الطير أن يمر فوقها خوفاً من أن تحرقه، فكان يتجنبها على مسافة فرسخ، وعندها اخرجوا إبراهيم عليه السلام من سجنه (وكان له من العمر يومئذ ست عشرة سنة)[٣٤] واتجهوا به نحو المكان الذي وضع عليه المنجنيق كي يضعوه فيه. ومن خلال الروايات يمكن التخمين بأن المنجنيق وضع في أعلى الصرح، صرح نمرود.

ولما أصبح اليوم الذي أجمعوا فيه على إحراق إبراهيم عليه السلام قالت الخلائق: (أي ربنا إبراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره أيحرق بالنار؟ فأذن لنا في نصرته، فقال رب العز جل وعلا: فإن استغاث بشيء منكم فأغيثوه، وإن لم يدع غيري فأنا وليه، قال الراوي فالتقى معه جبرائيل عليه السلام في الهواء وقد وضع في المنجنيق فقال له: يا إبراهيم هل لك إليّ من حاجة؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: أما إليك فلا وأما إلى رب العالمين فنعم، وقد اختلفوا في الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حينما طرح في النار فمنهم من قال أنه دعى بسورة الإخلاص، ومنهم من قال أنه (أول كلمة قالها إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل)[٣٥]، وأما السدي فقال: رفع إبراهيم رأسه إلى السماء وقال: (اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض، أحد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل)[٣٦].

فقذفوه فقال عز وجل: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، قال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها ولم يبق يومئذ نار في الأرض إلا وأطفئت، ظنت أنها هي التي تعنى[٣٦].

فلما انطفأت النار، نظروا إلى إبراهيم عليه السلام فإذا هو ورجل آخر معه ورأس إبراهيم عليه السلام في حجره، يمسح عن وجهه العرق وذكروا أن ذلك الرجل هو مَلَك الظل، فأخرجوا إبراهيم عليه السلام وأدخلوه على الملك قال ابن إسحاق: بعث الله ملك الظل، فقعد مع إبراهيم يؤمنه، ومنهم من قال أن جبرائيل هبط على الخليل وجلس معه يحدثه في النار وهما في روضة خضراء، والمروي أيضاً أن جبرائيل أتاه بقميص من الجنة وألبسه إياه وجلس معه يحدثه.

فمكث نمرود أياماً لا يشك أن النار قد أكلت إبراهيم عليه السلام، ثم ركب فنظر إلى إبراهيم والى جنبه رجل جالس، فناداه نمرود: يا إبراهيم كبير إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بين ما أرى وبينك، هل تستطيع أن تخرج منها؟

فقام إبراهيم يمشي حتى خرج فقال له نمرود: من الرجل الذي رأيت معك؟

استطلاع المجلة

قال مَلَك الظل أرسله ربي ليؤنسني، فقال: إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته، فقال: إنه لا يقبل منك ما لم تكن على دينه، فقال: لا أستطيع ترك ملكي، وعندها استجاب لإبراهيم رجال من قومه لما رأوا تلك الآية على خوف من نمرود فآمن له لوط وكان ابن أخيه.

ثم أمر نمرود بنفي إبراهيم عليه السلام وإخراجه من بلاده وأن يمنعوه من الخروج بمواشيه وأمواله فحاجهم إبراهيم عليه السلام وطلب محاكمتهم فحكم قاضي نمرود برد أمواله وخرج إبراهيم عليه السلام من بلدته وموطنه قاصداً (حران) التي تزوج فيها (سارة) بنت عمه هذا ما يهمنا من الخبر، وتستمر قصة إبراهيم عليه السلام.

عموماً فقد عاش إبراهيم عليه السلام مائة وخمساً وسبعين سنة كما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وتوفي عليه السلام في القدس بفلسطين، في قرية تسمى (حبرون).

وأرض المحرقة باقية آثارها حتى اليوم وقد عرفت باسم (الحرقة) بسبب سوادها إذ يقول الشيخ الساعدي: (وأهل تلك المنطقة يعتقدون أنها هي الأرض التي أحرق فيها إبراهيم الخليل عليه السلام، أما (كي سترنج) فيقول في كتابه (بلدان الخلافة الإسلامية): (في قرية (كوثى ربا) ثلاث تلال رماد عظيمة، قالوا هي رماد نار نمرود).

وقفنا اليوم على تلك المنطقة بعد أن قطعنا شوطاً طويلاً في السؤال والتنقل بين الطرق والقرى، وقد يئست من الوصول إليها لولا صبر سائقنا وأمله في العثور على هذا الموقع والحمد لله فقد وصلنا إليها، تقع اليوم هذه المنطقة في قرية (آلبو شيخ سعيّد) فيما يعرف أيضاً بـ(الإيشان) وبعد أن وصلنا إليها، استقبلنا الأخ السيد سلام الزاملي ممن يسكن بجوار المنطقة والمنطقة عبارة عن ساحة دائرية يقدر قطرها بـ(١٠٠متر) تقريباً خالية من الزرع والأشجار، في حين تحوطها البساتين وحينما سألنا الأخ الزاملي عنها قال لنا: (إن عدداً من الزائرين وخصوصاً الباكستانيين يأتون إلى هذه الأرض وقد كنا نعاني في الزمن السابق من تدخل السلطات في منعنا من التعريف بهذه المنطقة فكان على القاصدين أن يبذلوا جهداً للوصول إلينا، ومما لاحظناه

أرض المحرقة إلى الآن سوداء ولا ينبت فيها زرع

مقام إبراهيم الخليل(ع) وصرح نمرود

تلة النار التي ألقي فيها نبي الله إبراهيم

أن تربة هـذه الأرض تبـدو عاديـة، ولكن حيـن تأخـذ قبضـة منهـا وتفركها باليد تلاحظ حبيبات سوداء تـكاد تميـز بالعيـن وكأنها آثار للرماد).

طلب إلينا السـيد الزاملـي أن نوصـل صوتـه فـي المطالبة من ذوي الاختصاص بالاهتمـام بهـذه المنطقـة باعتبارهـا منطقـة أثريـة ذات علاقـة بمعجـزة خالـدة، معجـزة إلهيـة جعلت مـن النار برداً وسـلاماً، كما لا ننسى الطلب المشترك من القائمين على خدمة مقام الخليل عليه السلام والسـيد الزاملي بمـد طريـق يوصل بين المقـام والصرح والمحرقة كي يتسـنى للزائر أو السائح الوصول إليهم بسهولة.

اللهم صل وسـلم وبـارك على محمد وآل محمـد كما صليـت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ■

---

(١) مستدرك سفينة البحار، ٣٢٤/١.
(٢) الحموي، معجم البلدان، ٣٨٤/١.
(٣) البكري، معجم ما استعجم، ٢٤١/١.
(٤) محمـد صالـح المازندرانـي، شـرح أصـول الكافي، ٣٥٦/٧.
(٥) الكليني، الكافي، ٥٢٥/١.
(٦) الخاقاني، شعراء الحلة، ٣٦٨/٢.
(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ١٤٨/١.
(٨) العلامة الحلي، الرسالة السعدية، ص٨٣.
(٩) سورة الأنعام/ الآية:٧٤.
(١٠) العلامة الحلي، الرسالة السعدية، ص٨٣.
(١١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ١١٧/١٥.
(١٢) سورة التوبة/ الآية:٢٨.
(١٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ٤/ ٣٠٤.
(١٤) الحموي، معجم البلدان، ٣٨٣/١.
(١٥) المصدر السابق، ٣٧٢/٥.
(١٦) مراقد المعارف، ٢٣/١.
(١٧) النجار، قصص الأنبياء، ص١٠٣.
(١٨) الزبيدي، تاج العروس، ١٣٦/٣.
(١٩) النجار، قصص الأنبياء، ص٩٩.
(٢٠) المحقق البحراني، الحدائق ٣/ ١٧٥.
(٢١) الكليني، الكافي، ٣٧٠/٨.
(٢٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٦٩.
(٢٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٤٩/١.
(٢٤) سورة الأنعام الآية:٧٦-٧٩.
(٢٥) سورة الأنعام الآية: ٨٠.
(٢٦) الأمين، دائرة المعارف الشيعية، ٦٩/٨.
(٢٧) مراقد المعارف، ٢٤/١.
(٢٨) الجزائري، قصص الأنبياء، ص٨٠.
(٢٩) معجم البلدان، ١٠٣/١.
(٣٠) القرطبي، تفسير، ٣٠٣/١١.
(٣١) الأمين، دائرة المعارف الشيعية، ٧٠/٨.
(٣٢) إبراهيم أبو الأنبياء، ص٢٤.
(٣٣) العاملي، قصص الأنبياء، ص١٠٢.
(٣٤) ابن كثير، البداية والنهاية ٧/ ٧١.
(٣٥) العلامة المجلسي، البحار ١٢/ ٢٥.
(٣٦) العاملي، قصص الأنبياء ص:١٠٣.

في رحاب الفقه

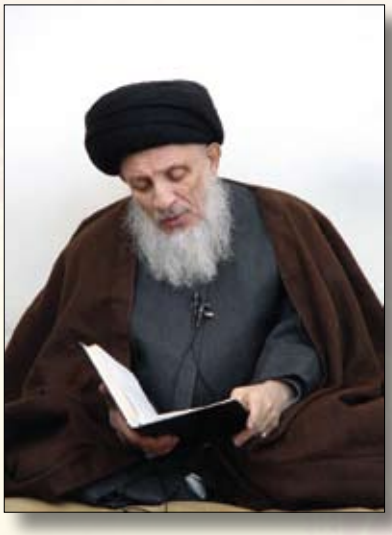

يعلن باب (في رحاب الفقه)

عن استعداده للقراء الكرام في استقبال أسئلتهم الفقهية، والإجابة عنها في ضوء فتاوى سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: ما هو الضابط في كثرة السفر هل من يقطع المسافة في الأسبوع ثلاث مرات أو أربع مرات ولمدة شهر أو شهرين إذا كان للدراسة أو العمل؟

ج: المعيار والضابط في كثرة السفر أن يكون السفر كثيراً من المكلف بمقتضى طبيعة حياته أو عمله بحيث يكون سفره أكثر من حضره أو مقارباً له. ولا يكفي تكرر السفر لمدة شهر واحد ويكفي أكثر الأيام من ثلاثة أشهر خصوصاً إذا تعود ذلك في كل سنة، أما الشهرين فلا يكفي على الأحوط وجوباً فلابد له من الجمع بين القصر والتمام أو قصد الإقامة لمدة عشرة أيام فما زاد.

س: ما حكم التصفيق في الحسينيات والمساجد ابتهاجاً بمواليد الأئمة الأطهار (عليهم السلام)؟

ج: التصفيق في نفسه لا بأس به والأحوط وجوباً تركه إذا كان على غرار إيقاع موسيقي منظّم.

س: يوجد الآن في الأسواق نوع من الجبن المستورد من البلاد الأجنبية الغربية مكتوب عليه أنفحة عجل ويقول البعض: إنه يوجد فيه دهن حيواني وذلك ليبقى طرياً فهل يجوز أكله؟

ج: يجوز أكل الأجبان المذكورة حتى مع العلم باحتوائها على أنفحة العجل ـ في مفروض السؤال ـ إلاّ مع العلم بطروء النجاسة عليها فيحرم أكلها حينئذ.

س: ما هو المقصود بالمدن الكبيرة؟ وكيف يمكن تشخيص أن هذه المدينة كبيرة أم لا؟ وهل مدن مثل بغداد، البصرة، كبيرة أم لا؟

ج: البلدان الكبيرة التي تعارفت في عصورنا كثيراً على قسمين:

الأول: ما يكون بعضه مرتبطاً ببعض في الوضع المعاشي والحياتي بحيث لا تستقل أحياؤه ومحالّه بنفسها، بل يرتبط أحدها بالآخر أو ترتبط كلها بالمركز. وفي هذا القسم يكون مبدأ حساب المسافة طرف البلد.

الثاني: ما يستقل بعضه عن بعض، بحيث يستغني كلّ حي أو محلة بنفسه في وضعه المعاشي. ولا يحتاج بعضها الأخر إلا كما يحتاج المدن الأخرى أو تحتاجه فهي ـ وإن تجاورت وشملها اسم واحد ـ كالمدن المتعددة، وليس تقاربها إلا كتقارب القرى أو المدن التي تتسع شيئاً فشيئاً حتى تتقارب أو تتصل. ومبدأ حساب المسافة في هذا القسم المحلة أو الحي الذي يسكنه المسافر. نعم إذا كان المسافر مرتبطاً بأكثر من حي أو محلة، كان مبدأ الحساب له من منتهى أقرب الحيين أو الأحياء إلى جهة سفره. كالشخص الذي يبيت في حي ويعمل في آخر. كما أن الشخص الذي يرتبط بجميع أحياء المدينة ـ لتعدد مراكز عمله أو لسعة علائقه الاجتماعية أو لغير ذلك ـ يكون مبدأ الحساب له أطراف المدينة.

س: متى نسجد سجدتي السهو وكيف نسجدهما؟

ج: تثبت سجدتا السهو بالكلام في أثناء الصلاة. وترك التشهد الأول سهواً بل الأحوط وجوباً ثبوت سجدتي السهو بنسيان التشهد مطلقاً وبزيادة السلام المخرج على الأحوط وجوباً. بل هو الأظهر لو زاد معه التشهد المتصل به وبالجلوس في موضع القيام وبالعكس سهواً.

نعم إذا أتى بتكبيرة الإحرام حال الجلوس سهواً حكم ببطلان الصلاة وبالقراءة بدل التسبيح وبالعكس والعلم الإجمالي بالزيادة أو النقصان من دون أن يلزم البطلان وسجدتا السهو سجدتان متواليتان على الأحوط وجوباً ويجب فيهما النية وكونهما على المساجد السبعة ووضع الجبهة على ما يصح السجود عليه في الصلاة وعدم علو موضع الجبهة ويعتبر بعدهما التشهد ثم التسليم على الأحوط وجوباً ويعتبر فيهما الذكر على الأحوط وجوباً أي ذكر كان نعم يستحب أن يقول بسم الله

في رحاب الفقه

وبالله وصلّى الله على محمد وآل محمد أو بسم الله وبالله اللهم صل على محمد وآل محمد أو بسم الله وبالله والسلام (أو السلام) عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وهذه المسائل مذكورة في المنهاج مفصلة.

س: هل يجوز بيع الكتب في المسجد للأعمال الخيرية؟

ج: بيع الكتب وغيرها في المسجد لا بأس به، وإن كان لا ينبغي شيء من الأعمال غير العبادية في المسجد من البيع والشراء وغيرهما من الأمور الدنيوية.

س: هل يجب الاعتدال (الانتصاب كلياً) في القيام بعد الركوع، فالبعض يكون قيامه غير معتدل أي هو اقرب للانحناء منه إلى القيام ويكون سريعاً وغير مستقر فيهوي سريعاً للسجود، وما حكم الصلاة فيه للجاهل بذلك؟

ج: يجب الانتصاب في القيام بعد الركوع معتدلاً مع الاستقرار والطمأنينة على الأحوط وجوباً وترك شيء من ذلك سهواً ومن دون عمد لا يوجب البطلان.

س: أنا أعمل في شركة مقاولات تأخذ منقصات فنعمل في بعض الموقع فما حكم الصلاة في هذا الموقع مع العلم إني لا أعلم من هو المالك؟

ج: إذا لم يعلم بغصبية المكان فتجوز الصلاة فيه ـ من هذه الجهة ـ كما يجوز له العمل فيه.

س: لو عرض للمكلف خلل في أثناء الصلاة و لا يعرف معالجة هذا الخلل فقام بإعادة الصلاة هل يأثم لعدم تعلم الأحكام الشرعية و تكون صلاته المعادة مجزية؟

ج: يجوز له قطع الصلاة وإعادتها وتكون مجزية ولا إثم عليه من هذه الجهة، نعم يجب عليه تعلم الأحكام الشرعية التي تكون محلاً للابتلاء.

س: أعاني من هواجس غريبة تنتابني في حياتي فمثلاً أثناء الصلاة عندما أكون أصلي بجانب شخص يأتيني هاجس بأني أرائي في صلاتي، أو عندما أفكر في ذنوبي وأستغفر الله منها بعد مدة تأتيني نفس الحالة هل أن الله غفر لي أم لا، وكثير من الحالات تنتابني في أمور كثير، طبعاً أنا متيقن بأنها من وساوس الشيطان الرجيم ولكن أريد حلا لهذه الحالة.

ج: هذه الهواجس لا أثر لها ولا تنافي خلوص النية، ولا ينبغي للمؤمن أن يهتم لوساوس الشيطان أو يعطيه أُذُناً صاغية، وهذا الإهمال هو العلاج المستفاد من بعض أحاديث أهل البيت (عليهم السلام).

س: هل يشترط رضا إمام الجماعة عن صلاة المأموم خلفه في صحة صلاة المأموم؟

ج: لا يشترط في صلاة الجماعة رضى الإمام.

س: لدي حساب بنكي في أحد البنوك المحلية في إحدى الدول الإسلامية و هذا البنك لا يطبق الأحكام الإسلامية في معاملاته البنكية وعند اشتراكي في هذا البنك لم أشترط الربح على أموال راتبي التي ترحل لحسابي آخر كل شهر... لكن البنك أعطاني فوائد على أموالي فما حكم هذه الفائدة؟

ج: إذا كان البنك تابعاً لدولة مدعية للولاية الدينية فلا يجوز أخذ الزيادة في مفروض السؤال وان كان تابعاً لدولة غير مدعية للولاية الدينية جاز أخذ الزيادة وإجراء حكم مجهول المالك عليه بأن تأخذ الفائدة بالوكالة عن سماحة السيد الحكيم (دام ظله) ثم تتملكه هبةً من قبله بشرطين:

الأول: أن لا تصرفها في الحرام.

الثاني: أن تدفع خمسها إذا بقي منها شيء إلى حين حلول رأس السنة الخمسية.

س: هل يجوز للزوجة الهاشمية أن تأخذ من الخمس إذا لم يستطع الزوج الإنفاق عليها؟ وعلى تقدير الجواز فهل الجواز مشروط بقدر حاجتها وحدها أو مطلقا بحيث تنفق على زوجها وأولادها ما زاد على حاجتها؟

ج: يجوز للزوجة في مفروض السؤال أن تأخذ من سهم السادة بمقدار حاجتها عرفاً فإن كان من شأنها الإنفاق على زوجها وأولادها جاز لها ذلك.

س: إني طالب جامعي أقطع المسافة الشرعية طوال السنة الدراسية فما هو حكم صلاتي وصيامي لشهر رمضان الكريم؟

ج: يجب عليك إتمام الصلاة والصيام في بلدك وفي محل دراستك وفي الطريق بينهما إذا كنت تسافر إليه يومياً أو أكثر أيام الاسبوع.

س: امرأة تزوجت قبل شهر رمضان بشهر واحد وانتقلت إلى بلد زوجها للإقامة معه فهل يكفي هذا الشهر الواحد لتحقق صدق الوطن التابع لزوجها؟ وهل هناك مدة محددة يصدق معها الوطن للزوجة؟

ج: إذا قصدت السكن مع زوجها ـ كما هو المتعارف ـ كانت تابعة له وكان وطنه وطناً لها، ولا يشترط في صدق ذلك مرور مدة معتد بها ■

عينية الشيخ
قاسم محيي الدين

• د. حسن الخاقاني

ينابيع الشيخ قاسم محيي الدين: هو الشيخ قاسم ابن الشيخ حسن بن الشيخ موسى بن الشيخ شريف بن محمد بن يوسف بن جعفر ابن علي بن حسين بن محيي الدين الأول بن عبد اللطيف ابن علي نور الدين بن أحمد شهاب الدين بن محمد بن أحمد بن على بن أحمد جمال الدين بن أبي جامع العاملي الحارثي الهمداني ١٣١٤هـ - ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م.

ولد في النجف الأشرف في ٢٥ رمضان ١٣١٦هـ[١]، توفي والده وهو صغير، فكفله جده الشيخ جواد. ثم خاله الشيخ أمان، وكان موضع رعاية الأسرة، وقد ظهرت عليه علامات النبوغ مبكراً، فاجتهد في الدرس والتحصيل حتى فاق الأقران.

قرأ المقدمات على أساتذة معروفين، وأخذ علم العروض على السيد رضا الهندي[٢]، والأصول والفقه على مشاهير العلماء كالشيخ محمد حسين الأصفهاني، والشيخ أغا ضياء العراقي، والسيد أبو الحسن الأصفهاني والسيد فتاح الشهيدي، وأخذ عليه مقدمات العلوم فريق كبير من أعلام الفضل كالشيخ محمد رضا المظفر، والشاعر محمد مهدي الجواهري، والشاعر صالح الجعيفري وغيرهم. كما أخذ عليه علم العروض.

سافر إلى سوريا ولبنان عام ١٣٥٣هـ وهناك التقى بأعلام آل محي الدين أقاربه، كما التقى بمشاهير العلماء والأدباء في القطرين كآل الزين وآل شرف الدين، وآل الفقيه، وآل الحر وآل عسيران وآل الأمين. ودارت له معهم مساجلات علمية وأدبية، ومناظرات فكاهية ونكات مستملحة. كما وقعت له مع علماء الثالوث مناظرات ذات شأن فكان وهو من أتباع التوحيد قد استظهر على ناموس الثالوث كما أراد الحق، وجرى ذلك في قرية (جرجوع) بالقرب من جبع الحلاوة.

امتلك شخصية رقيقة، حبيبة إلى أكثر النفوس، جمع بين العلم والأدب ومجلسه العامر في كل ليلة، بل في كل يوم، يغص بفريق من أهل الفضل والكمال، تدور فيه أمتع الأحاديث الملذة، وشخصه المتنقل بين أفراده، والمحوج له بنكاته، والمهيمن عليه بفطنته حتى تميز عن معظم مجالس أهل الفضل في النجف الأشرف.

والحق إن الشيخ قاسم من الشخصيات العلمية النادرة المثالية بمجموعها ففيها ما لم تتصور من الروحية والمرح والنبل والإصلاح وحب الخير والدفاع عن الحوزة الدينية التي أخذت تنهار كثير من جوانبها.

وتحيط هذا المجلس مكتبته التي وضعها تحت تصرف الوافدين عليه وقد غصت رفوفها بالكتب المتنوعة، كما تجد في شخصه فهرساً كبيراً يعلمك بأي كتاب عنده، وباسمه، ومافيه على الأكثر.

نشأ نشأة صالحة جرياً على سيرة آبائه الأتقياء العلماء، فأخذ يمتزج بشيوخ وشباب البلد المقدس ويسعى لاستعادة مجده الذي كاد أن يندثر، فأعاد لبيته سمعة وصيتاً، وتحرى مخلفات آبائه فاستطاع أن يحصل على أكثرها بأساليب مختلفة وبعناء كبير، وناديه الذي رافقه من النشأة كان أحد عوامل التسلي لأصحابه والانشراح لهم ففيه تدور مساجلات من الطراز الفكاهي النادر، ولاسيما إذا عرفنا بأن الشيخ قاسم قد أتمت بعينية علة منذ الصغر منع على أثرها من القراءة، فاضطر إلى ترك الدرس العلمي فليلاً واتجه إلى الأدب. لكنه عاد وترك النظم واتجه إلى الشهرة العلمية والمكانة الدينية، ولم يترك النظم في النظم في الأئمة الأطهار

واحة الأدب

إذ نذر لله أن لا يقول إلا فيهم.

تفنن في نظم أنواع الشعر السائد في عصره ولاسيما الموشحات وقصائد المناسبات ورثاء آل البيت المطبوع في كتابه (الشعر المقبول في رثاء آل الرسول والرسول) بجزئين في النجف، له مجموعة من المؤلفات ذكرها في (العلويات).

القصيدة:

ظعن الخليط فأعيني لا تهجع
قد زاحمت فيها السهاد الأدمع
ونشرت أجفاني سحاباً صيباً
وطويت قلبي غلةً لا تنقع
ها فانظروا لأضالعي ومدامعي
لا الدمع يطفيها ولا هو يقلع
لم تبك تلك الربوع صبابة
إلا بكت شجواً علي الأربع
ولقد رموا قلبي عشية ودعوا
حرقاً فمالي بالتجلد مطمع
وإليك عني يا عذول فليس من
ألم النوى وأبيك مثلي يجزع
ما هد ركن الصبر غير تذكري
من جنة المحراب وهو المصرع
فأعاد لي شجواً تكاد به الحشا
من عظم ما قد راعها تتقطع
لم أنسه إذ قام في محرابه
وسواه في طيف الكرى يتمتع
فانسل يستل ابن ملجم سيفه
متخفياً والليل داج أسنع
وعليه مذ رفع الصفيحة كاد من
جزع يخر له الصفيح الأرفع
وغدا يقنع رأسه في صارم
أضحى عليه وهو يسجد يركع
وتقحم النهج الوسيع ورجله
بالرعب تعثر حيث ضاق المفزع
والمسلمون تزاحموا في أخذه
وعليه قد سلوا السيوف وأسرعوا
فتراهم ما بين مرتاع الحشا
فكأنه كأس الردى يتجرع
ومكفكف دمعاً يسيل بقلبه
لم يدر مما راعه ما يصنع
ونعاه جبريل ونادى بالسما
وعليه كادت من شجىً تتصدع
اليوم أركان الهدى قد تهدمت
اليوم شمل المسلمين موزع
اليوم قد قتل ابن عم المصطفى
اليوم عم الدهر خطب أشنع
اليوم قد قتل الإمام المرتضى
اليوم قد قتل الوصي الأنزع
اليوم أثكل أحمد بوصيه
اليوم بيت الوحي قفر بلقع
اليوم أودى بالمكارم والعلا
خطب له صم الصفا تتصدع
لهفي لمن خضبته دماؤه
وعليه أملاك السما تتوجع
لهفي لمن فقده الفرقان با
ك والهدى متفجع متوجع
لم أنس زينب إذ رأته وجسمه
من فيض مفرقه الشريف ملفع
فجرت مدامعها بمثل دمائه
وفؤادها بشجونه يتقطع
تدعو بصوت طبق الدنيا الأسى
أبتاه من ذا بعد فقدك مفزع

عينية الشيخ قاسم محيي الدين

أبتاه من ذا بعد فقدك للورى
غوث إذا ريعوا وغوث ممرع
من للأرامل واليتامى ملجأ
لولاك من للدين بعدك مرجع
فلقد أذبت حشا المكارم والعلا
وعليك دين محمد متفجع

المرجع الرئيس لهذه القصيدة هو بيان الصورة الفاجعة لمقتل الإمام علي عليه السلام وما جر هذا المقتل المأساوي من آلام فاجعة ظهرت آثارها في النصف الثاني من النص.

وقد استقطب هذا المرجع كل حركات الفعل المجرم الذي أدى إلى هذا المصرع، راسماً الصورة العامة لتلك اللحظات ببيان أثرها في المسلمين، ملتقطاً في أثناء ذلك بطريقة سردية واضحة الوحدات الرئيسية للحدث. ثم الخلاص منه إلى بيان نتائج تلك الواقعة، والإقرار بوقوعها لتعميق أثرها في وعي المتلقي، وقد اتسم أداء ذلك على وحدات رئيسية كونت النص بنائياً وهي كالآتي:

الوحدة الأولى:

وتمتد بين الأبيات من ١-٧ ، وهي الأبيات الافتتاحية التي اتخذت من صيغة النسب التقليدية نمطاً أدائياً لها، منطلقة من تقرير لحظة الانفصال الواقعة في الفعل وفاعله (ظعن الخليط) وما استتبع ذلك من مظاهر الحزن الأخرى، وهي مظاهر مضخمة تتجاوز حدود الواقعة التي أدت إلى ذلك وهي (ظعن الخليط) إذا ما قيست بدلالاتها الحقيقية، وهي دلالة مؤقتة، لأن لها دلالة أخرى تتحقق كون المقصود إنما هو الحال المكنى عنها بيت الافتتاح، حيث تتكشف بالتصريح في البيت السابع:

ما هد ركن الصبر غير تذكري
من جنة المحراب وهو المصرع

فهو يبدأ بالنفي المنقوص بالاستثناء (بغير) فالبيت يحمل فعلاً ارتدادياً يصبح معه تذكر من ضمه المحراب هو السبب الحقيقي لكل ما سبق أن ساقته الأبيات الستة السابقة من مظاهر حزن فاجعة، وليصبح معه المفتتح في (ظعن الخليط) فعلاً مشيراً إلى غياب الإمام، المقتول ومفارقته، وهنا يتحقق التسويغ الفني والنفسي لحجم الحزن الفاجع الذي يتقدم النص، ويلقي عليه تلك الضلالة الثقيلة التي تجعل الأداء فيه ثقيلاً متباطئاً، يتناسب مع حالة الحزن الغامرة، وليستطيع أن يعبر عنها - فنياً - بحسب ما تتطلبه.

الوحدة الثانية:

إن فعل التذكر المنصوص عليه في هذا البيت يصبح منطلقاً للانفتاح على المأساة، وإذا كان هذا الانفتاح يتأجل قليلاً حين الإلتفات في البيت الثامن إلى عظمة الشجو الذي يقطع الحشا، فإنه يجد انطلاقه الحقيقي في الفعل الرديف(لم أنسه...) في البيت التاسع فيبدأ فاصلاً سردياً تقدم فعل أداء الجريمة منذ لحظة قيام الإمام عليه السلام إلى محراب الصلاة، وهو المكان الذي سيكون موضع استشهاده، ليخلق اتحاداً أزلياً بين الشهادة والعبادة، إذ إن

البيت يجعل الإمام منفرداً بذلك وحده بطريق الاستثناء في قوله (وسواه في طيف الكرى يتمتع).

ويبدأ البيت العاشر بالفاء التي تفيد الترتيب ليعطي السرد فرصته لاتخاذ مساره التصاعدي، وقد استفاد هذا البيت، بل الشطر الأول منه من الطاقة الصوتية التي يوفرها الجناس الناقص في (انسل - يستل)، ولاسيما إنه يعزز بسين أخرى في (سيفه) الواقعة مفعولاً للفعل يستل مما يعني قوة الرابطة الصوتية المتحققة بتوالي السينات التي جسدت فعل الجريمة أكثر من كونها تمثل صفة لليل الذي وقعت فيه الجريمة.

ويستكمل البيتان(١١، ١٢) مفاصل الجريمة بإيقاع فعل القتل مبيناً الحركات التي يتألف منها هذا الفعل (رفع الصفيحة، السيف) (يقنع رأسه في صارم، ويعرض البيت ١٣ رد فعل المجرم بعد إنجاز فعل الجريمة وهو يتجسد في محاولته الهرب. وقد غلب عليه حال من الرعب والفزع، وهو مظهر آخر من مظاهر عظم الواقعة، ولابد من الإلتفات إلى الدلالة المزدوجة لكلمة (نهج) في الشطر الأول من حيث أنها يمكن أن تحمل على دلالتها الواقعية (الطريق) أو الدلالية المجازية التي يمثلها الإمام عليه السلام.

يتولد من فعل هرب المجرم فعل مضاد هو فعل المسلمين وهو ما يكون منطلقاً لوصف حال المسلمين وبيان وقع خبر الفاجعة عليهم ويستغرق ذلك في الأبيات الثلاثة (١٤-١٦).

يصف البيت ١٧ النداء الشهير الذي أطلقه الملك جبريل عليه السلام في السماء وذلك باستعمال أداة العطف وهي الأداة التي كانت لها السيطرة في تنظيم عملية تتابع السرد منذ البيت ١٠ حتى البيت ١٧ فتكررت الواو ست مرات والفاء مرة واحدة وهي نسبة تردد عالية جداً، مما يعني ضعف الترابط البنائي، واقتصاره على التراكم لأن الربط بالعطف هو من أضعف أنماط الربط ووسائله. ويماثل هذا نمط آخر من التكرار يمتد على مدى الأبيات ١٨-٢٢وذلك بتكرار كلمة (اليوم) الظرفية ونسبة تردد بلغت تسع مرات في خمسة أبيات، وهي نسبة تردد عالية جداً ولاسيما أن الأبيات الخمسة قد اعتمدت أسلوب الترادف في عرض الخبر نفسه ولو نظرنا إلى صدري البيتين ١٩-٢٠ لوجدنا التطابق الكلي في المعنى وشبه الكلي في المبنى، ويظهر التكرار مرة أخرى في البيتين ٢٣-٢٤ بكلمة (لهفي)، وقد وظف هذا التكرار من أجل تعميق الفكرة الرئيسية ونقل مدى وقع الفاجعة ومدى ما تركه من أسى.

يبدأ البيت ٢٥ النظر إلى الفاجعة من زاوية جديدة وذلك بالإلتفات إلى بيان أثرها على إمرأة ارتبط اسمها تاريخياً وفي الضمير المسلم بأفجع المصائب، وتلك السيدة زينب عليها السلام ملتقطاً بعض مظاهر الحزن والأسى منقولة عبر الصوت الناطق في النص وهي صوت السيدة زينب نفسها بتكرار أداة النداء والمنادى: (أبتاه) مكرراً ذلك في البيتين ١٧- ١٨ ليختلط الصوتان (صوت الشاعر) و (صوت السيدة زينب) وهو اختلاط مموه، يؤذن بإيجاد نهاية للقصيدة.

استطاعت القصيدة، باعتماد

عينية الشيخ قاسم محيي الدين

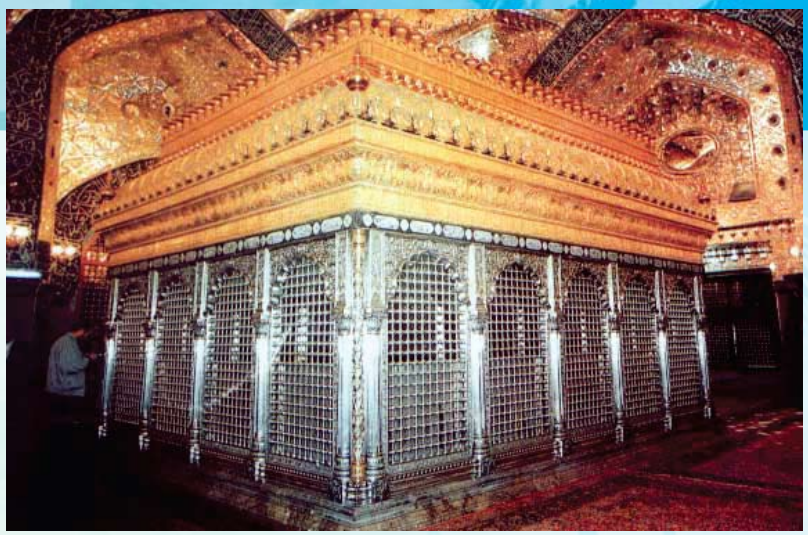

الأسلوب السردي، ومتابعة جزيئات الحدث، أن تستفيد من أمكان التنويع في عدد الضمائر الواردة فيها، مع يسر الانتقال بين هذه الضمائر، مما أباح أمامها أفضل الإمكانات لإظهار حركة مناظرة لحركة الفعل القلق المتسارع، التي سيطرت في الجزء الأول من القصيدة. فيمكن بسهولة، ملاحظة ظهور الضمائر وتنابها في السرد: ضمير الغيبة، ضمير المتكلم، ضمير المخاطب، مما جعل القصيدة القائمة على القلق والحركة تترابط بنائياً وإن تعددت وسائل الربط.

وقد تجلى ذلك في:

١- الحركة على مستوى الأحداث وتتابعها السريع.

٢- حركة الأشخاص الفاعلين في بناء الأحداث وهم: (الشاعر، الإمام، القاتل، المسلمون، جبريل، زينب).

٣- المحيط أو البيئة: (السماء، الأفلاك، السيف، الدم).

تتسم القصيدة عموماً بالبساطة من حيث مظاهر البناء فالحجم هو ٣٠ بيتاً، ومن حيث الاستعمال الطبيعي للعلاقات البلاغية السائدة. وقد مالت نحو إظهار التفجع لعظم المصيبة، ولذلك فهي تبدو أقرب من حيث طبيعة الإيقاع السائد فيها، إلى طريقة الإنشاد المنبري المعروفة، أكثر من كونها قائمة على أساس من الخلق الفني المعد لطبيعة تلقي أخرى، أي إن طبيعة التلقي القائمة على المشاركة الإنشادية، والتأثير المؤقت لطغيان العاطفة، هما اللذان يمنحان القصيدة قوتها.

ولعل من أبرز سمات هذه القصيدة اعتمادها الكبير في بنائها على الأداء السردي، وهو ما يترك فيها آثاراً مختلفة، فمن الآثار الإيجابية إن السرد قد ساهم في لم شتات القصيدة إذ وفر لها وحدة موضوعية جعلت الأفكار تتوالد من بعضها مع توالد وحدات الحدث الطبيعية في نموها التصاعدي، ولكن ضريبة هذا الإنجاز تتمثل في بعض الآثار السلبية التي يمكن أن يولدها الاعتماد على السرد ومنها مزاحمة البناء السردي لمتطلبات البناء الشعري مما يجعلها تقتصر على بعض التقنيات الجزيئية. إذ تغيب معظم العلاقات البلاغية ذات

القيمة الإنجازية العالية، وينحسر مد بناء الصورة الفنية المعبرة حين تتضاءل فرص التعبير بها لتنحصر في زوايا ضيقة. بل تنتقل أحياناً مهمة بناء الصورة من الأدوات الشعرية، التي يفترض أن تكون هي الأساس في البناء الشعري، إلى الأدوات السردية الطارئة، فتخضع الصورة لطبيعة عمل هذه التقنيات، وليس للعلاقات المجازية ذات الطبيعة الشعرية، وأهمية متابعة هذا الأمر تأتي من اتصاله بمدى عمق التجربة، ومدى إمكان التعبير عنها، إذ إنها ستغدو مع السرد: تجربة خارجية تبدو على درجة ما من الانفصال بين الشاعر وما يبينه، حين يتعامل مع تجربته بوصفها موضوعاً خارجياً، وهو ما يترك آثاره على طبيعة البناء المنجز في خصائصه التكوينية العامة، وهو كما سبق أن أظهر التحليل، بناء يقوم على أساس البناء الموضوعي للحدث، برغم البداية الذاتية للقصيدة، فالحدث وآثاره هو الذي شكل مرجعية البناء الأساس وليست العاطفة إلا تابعة لهذا البناء ■

(١) هناك اختلاف في سنة مولده وقد أورد الشيخ علي الخاقاني عبارة: (ولد... قبل وفاة والده بسنة).

(٢) وقد عارض الشيخ القصيدة الكوثرية المعروفة للسيد رضا الهندي بأخرى على وزنها ورويها أولها:

في فيك جرى ماء الكوثر
فشكوت له العطش الأكبر

المصادر:

١- شعراء الغري (النجفيات) علي الخاقاني المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
٢- الحالي والعاطل.

فضائل الإمام علي(٤)

عن ربيعة السعدي قال:

أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبدالله إنا نتحدث في علي وفي مناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنكم لتفرطون في علي وفي مناقبه، فهل أنت تحدثني في علي بحديث؟

فقال حذيفة: يا ربيعة إنك لتسألني عن رجل والذي نفسي بيده لو وضع عمل جميع أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في كفة الميزان من يوم بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا ووضع عمل علي يوماً واحداً في الكفة الأخرى لرجح عمله على جميع أعمالهم!

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد. فقال حذيفة: وكيف لا يحتمل هذا يا ملكعان، أين كان أبو بكر وعمر وحذيفة ثكلتك أمك، وجميع أصحاب محمد؟! يوم عمرو بن عبد ود ينادي للمبارزة؟ فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً، فقتله الله على يديه. والذي نفسي بيده لعمله ذلك اليوم أعظم عند الله من جميع أعمال أمة محمد إلى يوم القيامة .

مناقب الإمام أمير المؤمنين(ع)
لمحمد بن سليمان الكوفي ج:١ ص:٢٢٢

عينية الشيخ قاسم محيي الدين

قصيدة:

إلى الزهراء البتول عليها السلام

• شعر:
المهندس عبدالرزاق عبود الأسدي

ماذا أَرى أوحوشَ الغابِ تقتتلُ ... أمْ زمرة لرسولِ اللهِ قد خذلوا
أم فتنة بضلالِ الشرك واغلة ... ماذا أرى نبئوني إنني ثملُ
لو لم يكونوا ذئاباً لم تكنْ أبداً ... أم الحسينِ لداعي البينِ تحتفلُ
عن الحسينِ صغيراً ثم عن حسنٍ ... ترى أيفرحها نأيٌ ومرتحلُ
وأننا يومَ فقدِ المصطفى لنرى ... نهجَ الإلِه جهاراً عنه قد نكلوا
قد ماتَ ذاك الذي أنواره سطعتْ ... محمدٌ فلنا الأنوارُ تنتقلُ
يكفيه أن اسمهُ باللهِ مقترنٌ ... في كلّ يوم ونحنُ العصبةُ الأُولُ
حقدٌ عليه دفينٌ في ضمائِرهم ... ونالَ فاطمةَ من حقدِهم جَللُ
وتستحي منهُ سكانُ السماءِ لما ... حازَ التقى ويلَهم يا زيفَ ما نقلوا
وذاكَ الأرعنُ السكير في صَلف ... يَدكّ بيتاً لنورِ اللهِ يشتملُ

* * * * *

أحبتي منذ ذاك اليوم نازلة ... فينا المصائب والتزييف والدجلُ
وكلّ ظلمٍ بهذي الأرض نلحظه ... بذلك اليوم موصولٌ ومتصلُ
الله يا كَسر أضلاعِ البتولِ له ... في القلبِ حزنٌ به الأحشاءُ تشتعلُ
الله يا سلبَ بنتِ المصطفى فدكاً ... أسالَ دَمعي بِحاراً فهوَ منهملُ
الله يا بيتَ أحزانٍ بهِ انتحبتْ ... بنتُ الرسالةِ حتى جفّتِ المقلُ
أمُّ الأئمةِ شمسٌ أنت ساطعةٌ ... في العالمينَ وفكرٌ ماله مثلُ
يكفيكِ أنكِ يومَ الحشرِ شافعةٌ ... لمن تشائينَ لا حزنٌ ولا وَجلُ

يا واهب الأجيال

مهداة إلى سماحة الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله

• محمود محمدحسين الموصلي

من للمنابر أنها من بعد فقدك بلقع
غادرتها لا عن قلى وهي التي بك مولع
غادرتها فإذا بها مما عراها تجزع
تشكو الفراق يلفها حزن به تتلفع
تشكو فلا من صاحب تصغي إليه وتسمع
أين الذي كلماته للناس درب مهيع
عذب البيان سديده إن قال فهو المبدع
ومواعظ كالروض فيها ما يسر ويمتع
يا أيها الجبل الأشم ومن ذراها أمنع
ما للمنابر أجدبت من بعدك لا ترع
وجداً عليك فيا لها مكلومة تتفجع
يا فارس الكلم البليغ لذكره نتخشع
رعياً ليومك ذكره من كل طيب أضوع
لله درك ناطقاً يغري الضلال ويقمع
لله درك صادعاً بالحق لا يتصنع
لله درك واحداً هيهات مثلك يشفع
نفحات شعرك روضة فيها القوافي ترتع
تسعى إليك شواردا فهي لأمرك طيع
ومواهب الرحمن فيك جداول تتفرع
هي للنفوس موائد من كل لون تجمع
ويح الزمان وكم له من غدرة أو مصرع
يمضي فينشب ظفره هيهات يوماً يهجع

ننشر هذه الصورة النادرة للشيخ الوائلي بمناسبة الذكرى السنوية لوفاته وهو في أثناء مراسيم تشييع آية الله الشيخ محمد رضا المظفر

يمشي على هام الكرام فلا يكل ويقنع
ولقد مضيت فكل قلب حسرة يتقطع
ولقد مضيت فكل عين قد كوتها الأدمع
فعليك من حبس النفوس آهة وتوجع
يا واهب الأجيال أبهى ما يصاغ ويبدع
فكراً يشع مناره لغد به تتطلع
أكبرت يومك شاهداً يزري بم يتبرقع
بالغافلين يشدهم بالأمس ما لا ينفع
بالعابثين فهمهم ملء البطون فتشبع
العابدين المال والدينار فهو المطمع
الزاعمين بأنهم حوض الفضيلة مترع
هم للجهالة مرتع وللضلالة منبع
أكبرت يومك شاهداً بأن قدرك أرفع
وبأنك مهما يقال فأنت أنت الأروع

سيرة أهل البيت عليهم السلام.. ودورهم في حياة الأمة

دراسة في المنهج والسلوك

• د. حسين سامي شير علي
جامعة الشيخ الطوسي

ينابيع إن دراسة سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام على أساس النظرة التجزيئية، أي دراسة كل إمام بصورة مستقلة، هي ضرورية لإنجاز دراسة شاملة كاملة، ولكن معرفة الهدف الحقيقي من تصرف المعصوم قد لا تتسنى من خلال النظرة الجزئية في حدود عصره، فلا يتضح إلا عندما يكون في إطار سلسلة من التصرفات والسلوك الذي قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام لعصور وأدوار مختلفة.

فلابد لنا أولاً أن نستوعب إلى أوسع مدى ممكن حياة كل إمام بكل ما تزخر به من ملامح وأهداف ونشاط سياسي وفكري واجتماعي، لكي يتمكن ذلك أن ندرسه ككل ونستخلص الدور المشترك للأئمة عليهم السلام جميعاً وما يعبرون عنه من ملامح وأهداف وترابط.

الدراسة التجزيئية والدراسة الكلية ونتائجهما

إن دراسة سيرة الأئمة بشكل منفرد يؤدي غالباً إلى التناقض في السلوك من الناحية الشكلية، فالإمام علي عليه السلام لم يشأ أن يقحم نفسه بعد السقيفة بمعركة قد تؤدي بالإسلام وهو لم يزل فتياً، والإمام الحسن عليه السلام آثر الصلح على معاوية، بينما حارب الإمام الحسين عليه السلام حتى استشهد، في حين كانت حياة

الإمام السجاد عليه السلام قائمة على التفرغ للدعاء والعبادة في الوقت الذي تميزت فيه فترة الإمام الباقر عليه السلام بالتبليغ في مجال الحديث والفقه، وكان سعي الإمام الصادق عليه السلام مكرساً لتأسيس مدرسة فكرية رصينة في غمرة الصراع الأموي العباسي على السلطة، بينما مارس الإمام الرضا عليه السلام دوره من خلال وجوده في داخل التشكيلة الحكومية... وهكذا.

فالدراسة هنا تؤدي بمفردها نتائج لا تعكس من خلال التنوع السلوكي تحقيق الهدف الواحد.

فالصلح والثورة مفهومان متغايران، واعتزال العمل السياسي، ومن ثم الدخول إليه من أبوابه أمران مختلفان، ولا يفسر هذا التغاير أو التباين أو الاختلاف إلا من خلال مستوى آخر يمثل في محاولة اكتشاف الخصائص العامة والدور المشترك للأئمة عليهم السلام كمجموع، وحين إذن سوف تزول أو ترتفع التناقضات والاختلافات، لأنها تبدو من خلال الدراسة الكلية كأنها تعابير مختلفة عن حقيقة واحدة، وإنما اختلف التعبير عنها وفقاً لاختلاف الظروف والملابسات التي مرت بالرسالة في عهد إمام آخر، ومن خلال هذه الدراسة الكلية، يمكننا أن نخرج بنتائج أوضح من مجموع النتائج التي تتمخض عنها الدراسات التجزيئية لأننا سوف نكشف الترابط بين أعمالهم التي وجدناها في دراساتنا التجزيئية متباينة ومتناقضة شكلاً (إن وجود دور مشترك مارسه الأئمة عليهم السلام جميعاً ليس مجرد افتراض نبحث عن مبرراته التاريخية وإنما مما تفرضه العقيدة، وفكرة الإمامة بالذات، لأن الإمامة واحدة في الجميع بمسؤولياتها وشروطها فيجب أن تنعكس انعكاساً واحداً في سلوك الأئمة وأدوارهم مهما اختلفت ألوانها الظاهرية بسبب الظروف والملابسات ويجب أن يشكل الأئمة مجموعهم وحدة مترابطة الأجزاء واصل كل جزء في تلك الوحدة دور الجزء الآخر ويكمله) الشهيد الصدر، اخترنا لك: ص٦٠.

إن عملية الإقصاء والتغيب عن المواقع في الدولة الإسلامية، التي مورست تجاه أئمة أهل البيت عليهم السلام لم تكن تشكل مانعاً حقيقياً لهم أمام ممارسة دورهم الذي تم

التخطيط له من قبل صاحب الرسالة.

وهنا لابد من الإشارة إلى التصور الشائع لدى كثير من الناس اعتقاداً أن يقيموا الأئمة عليهم السلام بوصفهم أناساً مظلومين قد أقصوا عن مركز القيادة، وأقرت الأمة هذا الإقصاء وذاقوا بسبب ذلك ألوان الاضطهاد والحرمان، فهؤلاء الناس يعتقدون إن دور الأئمة عليهم السلام في حياتهم كان دوراً سلبياً على الأغلب نتيجة لتغييبهم عن مجال الحكم.

والفاحص الخبير لابد أن يدرك مدى خطأ ذلك!! فالقضية أكبر من منصب أو قيادة دنيوية، ولهذا فإن من ضروراتنا الإسلامية الراهنة إثبات خطأ ذلك التفكير ودراسة حياة الأئمة على أساس نظرة كلية لتتبين إيجابيتهم الرسالية على طول الخط، ودورهم المشترك الفعال في حفظ الرسالة ورعايتها.

كان أئمتنا عليهم السلام يحافظون على المقياس العقائدي والرسالي في المجتمع الإسلامي ويحرصون على أن لا يهبط إلى درجة تشكل خطراً ماحقاً وهذا يعني ممارستهم جميعاً دوراً إيجابياً فعالاً في حماية العقيدة وتبني مصالح الرسالة والأمة.

ومن أمثلة تلك الأدوار الإيجابية موقف الإمام علي عليه السلام حين صعد عمر بن الخطاب وتساءل عن رد الفعل لو صرف الناس عما يعرفون إلى ما ينكرون، فرد عليه الإمام عليه السلام بكل وضوح وصراحة: (إذن نضرب الذي فيه عيناك!!) (مناقب الخوارزمي: ٩٨ - ٩٩).

وعندما وجد الإمام الحسين عليه السلام إن الزعامة المنحرفة أصبحت تهدد كيان الإسلام في عصره لم يتردد في الاصطدام المسلح بها والشهادة في سبيل تعريتها وكشف زيفها.

وحينما وجد الإمام السجاد عليه السلام أن هناك ما يهدد كرامة الدولة الإسلامية في عصر عبد الملك وعجز هذا الأخير عن حماية اعتبارها، فلم يستطيع الإجابة على رسالة ملك الروم التي جاء فيها: (لأغزونك بجنود مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف)، فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث إلى زين العابدين عليه السلام ويكتب إليه ما يقول؟ ... فقال الإمام عليه السلام: (إن لله لوحاً محفوظاً يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة ليس فيها يوم إلا يحيي فيه ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وإني لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة، فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم، فلما قرأه قال: ما خرج هذا إلا من كلام النبوة!! (ابن شهراشوب، المناقب) حيث ملأ الإمام السجاد هذا الفراغ وأجاب بالشكل الذي يحفظ للدولة وللأمة الإسلامية هيبتها.

وفي عصر الإمام الباقر عليه السلام، واجه عبد الملك تحدياً آخر من ملك الروم بشأن النقد وعجز عن الرد عليه، فكان الإمام عليه السلام في مستوى الرد على هذا التحدي فخطط للاستقلال النقدي الإسلامي[1].

وقد تمثل الدور الإيجابي بالأئمة في الحفاظ على سلامة العقيدة الإسلامية من خلال مقاومة التيارات الفكرية التي حاولت الدس للإسلام، وما مناظرات الإمام الصادق عليه السلام مع الزنادقة والملاحدة والمغالين، ومناظرات الإمام

الرضا عليه السلام في مجالس المأمون مع أصحاب الديانات الأخرى والمذاهب الفاسدة إلا دليل على حرصهم على تموين الأمة بشخصيتها الرسالية والفكرية من ناحية ومقاومة التيارات التي تشكل خطراً على الرسالة وضربها في بدايات تكوينها من ناحية أخرى، ويمكن أن نفسر في ضوء اهتمام الإمام العسكري عليه السلام وهو في المدينة بمشروع كتاب يضعه الفيلسوف الكندي وهو في العراق حول متناقضات القرآن، إذ اتصل به عن طريق بعض أصحاب الكندي، وأحبط محاولته وأقنع مدرسة الكندي بأنها على خطأ[٢].

الأئمة زعماء جماهيريون

لم يحصل أهل البيت على زعامتهم للناس بطريق الصدفة أو طريق مجرد الانتساب إلى الرسول، بل على أساس العطاء والدور الإيجابي الذي يمارسه الإمام عليه السلام بالرغم من إقصائه عن مركز الحكم، فالأمة لا تمنح ثقتها لأي كان مجاناً، ولا يملك الفرد قيادتها وميل قلوبها (فعلياً) من دون عمل دؤوب وحرص مغان وعطاء سخي تستشعره الجماهير في مختلف مجالات الحياة وتستفيد منه في حل مشكلاتها والحفاظ على كيانها ورسالتها.

روي أن الرشيد قال للإمام الكاظم عليه السلام حينما رآه جالساً عند الكعبة: أنت الذي يبايعك الناس سراً؟ فقال عليه السلام: (أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم)[٣].

وحين أراد عبد الله بن الحسن أن يأخذ البيعة لابنه محمد النفس الزكية قال مخاطباً الإمام الصادق عليه السلام: (واعلم فديتك إنك إذا أجبتني لم يتخلف عني أحد من أصحابك ولم يخلف عليّ اثنان من قريش ولا من غيرهم)[٤].

وعندما أراد هشام بن عبد الملك أن يستلم الحجر الأسود من بين الحجيج عجز عن ذلك رغم مكانته كخليفة، بينما استطاعت زعامة أهل البيت عليهم السلام أن تظهر ميل القلوب الحقيقي في لحظة حضور القائد الروحي فتشق الطريق بين يديه نحو الحجر.

وحينئذ لم يتمالك الفرزدق مشاعره، فأنشد في حضرة الطاغية قصيدته الميمية المشهورة غير هياب وجل... هذا الذي تعرف البطحاء وطأته...

وعند تعرض قصر المأمون لهجوم شيعة خراسان... التجأ هذا وهو الخليفة، إلى الإمام الرضا عليه السلام لحمايته من غضب الجماهير!! فقال له الإمام: (اتق الله في أمة محمد وما ولاك من هذا الأمر وخصك به، فإنك قد ضيعت أمور المسلمين وفوضت ذلك إلى غيرك يحكم فيها بغير حكم الله عز وجل)[٥].

إن كل هذه النماذج والمظاهر للزعامة الشيعية التي عاشت أئمة أهل البيت عليهم السلام على طول الخط تبرهن على إيجابيتهم وشعور الأمة بدورهم الفعال في حماية الرسالة.

كما تدل على إن تلك الزعامة لم تكن روحية فحسب، كما يظن كثيرين وإنما كان زعامة فعلية، تتصرف وتتدخل وتناقش وتحاور في الوقت المناسب.

الأئمة ومسألة استلام الحكم

لم تكن مسألة إقامة الحكم وترسيخه متوقفة في نظر الأئمة عليهم السلام على مجرد تهيئة حملة عسكرية، بل يتوقف قبل ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وعصمته إيماناً مطلقاً. ويعي أهدافه الكبيرة ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحرس ما يحققه للأمة من مصالح على نحو يضمن تحقيق تلك المصالح.

قصد سهل بن حسن الخراساني الإمام الصادق عليه السلام يعرض عليه تبني حركة الثوار الخراسانيين فأجل جوابه، ثم أمره بدخول النار فرفضن وجاء أبو بصير فأمره الإمام بذلك فسارع إلى الامتثال، فالتفت الإمام عليه السلام إلى ثوار خراسان وقال: لو كان بينكم أربعون مثل هذا لخرجت لهم[٦].

وعلى هذا الأساس تسلم أمير المؤمنين عليه السلام زمام الحكم في وقت توفر فيه ذلك الجيش العقائدي الواعي متمثلاً في الصفوة المختارة من المهاجرين والأنصار والتابعين من أصحابه (رضوان الله عليهم).

وفضلاً عن ذلك فإن ممارسة القيادة ليس أمراً مشروطاً بالجلوس على عرش أو في منصب أو تحت عنوان، فالقيادة الحقيقية هي التي تعمل بوعيها وتقديرها لحاجة الأمة ومتطلبات العصر والظروف المحيطة به، ويكفينا أن نذكر هنا أن أئمة أهل البيت عليهم السلام مارسوا مبدأ التقية في ظل زعامتهم للأمة ولك أن تتصور صعوبة موقف الزعيم عندما لا يكون بعيداً عن مصدر القرار فحسب، بل ويُظهر أمام السلطة الحاكمة خلاف ما يعتقد ويبطن وفوق ذلك، أصبح استخدام التقية رغم إقرارها في الكتاب والسنة مصدراً لاتهام الأمة وشيعتهم رغم إن المذاهب الأخرى قد استخدمت نفس المفهوم بصيغة أخرى عندما أجازت السكوت على الحاكم بحجة قطع دابر الفتنة!!

وأما التسلسل التاريخي للأحداث يمكن استنباط اتجاهين رئيسين كانا يمثلان قوام ما حرص أهل البيت عليهم السلام على تحقيقه في التجربة الإسلامية بعد انحرافها:

الاتجاه الأول: هو محاولة القضاء على الانحراف الموجود في تجربة المجتمع الإسلامي وإعادتها إلى وضعها الطبيعي، وذلك من خلال إعداد طويل المدى وتهيئة للظروف الموضوعية التي تتناسب وتتفق مع ذلك الهدف.

يوضح هذا الاتجاه قول الإمام علي عليه السلام: (أما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها)[٧].

والاتجاه الثاني: هو تعميق الرسالة فكرياً وروحياً وسياسياً للأمة نفسها بغية خلق التحصين الكافي في صفوفها لكي يكون درعاً يمنع انهيارها بعد تردي التجربة وسقوطها، أي إيجاد قواعد واعية في الأمة وإيجاد روح رسالية فيها وإيجاد عواطف تجاه هذه الرسالة في الأمة. فالإمام الحسن عليه السلام في قوله: (ألا وإن

ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة) وقال أيضاً: (معاوية نازعني حقاً هو لي فتركته لصلاح الأمة وحقن دمائها ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها وأردت صلاحكم وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر)[٨].

كان حريصاً على مصلحة الأمة، وقد كانت شروط الصلح مصداقاً من مصاديق المصلحة الإسلامية العليا، حيث جاء فيها (إن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم)[٩].

والصلح مقدمة للحفاظ على الصفوة الخيرة من المصلحين والمغيرين وعلى الحفاظ على حياة الداعين إلى الدين والرسالة.

ومن تتابع الأحداث يجد أن أوضاع المسلمين الداخلية قد هدأت وأن المسلمين قد كانوا أحراراً أكثر من سنتين وقد كان معاوية يستجيب لمطالب الإمام الحسن عليه السلام في الإعفاء عن هذا الشخص أو ذاك وهو الظاهر من الوقائع التاريخية[١٠].

ولم يقدم نظام معاوية على قتل أحد إلا بعد رحيل الإمام الحسن عليه السلام إلى الملأ الأعلى، أما في حياته فلم يتجرأ على قتل أو سجن أحد من المعارضين وخصوصاً من الشيعة أنصار الإمام عليه السلام.

ورفض الإمام الحسن عليه السلام الاستجابة لطلب معاوية في قتال الخوارج موضحاً سياسته في التعامل مع الكيانات الإسلامية المخالفة له ومبيناً مصلحة الأمة من وراء صلحه...

ومما قاله عليه السلام: (لو آثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك فإني تركتك لصلاح الأمة وحقن دمائها)[١١].

والإمام الحسين عليه السلام حينما قاد نهضته المباركة أراد تغيير المفاهيم والقيم الجاهلية التي سادت في عصره وتغيير الحاكم الذي تولى الحكم عن طريق الإرهاب وأعلن عن انحرافه عن الإسلام عقيدةً وسلوكاً وقد أعلن عن كفره صراحة حينما تمثل ببعض الأبيات ونفى فيها الوحي والتنزيل كما ورد في جملة من المصادر[١٢].

وقد صرح الإمام بأنه نهض من أجل إصلاح الأوضاع والسير على نهج جده وأبيه وأن نهضته هي عملية فتح بقوله عليه السلام: (أما بعد فإن من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح)[١٣].

وكان لدم الإمام عليه السلام الدور الأكبر في إيقاف انحراف الحاكم أو تحجيمه حيث لم يستطع الاستمرار في تآمره على المنهج الإسلامي، وقد يصح القول أن الحاكم لم يمنح أي فرصة لاتخاذ موقف آخر، فقد خيره بين البيعة وبين القتل.

ومع هذا الموقف، إلا أن المتتبع لحركة التاريخ يجد أن أعداداً كبيرة من الموالين إلى الإمام الحسين عليه السلام كانوا في مقدمة الجيش دفاعاً عن الدولة وعن ثغور المسلمين.

ولم تكن واقعة كربلاء مانعاً للإمام علي بن الحسين عليهما السلام من الانطلاق في آفاق المصلحة الإسلامية العليا، فقد عرف عنه أنه كان يدعو للجيش

المرابط في الثغور بالنصر والظفر لأن انتصاره سيكون انتصاراً للإسلام والأمة لا لشخص الحاكم وسيكون انتصاراً للمفاهيم والقيم الإسلامية.

وقد اشتهر عنه عليه السلام أنه أنقذ عبد الملك بن مروان من تهديدات ملك الروم التي مرت الإشارة إليها. ومن مصاديق الانطلاق في آفاق مصلحة الأمة، إن الإمام عليه السلام لم يفكر باللجوء إلى دولة كافرة هروباً أو خلاصاً من ظلم أو اضطهاد الأمويين.

وفي علاقاته داخل المدينة كان لا ينقطع عن الأعمال والمشاريع العامة كصلاة الجماعة وصلاة الجمعة وصلاة العيدين[١٤] فهو يتحرك في إطار المشتركات بينه وبين الآخرين ويسعى لتوحيد الصفوف ولو ظاهراً من خلال المشاريع أو العبادات التي تؤدى جماعة.

وكان الإمام الباقر عليه السلام يوجه أتباعه وأنصاره إلى إقامة العلاقات مع المخالفين من أتباع السلطان أو من أتباع المذاهب الأخرى ومسايرتهم في نقاط الاختلاف لكي تكون المظاهر واحدة لا توحي بالتمزق والتشتت.

وكان عليه السلام يدخل في حوار هادئ مع الفقهاء من مختلف المذاهب والاتجاهات للوصول إلى نقاط الاشتراك والتوجيه منها إلى العمل المشترك أو من أجل المصلحة الإسلامية العليا، وكانت له علاقات وثيقة معهم كعبد الله بن الأزرق وقتادة بن دعامة البصري وعبد الله بن معمر الليثي[١٥].

وكان عليه السلام يسدد الحاكم نحو الصلاح ويبدي نصائحه وتوجيهاته القيمة لكي تكون أفكاره وممارساته منسجمة مع الخط العام والأسس العامة للرسالة الإسلامية، وكان عمر بن عبد العزيز محط أنظار الإمام عليه السلام لاستجابته للنصائح والإرشادات المنطلقة من الإمام عليه السلام ومن نصائحه قوله عليه السلام: (واتق الله يا عمر، وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد المظالم... ثلاث من كن فيه استكمل الأيمان) ، فجثا عمر على ركبتيه ثم قال: (إيه يا أهل بيت النبوة)، فقال عليه السلام: (يا عمر من إذا رضي لم يدخله رضاه الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له)[١٦].

وكان الإمام الصادق عليه السلام يحث أنصاره على المشاركة في صلاة الجماعة التي تقام من قبل الولاة حفاظاً على الألفة والأخوة وتحقيقاً للوحدة في أحد مجالاتها، وهي ممارسة العبادة جماعة فيقول عليه السلام: (من صلى معهم في الصف الأول كان كمن صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله في الصف الأول) وقال عليه السلام أيضاً: (ما من عبد يصلي في الوقت ويفرغ ثم يأتيهم ويصلي معهم وهو على وضوء إلا كتب الله له خمساً وعشرين درجة)[١٧].

وكانت علاقاته مع أئمة المذاهب قائمة على المحبة والمودة والاحترام المتبادل، وفي ذلك قال مالك بن أنس: (كنت أدخل إلى الصادق جعفر بن محمد فيقدم لي مخدة، ويعرف لي قدراً ويقول: يا مالك إني أحبك، فكنت أسر بذلك وأحمد الله عليه)[١٨].

وعلاقاته مع أبي حنيفة وسفيان الثوري علاقات متينة قائمة على أساس

التعاون والتآزر من أجل تحقيق الأهداف المشتركة للأمة، ومن أجل انها مظاهر الاضطراب الفكري والبلبلة العقائدية وقف الإمام موقفاً حازماً تجاه الغلاة فحاربهم ولعنهم[١٩].

وكان ينهى أنصاره عن توسيع دائرة الخروج المسلح على النظام ويجعله محصوراً بفئة معينة لإدامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولإيقاف انحراف الحكام بهذه الحدود وضمن مصلحة الإسلام والأئمة ولا يدعو إلى تكليف الجهاد المسلح لأنه يخرج عن حدود المصلحة العليا قال عليه السلام: (كفوا ألسنتكم والزموا بيوتكم، فإنه لا يصيبكم أمر تخصون به أبداً ولا تزال الزيدية لكم وقاء أبداً)[٢٠].

وكان ينصح الحكام بما هو صالح لخدمة المصلحة العامة وكان لا ينظر إلى شخص الحاكم فليس المهم أن يحكم فلان أو فلان أو الإمام، ولكن المهم تطبيق المفاهيم والقيم الإسلامية في الواقع، فكان يقول عليه السلام للمنصور (نحن لك أنصار وأعوان ولملكك دعائم وأركان ما أمرت بالمعروف والإحسان في الرعية أحكام القرآن وأرغمت بطاعتك أنف الشيطان)[٢١].

وكان الإمام الرضا عليه السلام كثير النصح للحكم العباسي المأمون فيه صلاح الإسلام والأمة، فقد صدرت منه توجيهات قيمة في كيفية إدارة البلدان المفتوحة[٢٢] بما ينسجم مع مصلحة الأمة والحيلولة دون حدوث تصدع الجبهة الداخلية، ومن أجل المحافظة على وحدة الأمة الإسلامية ومنعها من التفكك والتصدع بفتن داخلية نابعة من حب التسلط وحب الزعامة، كان الإمام عليه السلام ينصح المأمون ويرشده إلى اتخاذ الموقف المناسب تجاه الأحداث والأشخاص، فقد أخبره بأن هناك مؤامرة لقتله تدبر له في الخفاء بعد أن اطلع الإمام على تفاصيلها.

وهكذا كان لأهل البيت عليهم السلام في حياة الأمة الإسلامية دور فاعل وخلاق ومتوازن تحت جميع الظروف وفي ظل التداعيات بما فيها دورهم الواضح في الحفاظ عن العقيدة الإسلامية من الاندثار والاضمحلال ■

---

(١) ظ ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ١٢٢.
(٢) ظ: مناقب ابن شهراشوب: ٣/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦.
(٣) ينابيع المودة، القندوزي: ٣/ ١٢٠.
(٤) ظ: هاشم البحراني، مدينة المعاجز: ٥/ ٢٧٧.
(٥) من مناقب ابن شهراشوب: ٣/ ٤٥٧.
(٦) مناقب ابن شهراشوب: ٣/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣.
(٧) نهج البلاغة، لابن الحديد: ١/ ٢٠٢.
(٨) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٤٣.
(٩) ابن الحكم الكوفي، الفتوح: ٤/ ٢٩٣.
(١٠) ظ: شرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٥.
(١١) ابن الأثير، الكامل: ٣/ ٤٠٩.
(١٢) ابن الجوزي، المنتظم: ٥/ ٣٤٣.
(١٣) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٣٠.
(١٤) الذهبي، سيرة أعلام النبلاء: ٤/ ٣٩٧.
(١٥) العاملي، أعيان الشيعة: ١/ ٦٥٣.
(١٦) الصدوق، الخصال: ١/ ١٠٤.
(١٧) الكافي: ٢/ ٢١٩.
(١٨) بحار الأنوار: ٤٧/ ١٦.
(١٩) ابن شهراشوب، المناقب: ٤/ ١٣٩.
(٢٠) الكافي: ٢/ ٢٢٥.
(٢١) بحار الأنوار: ١٠/ ٢١٨.
(٢٣) عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٦.

من سيرة الإمام الرضا(ع)
الحلقة ٢

العودة.. إلى بغداد

• علي سعد النجفي

ينابيع ذكرنا فيما مضى من العدد السابق عن أسباب وكيفية عودة الخليفة العباسي المأمون من مدينة مرو والتي اتخذها عاصمة لخلافته بعد قتل أخيه الأمين ورجوعه إلى مدينة بغداد عاصمة خلفاء بني العباس وأشرنا إلى جملة من الأحداث التي سبقت وتزامنت مع هذا القرار الخطير وحسب ما رأيناه أقر للواقع اعتماداً منا على المصادر الموثوقة والروايات الصحيحة وسنشير في هذه الحلقة إلى ما اعتمده غيرنا من المؤرخين في نقل أسباب وكيفية هذه الحادثة الخطيرة والتي أريد منها إخفاء وستر كرامة من كرامات الإمام الرضا(عليه السلام) فنقول قد تفرد الطبري صاحب كتاب تاريخ الأمم والملوك بذكر هذه القضية وتتابع بقية المؤرخين على نقلها منه من دون فحص أو تدقيق كابن الأثير وغيره

والـذي أود الإشـارة إليه في هذا القسـم هو مناقشـة هـذا الرأي حسـب الدلائل التاريخية وتبيان نقل هذه الحادثة.

رأي الطبري:

ذكـر الطبـري فـي أحـداث سـنة (٢٠٢هـ) سـبب وكيفية اتخـاذ المأمون قـرار العودة إلى بغـداد حيث قال: (وفي هذه السنة شخص المأمون من مرو يريد العراق) ثم أردف يقول: ذكر الخبر عن خصوصه منها ـ (ذكر أن علي الرضا بن موسـى بن جعفر بن محمد العلوي أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخوه، وبما كان الفضل بن سهل يسـتر عنه الأخبار وأن أهـل بيته والناس قـد نقموا عليه أشـياء وأنهـم يقولون إنه مسحور مجنون وأنهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمه إبراهيم بن المهـدي بالخلافة فقال المأمون إنهـم يبايعوا لـه بالخلافة وإنما صيروه أميراً يقوم بأمرهم على ما أخبره به الفضـل فأعلمه أن الفضـل قد كذبه وغشـه وأن الحـرب قائمة بيـن إبراهيم والحسـن بـن سـهل وأن النـاس ينقمون عليـك مكانه ومـكان أخيـه ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك.

فقـال: ومـن يعلـم هـذا مـن أهـل عسـكري، فقـال لـه: يحيـى بـن معاذ وعبـد العزيز بن عمـران وعدة من وجوه العسـكر، فقـال له:أدخلهم علـيّ حتى أسـألهم عما ذكرت فأدخلهم عليه وهم يحيـى بن معـاذ وعبد العزيـز بن عمران وموسـى وعلي بـن أبي سـعيد وهو ابن أخـت الفضـل وخلف المصري فسـألهم عما أخبره فأبوا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل ألا يعرض لهم فضمن ذلك لهم وكتب لكل رجل منهم كتاباً بخطه ودفعه إليهم فأخبروه بما فيه النـاس من الفتن وبينـوا ذلك له وأخبروه بغضـب أهل بيته ومواليه وقواده عليه في أشـياء كثيرة وبما مـوه عليه الفضل من أمر هرثمـة وأن هرثمة إنما جاء لينصحه وليبين له ما يعمل عليه وأنه إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافـة منه ومن أهل بيته وأن الفضـل دس إلى هرثمة من قتله وأنه أراد نصحه وأن طهار بن الحسين قد أبلى في طاعته ما أبلى...

وسـألوا المأمون الخـروج إلى بغداد في بني هاشـم والموالي والقواد والجند رأوا عزتك وسـكنوا إلى ذلـك ونجعوا بالطاعة لك فلما تحقق ذلك عند المأمون أمـر بالرحيـل إلى بغداد فلمـا أمر بذلك علـم الفضل بـن سـهل ببعـض ذلك من أمرهـم فتعنتهـم حتـى حـزب بعضهـم بالسـياط وحبس بعضاً ونتف لحى بعض فعاوده علي بن موسى في أمرهم وأعلمه ما كان في ضمانه لهم فأعلمه أنه يداري ما هو فيه ثم ارتحل من مرو)[1].

هنـاك عـدة ملاحظـات حـول هـذا الخبر:

أولاً: عنـد مراجعـة كتـاب تاريـخ الطبـري نلاحـظ أنه قسـم الأخبـار إلى قسـمين الأول منها ما كان لينقله بسنده فيقـول حدثنـي فـلان وذكر لـي فلان والى غيـره... والقسـم الثاني مـا ذكره بدون سند كقوله ذكر وذكروا وهذا الخبر الذي نقله هو من القسـم الثاني أي بدون الإشـارة إلـى أي مصدر حيث قال: (وذكر أن...) وهـذا الأمر يدل على نقله

للخبر بدون مصدر وقد يكون هذا هو موجوداً فعلاً عند ألسنة الناس وكأنه نقل إشاعة تتنقلها العوام وهذا بحد ذاته يضعف الخبر ويجعلنا لا نعتمد عليه.

ثانياً: يذكر لنا الخبر بأن الإمام الرضا عليه السلام أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتنة والقتال منذ قتل الأمين، وبما كان الفضل بن سهل يسر عنه من أخبار هذا الأمر بحد ذاته يخالف ما كان عليه المأمون في سيرته مع الرعية فقد عرف عن المأمون بمتابعة أخبار مملكته بدقة شديدة وكان يمتلك جهاز مخابرات عالي الدقة والتنظيم ليس له نظير لغيره من الخلفاء وإليك بعض الشواهد التاريخية على ذلك:

١- (وامتازت سياسته مع الرعية - أي المأمون - بميزة خاصة فكان المأمون من أشد الناس بحثاً عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عناية وقد سار بها الأمر على سيرة أبيه هارون الرشيد)[٢].

٢- (وكان للمأمون ألف عجوز وسبعمائة يتفقد بهن أحوال الناس من الأشقياء ومن يحبه ويبغضه ومن يفسد حرم المسلمين وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتيه كلها)[٣].

٣- (وكان - المأمون - يدور ليلاً ونهاراً مستتراً)[٤].

٤- قال بعض العباسيين (كلمت المأمون في امرأة خطبتها وسألته النظر إليها فقال: يا أبا فلان من قصتها وحيلتها وفعلها وشأنها كيت وكيت فوالله مازال يصفها ويصف أحوالها حتى أبهتني)[٥].

٥- وفي رسالة بعثها المأمون وهو بالشام إلى والي بغداد إسحاق بن إبراهيم المصعبي في الفقهاء وأصحاب الحديث حصر فيها عيب واحد واحد وعن حالته وأموره التي خفيت - أو أكثرها - عن القريب والبعيد)[٦].

٦- وعندما أرسل رجاء بن أبي الضحاك لإحضار الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان أمره بأن يراقب الإمام الرضا عليه السلام بدقة متناهية وينقل إليه أخباره وعندما حضر رجاء بن أبي الضحاك عند المأمون قدم إليه تقريراً عالي في الدقة عن حركات الإمام عليه السلام وحتى السور القرآنية التي كان يقرأها في الصلاة)[٧].

والكثير من الشواهد الأخرى لا مجال لحصرها في هذا المقال المتواضع وإنما نكتفي بما ذكرناه من شواهد فهل يعقل أن يكون شخصاً يتابع الأخبار والأحداث بدقة متناهية مثل المأمون والذي يدور ليلاً ونهاراً مستتراً لسماع الأخبار ومتابعة الأحداث يخفى عليه أمر عظيم كالذي حدث في بغداد ويعلمه بعض جنده والعاملين معه وهو لا يدري به مع ما يمتلك من جهاز مخابرات بهذا الشكل الذي كان عنده.

ثالثاً: جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: (حدث العاقل بما لا يليق فإن صدقك فلا عقل له) والخبر الذي نقله الطبري يذكر أن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال للمأمون (إن الناس ينقمون مكانه - أي الحسن بن سهل - ومكان أخيه الفضل ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك).

فالعجب كل العجب أن ينسب هذا

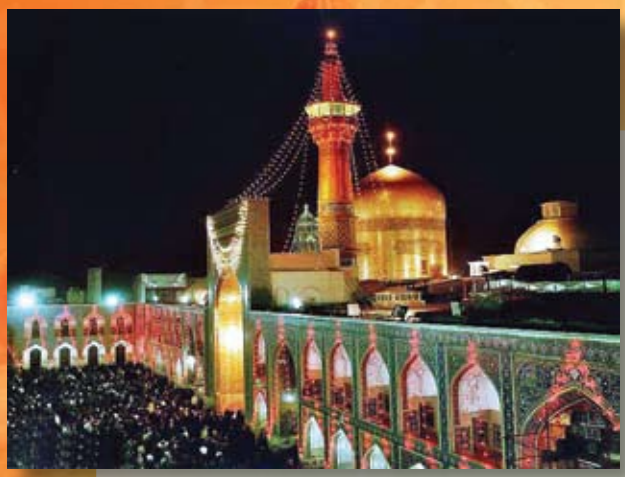

الأمر الذي لا يصدر من عاقل إلى الإمام الرضا عليه السلام بحيث يذهب بنفسه إلى المأمون ويخبره بهذا الأمر الذي لا يقبله العقل هذا الأمر كان محل استغراب وتعجب حتى من أشد الناس حباً للمأمون والذي دافع عنه بضراوة ألا وهو الدكتور أحمد فريد رفاعي صاحب كتاب (عصر المأمون) حينما يصل إلى ما ذكر هذه الحادثة يقول: (ومن الغريب أن أول من نبه الخليفة إلى هذا الخطر المحدق به، وبعرش آبائه وأجداده هو علي بن موسى الرضا نفسه).

فيا ترى ما هي المنفعة التي جناها الإمام الرضا عليه السلام من إخبار المأمون بهذا؟ ألا ترى يا عزيزي القارئ أن هذه القضية مفتعلة وغير مقبولة عقلاً.

ومن ثم نقول من المستفيد أصلاً من هذا الأمر ألا ترى أنها تصب في مصلحة شخص واحد وهو المأمون نفسه فقد أظهر لنا الخبر بأنه الخليفة المظلوم الذي كانت تخفى وتستتر عليه الأخبار وأنه بادر إلى أمر حازم من أجل خلاص المسلمين بعد معرفته بالحقيقة، فغير بعيد أن تكون هذه الحادثة ملفقة ومفتعلة وأنها شائعة أطلقها المأمون نفسه من أجل عدة أمور منها:

١- أن يعطي تبريراً واضحاً وشرعياً لقتل الفضل بن سهل الذي تمادى في طغيانه وأخذ يكتم الأخبار عن خليفته ويتصرف من دون إذنه.

٢- أراد أن يخرج نفسه من تهمة قتل الفضل بن سهل وذلك بجعل أعداء له من العاملين في مملكته وأنهم تعرضوا للضرب والسجن ونتف اللحى بسبب الفضل.

٣- أن يخفي ما جرى عليه من ثورة الغوغائيين في مرو وأن يستر كرامة من كرامات الإمام الرضا عليه السلام لكي لا تتناقلها الألسن ويتعرض لها المؤرخين.

٤- تضليل الناس عن الحقائق فالخبر لا يظهر لنا سوى مظلومية المأمون من أجل أن يتعاطف الناس معه.

بعد الإشارة إلى جميع هذه النقاط والملاحظات حول هذا الخبر الذي نقله الطبري نقول بأنه غير بعيد أن يكون شائعة من الشائعات التي أطلقها المأمون وأن هذا الخبر لا صحة له وأنه أراد أن يكتم حقيقة قد خفيت عن كثيرين ■

---

(١) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٢٠٢هـ.
(٢) التاج في أخلاق الملوك، ص١٦٨.
(٣) محاضرات الأوائل، (راجع حاشية التاج ص١٦٨).
(٤) المصدر السابق.
(٥) المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي ج١.
(٦) التاج في أخلاق الملوك.
(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام.

الشيخ محمد جواد مغنية
كوكبٌ في سماء جبل عامل

• حيدر المالكي

ينابيع مما لاشك فيه أن بلاد جبل عامل قد أغنت الحركة العلمية الإسلامية برجال زينوا الدنيا بنتاجهم وأتحفوا المكتبة الإسلامية بعطائهم الثر، فازدانت صفحات التاريخ بذكراهم العاطرة وخلدت أسمائهم في سفر الخلود الأبدي، وكان سعيهم مشكوراً.

عانى هؤلاء الأعلام من شظف العيش وقلة ذات اليد ومع ذلك فلم يثن الفقر عزيمتهم ولم يفل الجوع صارم الإصرار عندهم، واصلوا الدرب رغم وعورة الطريق ومشقة الرحلة، وكثرة الأشواك فلم يعبئوا بالمشاكل ولم يحتفلوا بالنوازل.

من هؤلاء الأبرار، برز كوكب دري لازال نوره متألقاً وشعاعه منيراً، كوكب شهدت ولادته أرض جبل عامل الطاهرة، واحتضنت أرض

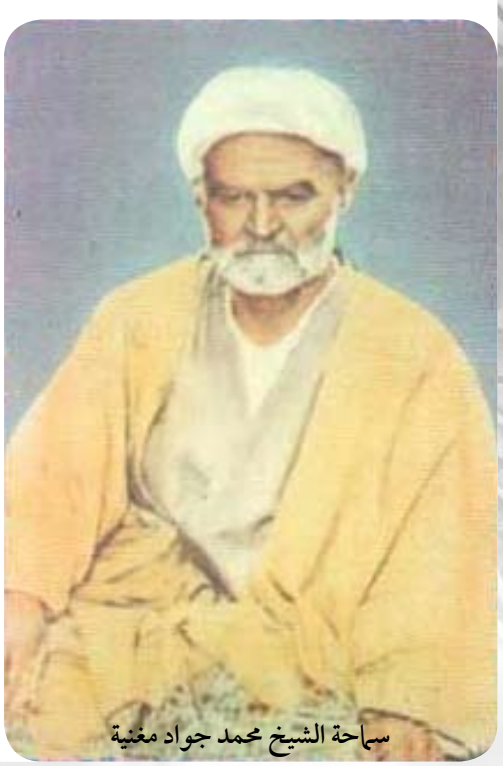

سماحة الشيخ محمد جواد مغنية

النجـف الأشـرف جثمانه، إنه سـماحة الشـيخ محمد جواد مغنيـة، الهبة التي جادت بهـا الدنيا فـي الزمن الصعب، فأغنت بـه هذه الأمة وعدته مفخرة من مفاخرها وفارساً في حلباتها.

ينتمي الشيخ محمد جواد مغنية إلى عائلـة علميـة معروفة في جبـل عامل، يعود تاريخها العلمي إلى قرون عديدة، والأصـل في لقـب العائلـة (مُغْنِيَّة) غير معـروف حتـى لدى شـيخنا (نَـور الله رمسـه)، فمغنيـة بضم الميـم، وتجوز أيضـاً بفتحها، وسـكون الغين، وفتح الياء المشددة، هي مدينة في الجزائر، فهل هاجر جد العائلة الأكبر في القرن السادس، من الجزائر إلى جبل عامل؟! كمـا يحتمـل بعـض كتاب السـيرة والتراجـم، أم أن اللقب يعود لأسـباب محلية صرفة، إذ ثم نهر بالاسـم نفسه في السفح الشرقي لجبل الشيخ[1].

كان جده الشـيخ محمد مغنية من الوجـوه العلمية المعروفة، توفي سـنة (١٢٥٣هـ)، في قرية (طيردبا) التي ولد فيها محمد جواد، أما والده فهو الشيخ محمود مغنية المولود سـنة (١٢٨٩هـ)، والمتوفـى سـنة (١٣٣٤هـ)، حيـث لم يتجاوز عمره الرابعة والأربعين عاماً.

عـرف الشـيخ محمـود بأعلميتـه وتضلعه بالعلوم الإسلامية، فقد ذكره السـيد حسـن الصـدر قائلاً: (الشـيخ محمد مغنية، مـن أهل الغور والتحقيق في المطالب العلمية والحقائق الواقعية، قلّ فـي معاصريـه العـرب، وصل إلى مقامه في نيل المطالب)[2].

ومع هذه المرتبة، فقد كان الشيخ محمـود شـاعراً، وبالرغـم مـن عدم وصول شـعره إلينـا فقد ذكر صاحب الأعيان بعض المقتطفات له منها[3]:

الله والمصطفى خير الخليقة لي
وصنوه المرتضى مولى الأنام علي
من استغـــاث بهم في كل نائبة
يمسك بحبل ولاء غير منفصل
يا ليت شعري هل تخفى مآثرهم
وهن أشهر من نار على جبل
هم الصراط هم سفن النجاة هم الـ
ولاة والأنجم الهـادون للسبل

وقد أثبتنا البيت الأول على ما فيه.

ولـد شـيخنا محمد جـواد في عام (١٩٠٤م ـ ١٣٢٤هـ)، في قرية (طيردبا) فـي الجنـوب اللبنانـي، وقـد اتصـل من جهة أمـه بالإمام موسـى بن جعفر الكاظـم عليه السلام، فوالدته علويـة من آل شـرف الدين العاملي، والتـي قدر لها أن تفـارق الحيـاة، ووليدها يضع رجله على درجة السنة الرابعة، وعندها غادر الشيخ محمود بلاده، متجهاً نحو منتدى العلـم ومدينة العلماء، حاضـرة الفقه، النجف الأشـرف، فـرأى أن يصطحب محمـد جواد معه إلـى هناك، وقد بقي في النجف أربع سـنوات، وخلال هذه الفتـرة التـي قضاها محمد جـواد في النجف الاشـرف، تعلم القراءة والخط والحسـاب وشـيئاً مـن مبـادئ النحو، ففي سـن التاسـعة حيث كان لا يزال فـي النجـف الأشـرف مرافقـاً لأبيه، بـدأ يحفـظ الكلمـات ويكتبهـا ظناً منـه، كما يقـول: (إن العلم هو حفظ الكلمات المطبوعـة في الكتاب عن ظهر قلب وكفى) ثم يتسـاءل بنفسـه

للفضيلة نجومها

مستغرباً: (لا أدري من أين جاءني هذا الاعتقاد؟ ولكني أذكر أن أبي، كان يهتز طرباً إذا حفظت شيئاً منها، ويكافئني بقطعة من نقود[٤].

ترك الشيخ محمود النجف الأشرف، قافلاً إلى جبل عامل، بيد أنه لم يمكث طويلاً، إذ توفي وترك محمد جواد، في الثانية عشرة من عمره.

اشتدت على الصبي مصيبة اليتم، فبالأمس فقد الصدر الحنون الذي كان يحضنه، حيث عاطفة الأم، واليوم يفقد والده، الذي نَعِمَ بحنانه، ونهل من ينبوع رعايته، وخلدَ إلى وارف ظله.

رحلة الكفاح المريرة:

بدأت رحلة الكفاح مع انتقال الشيخ إلى دار أخيه الشيخ عبد الكريم، بمعية أخيه الأصغر أحمد، وفي منزل أخيه الكبير بقي سنتين، فأغدق عليه الأخ من حنانه وبره مما جعله لا ينسى ذلك الموقف طيلة حياته. إلا أن عبد الكريم قرر الالتحاق بمدرسة النجف العلمية وحينها بدأت فعلياً رحلته مع المتاعب، فقرر العودة إلى دار أبيه بمعية أخيه الأصغر، إذ لم يبق له معيل يفي بمتطلباته، وهو لا يزال فتى يافعاً يحدثنا رحمه الله عن ذكرياته في تلك الفترة العصيبة فيقول: (كنت أقضي الأيام طاوياً لا أذوق الطعام إلا حبات الحمص المقلي، أو بعض حبات الفستق، آكلها مع القشور، أشتريها من دكان القرية، وحتى هذه كان يحرمني منها صاحب الدكان لعجزي عن وفاء الدين القديم، ومازلت حتى الآن أذكر أني مضيت ثلاثة أيام، لم أذق فيها شيئاً).

وكان أشد ما يخشاه شيخنا مشكلتين، إحداهما مشكلة لقمة العيش، ثانيهما مشكلة الشتاء البارد، بالنسبة للأولى وبعد أن عجز عن توفير قوته في قريته قرر الذهاب إلى بيروت (... وعزمت على الذهاب إلى العاصمة، لعلي أجد عملاً يقيم الأود، بعد أن ضقت ذرعاً بحياة البؤس والشقاء في قريتي المعدمة).

بعد يومين قضاهما سيراً على الأقدام، وصل إلى بيروت، وعندها بدأ يبحث هنا وهناك، لعله يجد فرصة للعمل، يسد بها فاقته، بدأ بائعاً للصحف والجرائد والقصص، يجوب الشوارع ولكن أين القراء؟! انصرف بعد هذا العمل إلى بيع المرطبات، ثم بيع الكعك، وبعدها قرر أن يصنع بعض الحلوى بنفسه ويبيعها، بقي يكدح أربع سنين أو أكثر في هذه المهنة[٥].

بعد هذه المعاناة، قرر الالتحاق بمدرسة النجف العلمية، وهو الذي قضى فيها شطراً من طفولته، وفيها تعلم مبادئ القراءة والكتابة، كما أن نفسه التواقة إلى العلم والمعرفة لعبت دوراً هاماً في شخذ همته فكان يقول: (كنت دائم التفكير بطلب العلم، كما فعل آبائي وأجدادي متمنياً لو يتيسر إلى ذلك سبيل، وكثيراً ما فكرت بالذهاب إلى النجف، سيراً على الأقدام، وكنت آمل، والآمل فطرة الله في عبده، حتى لو تحطمت سفينة الإنسان في بحر يغشاه اليأس والألم).

غامر شيخنا (طيب الله رمسه) عندما قرر الذهاب إلى النجف الأشرف بدون جواز، وقد ساعدته المعونة الإلهية في تخطي الحواجز والحدود بين لبنان وسوريا أولاً، ثم من الأخرى إلى العراق ثانياً، ولا ينسى شيخنا ذلك السائق الذي ساعده أيما مساعدة حينما عرف بعدم امتلاكه للجواز.

دخل النجف الأشرف ولا يكاد يصدق أنه دخلها، بعد تلك المخاطر الجمة، اتجه نحو دار أخيه ونزل فيهان وكان الشيخ عبد الكريم، أخوه في النجف الأشرف آنذاك، وجهّه للدراسة والتحصيل، فألقى رحله عند السيد محمد سعيد فضل الله، فوجد عنده ما كان يفتقده من عطف ورعاية أبويتين.

انتقل من المقدمات إلى السطوح، فالبحث الخارج وكان أبرز أساتذته[٦]:

١ـ سماحة آية الله العظمى زعيم الحوزة الدينية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي.

٢ـ سماحة السيد الحمامي.

٣ـ سماحة الشيخ محمد حسين الكربلائي.

النجف الأشرف في ذاكرة الشيخ مغنية:

عقد ونيف من السنوات، هي المدة التي أمضاها محمد جواد مغنية في أجواء الحوزة العلمية في النجف الأشرف وعن تلك الأيام يحدثنا بنفسه رحمه الله: (كنت أنتهز أيام العطل هذه وأتردد على المكتبة الحسينية العامة، وأقرأ ما تيسر، وأستعير من أخواني الطلاب ما عندهم، ومازلت أذكر تلك الكتب التي كنت أقرأها مثل، تاريخ بن الأثير، والمسعودي، وغيرها من الكتب، أما الصحف التي كنت أقرأها في النجف، فكثيرة، أهمها مجلة العرفان لصاحبها المرحوم الشيخ عارف الزين، وأقرأ بانتظام جريدة الهاتف للخليلي، أما رسالة الزيات ومجلة العصور، كانتا تصلان إلى بعض الطلاب فأستعيرهما منهم).

ويبدو أن ضنك المعيشة لاحق شيخنا الأجل حتى في النجف الأشرف، نسمعه يقول: (قضيت أيامي في النجف ولم يمر عليّ يوم خير من يوم، ولا شهر خير من شهر، ولا عام خير من عام، ولكن ما أجمل تلك الذكريات وأروعها؟! ولو جمعت لملأت كتاباً ضخماً فريداً من نوعه، وبالرغم من ذلك مازلت أذكر تلك الأيام بلهفة المشتاق، وأحن إلى الجولات العلمية مع الرفاق، وجدالهم وصياحهم، إلى بحوث الأستاذ وتحقيقاته، إلى الرحلات أيام العطلة، والفرات ونخيله، والسرداب ومائه البارد والى التسيارات والتحلق حول سماور الشاي، مازلت أحن إلى المودة والصفاء، إلى أبوة الأستاذ لتلميذه وأخوة الرفيق لرفيقه، وإخلاص الطالب لشيخه، إلى تلك اللطائف والنكات العذبة المرحة، تخدر أوجاع المديونين والمفلسين، وتسكن آلام الفقراء والبائسين وما أكثر اللطائف النجفية!).

ويردفها بقوله: (فحمداً لله وللنجف التي آوتني، وجعلت مني تلميذاً، يتذوق العلم ويعشقه ولو لا رحمة الله ودراستي في النجف، ما وجدت سبباً

يصلني بالمعرفة، ولا طريقاً إلى ما أنا عليه من ترف وسعة).

العودة إلى الوطن:

قفل شيخنا الجواد، عائداً إلى وطنه عام (١٩٣٦م)، ليحل عالماً دينياً في قرية (معركة) بقضاء صور، وفيها أيضاً عانى ما عانى من الفقر ثم انتقل إلى قرية (طيرحرفا)، التي استقر فيها تسع سنوات وأشهر، ومن هذه القرية بدأت رحلته﵀ مع التأليف في جبل عامل، إذ كتب وهو في القرية، رسالة في أسباب الضمان، وثانية في الإرث وهما بحثان فقهيان، وكتب في الأصول رسالة بعنوان (في مجهولي التاريخ) وبحثاً في التضمين وهو دراسة لغوية، وألف كتاباً بعنوان (المرآة)، كما صنف كتاباً في دعبل والكميت، ثم أهمله أيضاً، ثم صنف كتاباً في المجالس الحسينية، نشره ثم أعيد طبعه مراراً، ومن حصيلة هذه الفترة أيضاً، كتابه المعنون (الوضع الحاضر في جبل عامل) وهو أول كتاب ينشر للمؤلف عام (١٩٤٧م).

في عام (١٩٤٨م) انتقل إلى بيروت ليكون قاضياً شرعياً، وعين سنة (١٩٤٩م) مستشاراً في المحكمة الجعفرية العليا، ثم أصبح سنة (١٩٥١م) رئيساً لها وبقي في هذا المنصب حتى عام (١٩٥٦م) ثم بقي مستشاراً فيها حتى السنة التي تقاعد فيها (١٩٦٨م).

مع الإمام الحسين[٤]:

كان للشيخ محمد جواد مغنية، علقة خاصة مع سيد الأحرار أبي عبد الله الحسين، إذ كان﵀ يجتهد في الحضور إلى كربلاء في أيام العشرة الأولى من المحرم ليحيي مراسيم عاشوراء وكانت محاضراته حول نهضة الإمام الحسينعليه السلام محاضرات مركزة كما أثبت منها في كتابة المجالس الحسينية.

تأليفاته القيمة:

ترك لنا الشيخ محمد جواد تراثاً ضخماً، تنوعت الأبواب التي طرقها في كتبه ومؤلفاته والتي بلغت ثلاثين كتاباً أهمها (تفسير الكاشف) في سبعة مجلدات، اعتمد فيه أسلوباً بحثياً رصيناً في تفسير القرآن الكريم، وأما كتاب (فقه الإمام الصادقعليه السلام) فقد أبدع في انجازه، فوضعه في ثلاثة مجلدات، وهكذا جعل يتنقل بين بستان وآخر يقتطف من كل بستان طاقة من زهوره العلمية ليشكل باقة متنوعة، يعبق أريجها، ويبهر الناظر تنوع ألوانها.

وفي عام (١٩٧١م) طلبت منه الحوزة العلمية في مدينة قم الالتحاق بمدرستها العلمية محاضراً وأستاذاً فيها، فاستجاب شيخنا لرغبته ونزل في دار التبليغ، وانصرف إلى العلم فلم يشارك في أي نشاط، بقي هناك سنتين ثم عاد إلى وطنه لبنان.

نهاية المطاف:

حل شهر محرم الحرام موسم أحزان آل محمدﷺ الذي كان فيه

شيخنا (رحمه الله) يحرص على حضور مآتم الحسين عليه السلام، ولكن شهر محرم عام (١٤٠٠هـ) كان مختلفاً عما سبقه فالشيخ في صحة متدهورة، وبالرغم من مرضه فقد أصر على الحضور في المجالس الحسينية، ففي الليالي الأولى من المحرم قضاها في حسينية النبطية في الجنوب، وفي الليلة الرابعة، ذهب إلى حسينية صيدا ثم تعرض إلى وعكة صحية نقل على أثرها إلى بيروت، وفي يوم عاشورا أحيا ذكرى الحسين عليه السلام في حسينية الغبيري عكف بعدها على تأليف كتاب في أهل البيت عليهم السلام حتى عصر السبت ١٩ محرم ١٤٠٠هـ وفيه فقد الوعي ونقل إلى المستشفى وفي التاسعة مساءً انتقل إلى رضوان الله ورحمته بعد رحلة العطاء دامت نصف قرن، ثم نقل جثمانه المبارك إلى النجف الأشرف، وصلى عليه زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره ودفن في حجرة من حجرات الصحن الحيدري المطهر وقد رثاه السيد محمد صالح السيد عدنان الموسوي البحراني بقوله[٧]:

صبح على الأقطار عم بمفزع
شق القلوب بوقعه في الأضلع
من نشره طويت على الحزن الحشا
ولسيره وقف الورى بتفجع
أشجى الوجود فما بكى من منظر
أصماه إلا صمه في المسمع
بهتوا بعظم الحزن حتى عن بكا
ودهوا بداعي الحزن حتى عن وعي
ماذا أطل فقيل إن جواد مغنية
ربيع العلم للحسنى دعي
وإذا فقيه الشعب لاقى مصرعاً
فكأن كل الشعب باء بمصرع

ثم يستمر الشاعر في وصفه للعظماء قائلاً:

وإذا العظيم قضى حياةً لم يمتٍ
بل قام نوراً وادعاً لمودع
والمرء ليس بخالد بالجسم بل
بالذكر يخلد والمزايا الطلع

ثم يختم قصيدته قائلاً:

لم تشهد الأقطار صبحاً مضها
ألماً كصبح قال يا نفس ارجعي
لما سمعت ـ وعينها من أدمع ـ
أرخ: (سأمن جواد مغنيه نعي)
١٤٠٠هـ

جوانب مشرقة نقلناها عن الشيخ مغنية وما أكثرها في حياته؛ رحمه الله وحشره مع الأئمة الأطهار ■

---

(١) محمد جواد مغنيه، حياته ومنهجه في التفسير، جواد كسار، ص١٧.
(٢) تكملة أمل الآمل، ص٣٩٦.
(٣) الأعيان، الأمين ١٤/ ٤٤٤.
(٤) التجارب، مغنيه، ص٢٣، كل ما يرد في المقالة من ذكريات شخصية للمرحوم الشيخ مغنية انتقيناها من كتابه (التجارب) اقتضى التنويه لعدم التكرار.
(٥) محمد جواد مغنية، حياته ومنهجه في التفسير ص:٢٧.
(٦) المصدر السابق ص:٣٣.
(٧) المصدر السابق ص:٢١٤.

في الذكرى الخمسين لرحيله

الشيخ جعفر محبوبه..

مؤرخ النجف وحافظ تراثها العريق

• م. م. علاوي عباس العزاوي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

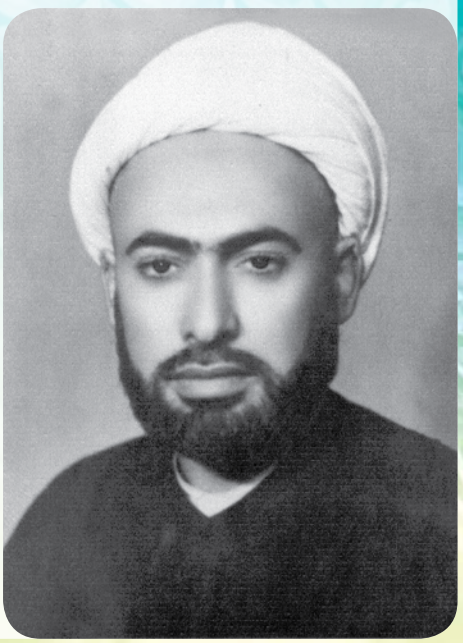

ينابيع إن الحديث عن الشيخ جعفر محبوبه يعني الحديث عن النجف، وإذا ذكر النجف يذكر محبوبه، وهذا وصف قل ما حصل عليه مؤرخ مثل الشيخ محبوبه والقليل ممن تميزوا بهذا اللقب أمثال الأستاذ عباس العزاوي والسيد عبد الرزاق الحسني.

والحقيقة أن مؤرخنا قد قدم خدمة لهذه المدينة عبر كتابه (ماضي النجف وحاضرها)، إذ حفظ من خلال مؤلفه هذا، تاريخ هذه المدينة، ولولاه لأصبح معظمه غير موجود الآن، فعبر أنامله الكريمة، تم الحفاظ على الأثر والتأريخ والتراث مما لو لم يشمر رحمه الله عن ساعديه لضاع وانمحى

وأصبح خبراً بعد عين.

اسمه ونسبه ومولده:

إذن لابد أن نعرف القارئ بحياة هذا المؤرخ، فهو الشيخ جعفر بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد جواد بن محمد حسن بن محمد علي بن عبد الهادي بن نعمة بن محمد أبو لعة بن حسن بن حميد الوفي بن جلال الدين بن كمال الدين (الأمير الربعي) بن درويش بن رحمة الله بن ربيعة جد (الملحان) بن عجل بن مخزوم الأكبر الربعي مؤسس إمارة ربيعة سنة (٦١٣هـ / ١٢١٦م) بن عامر بن خزيمة بن محمد بن منصور بن مشكور.

وعزز الشيخ نسبه، من خلال أرجوزة في المنطق لابن عم والده الشيخ أحمد محبوبه المتوفى سنة (١٣٣٥هـ)، التي يؤكد فيها إلى قبيلة ربيعة فقال:

نحمدك اللهم بعد البسملة
يا معطي السائل قبل المسألة
صل على الهادي النبي الهاشمي
وآله الأطياب نسل فاطم

إلى آخر ما قال:

من آل محبوبه وهو اللقب
ابن علي ربعي أُنسب

ولد مؤرخنا في مدينة النجف الأشرف في حدود سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)، وقد حدد الشيخ هذا التاريخ بنفسه، وقد نشأ في رعاية والده الشيخ باقر محبوبه وكانت أسرة (آل محبوبه) قد جمعت الأصالة العربية في النسب وبين انتهال العلم في مؤسسات النجف الأشرف منذ القرن الثالث عشر الهجري.

أما سبب لقبهم بـ(محبوبه) فإنه يرجع إلى أن أحد أجدادهم وهو الشيخ حسن بن الشيخ حميد الوفي، وهو صاحب اللقب (محبوبه)، فقد كان صاحب حضوة وجاه لدى أحد الأعيان الذين جاؤوا لتعمير المرقد الشريف، إذ كان أثيراً عنده، ذا مكانة كبيرة وعلاقة ودية معه، بموجب هذه المكانة، كان يقضي حاجات لديه أو بواسطته وربما كان يتفق مجيء ذي الحاجة وهو غائب أي الشيخ حسن، فيتعذر قضاؤها فيقال جيئوا له بمحبوبه!.

سيرته العلمية:

من خلال ترجمة الشيخ جعفر لنفسه في كتابه (ماضي النجف وحاضرها) يشير إلى بداية تحصيله العلمي والأدبي يوم أدخله والده الكتاب فتعلم القراءة والكتابة.

وأشار كذلك إلى ترجمته لوالده على رعايته له بقوله: (وهو رجل فاضل وعالم تقي ورع مجدد من طلاب العلوم المعدودين في طلبه والمثابرين الساهرين الحريصين على تحصيله البارزين النابغين، وكان له عند أساتذته وشيوخه مكانة سامية).

وقد سلك الشيخ جعفر سلوك والده الشيخ باقر، ومن خلال عرض لمسيرته العلمية والخلقية، يبدو أن الشيخ قد تأثر بسيرة والده وواكبه حتى وفاته بليلتين، وقد تلمس مؤرخنا

للفضيلة نجومها

فيه هذه السلوكية بوضوح فرآه على هذا الحال لم يتغير ولم يتبدل في السفر وفي الحضر، وقال عنه أنه قليل الكلام كثير الصمت لا ينطق إلا ببعض الكلمات الحكيمة النافعة والمواعظ الحسنة.

وقد أرخ الشيخ جعفر عام وفاته بقوله:

باقر العلم قضى في جوار المرتضى
ألهمنا أرخ: (له باقر العلم مضى)

وما أن لمح الشيخ باقر في ولده نبوغاً وميلاً نحو العلوم حتى وضعه عند الشيخ راضي العبودي لتعلم القراءة والكتابة، وعندما نشأ بدأ بحضور الدروس الدينية عند أساتذة أكفاء، فقد حضر درس المنطق على الشيخ محمد حسين شليلة، والبيان عند السيد علي تقي الحلي، والكفاية عند الشيخ حسين الحلي، كما حضر الرسائل عند زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي، أما المكاسب فقد حضر جلها عند الشيخ عبد الحسين الحلي، وحضر عند الشيخ موسى دعيبل اللمعة سطحاً.

بدأ شيخنا بعدها بحضور الدروس العالية أصولاً عند المحقق الشيخ آغا ضياء العراقي، وفقهاً عند الميرزا النائيني، ثم لازم الشيخ محمد رضا آل ياسين حتى توفي.

أما إجازاته، فقد أجازه الشيخ آغا بزرك الطهراني والشيخ راضي آل ياسين والشيخ محمد طاهر السماوي.

آثاره:

إضافة لكتابه (ماضي النجف وحاضرها) فقد كتب في الأخبار كتاباً بعنوان (المختار من لئالي الأخبار)، إضافة لتشجيره كتاب (الفتوني في النسب) الذي يضم الكثير من سلاسل العلويين، فعمد رحمه الله إلى تشجيرها وإيضاحها، وفي النسب أيضاً له تعليقات مهمة على كتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) لابن عنبة الحسني.

أما ولعه في كتابة التاريخ فقد حدثنا ولده الأستاذ محمد سعيد في مقدمة ماضي النجف وحاضرها قائلاً: (لقد هام الوالد بحب بلده النجف الأشرف، شأن الأحرار الذي يؤمنون بحقوق الوطن وقداسته، لقد دفعه حبه العارم إلى الجهاد في التنقيب والبحث عن شؤون هذه المدينة التاريخية المقدسة، التي اختارها الله يوم دحى الأرض لتكون مرقداً لبطل الإسلام وحامي حوزته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

نبذة عن كتابه (ماضي النجف وحاضرها):

طبع الكتاب لأكثر من مرة، والكتاب عبارة عن عمل تاريخ رائع، لما فيه من مادة تاريخية.

والكتاب يقسم إلى قسمين: يختص الجزء الأول (وهذا مهم جداً) بتاريخ النجف، بدأ فيه المؤرخ يذكر التكوين المعماري والحضري الأول متابعاً آخر التطورات، لذا لا يمكن

لأي باحث الدخول والتعرف عن تاريخ النجف ما لم يرجع إلى هذا المؤلف.

أما الثاني والثالث فهو عبارة عن تراجم لأسر النجف الغير علوية، وقد أبدع رحمه الله في ذكر وترجمة الشخصيات المعروفة في أسرها وعشائرها.

وتمت مناقشة رسالة ماجستير حول الشيخ ومؤلفه (ماضي النجف وحاضرها) بعنوان: (الشيخ جعفر محبوبه وكتابه ماضي النجف وحاضرها دراسة تحليلية) على رواق كلية الآداب، جامعة الكوفة وقد نالت تقدير (جيد جداً عالي).

وهنالك جزأين مخطوطين للمؤرخ وفيهما يكمل كتابه، يختصان بالأسر العلوية (الحسنية، الحسينية، والموسوية).

آراء المؤرخين والعلماء فيه:

قال عنه الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء: (وإنما جل الغرض والقصد في كلمتنا هذه أن نفي الحقيقة حقها ولا نكون من المطففين، فنبخس الرجل حقه ولا نصرف له جهاده وفضله، ونريد أن نقول إنه بذل جهده ووسعه وتحمل أقصى ما في إمكانه من المشقة والعناء، والحق أنه عناء بليغ ومشقة باهضة وكفاح ومصابرة وتحضية ومثابرة على شاب

نموذج من خط العلامة الشيخ محبوبه

مثله، أفليس هذا حقاً أيها العارفون).

وقال عنه العزاوي: (وكتابه هذا والحق يقال عزة في جبين تاريخ النجف، فقد عني صاحبه باستقصاء تاريخها من كتب عديدة مخطوطة ومطبوعة ومن وثائق لو عمل لها فهرساً لبان للقارئ بأقل كلفة كم صرف المؤلف من الوقت مع أعمال الفكرة للقيام بهذه الخدمة الجليلة التي لم يسبقه إليها أحد.

وفاته:

تمر علينا في هذه الأيام الذكرى الخمسون لوفاته فقد لبى نداء ربه في الثالث من جمادى الأولى سنة ١٣٧٧هـ ودفن في الصحن الحيدري الشريف بالقرب من باب الفرج:

إن صوروه بالكتاب فطالما
قد صورت يمناه حبراً أو سري
فبيومه الناعي يردد قائلاً:
حزناً مع التاريخ (ينعاه الغري)■
١٣٧٧هـ

دراسة في التربية

عند العالم الشيعي ابن سينا

• د. أسامة النجفي

ينابيع **قدم الشيعة علماء خدموا البشرية والإسلام بعلومهم مثل ابن سينا ونصير الدين الطوسي وجابر بن حيان وابن الهيثم والفراهيدي والكندي والفارابي ومحمد باقر الصدر وغيرهم بل ان الغالبية العظمى من العلماء والفلاسفة الإسلاميين هم من الشيعة. فيما يلي دراسة مختصرة حول الفكر التربوي عند ابن سينا.**

اسمه ونسبه:

هو أبو علي الحسين بن عبد الله ابن الحسن بن علي بن سينا، الملقب بالشيخ الرئيس، فيلسوف، طبيب وعالم، ومن عظام رجال الفكر في الإسلام ومن أشهر فلاسفة الشرق وأطبائه. ولد في قرية (أفشنة) الفارسية في صفر من سنة ٣٧٠ هـ (سنة ٩٨٠م) من أم من أهل القرية وأب جاء من بلخ (أفغانستان حاليا). ثم انتقل به أهله إلى بخارى (أوزبكستان حاليا) ليدير أبوه بعض الأعمال المالية للسلطان نوح بن منصور الساماني. وفي بخارى ختم القرآن وهو ابن عشر سنين، وتعمق في العلوم المتنوعة من فقه وأدب وفلسفة وطب، وبقي في تلك المدينة حتى بلوغه العشرين. ويذكر أنه عندما كان في الثامنة عشر من عمره عالج السلطان نوح بن منصور

من مرض حار فيه الأطباء، ففتح له السلطان مكتبته الغنية مكافأة له. ثم انتقل إلى خوارزم حيث مكث نحواً من عشر سنوات (٣٩٢ ـ ٤٠٢ هـ)، ومنها إلى جرجان فإلى الري. وبعد ذلك رحل إلى همذان وبقي فيها تسع سنوات، ومن ثم دخل في خدمة علاء الدولة بأصفهان. وهكذا أمضى حياته متنقلاً حتى وفاته في همذان، في شهر شعبان سنة ٤٢٧ هـ (سنة ١٠٣٧ م). قيل أنه أصيب بداء (القولنج) في آخر حياته. وحينما أحس بدنو أجله، اغتسل وتاب وتصدق وأعتق عبيده.

سيرته العلمية:

ترك ابن سينا مؤلفات متعدّدة شملت مختلف حقول المعرفة في عصره، وأهمها:

العلوم الآلية، وتشتمل على كتب المنطق، وما يلحق بها من كتب اللغة والشعر. العلوم النظرية، وتشتمل على كتب العلم الكلّي، والعلم الإلهي، والعلم الرياضي، والعلم الطبيعي.

العلوم العملية، وتشتمل على كتب الأخلاق، وتدبير المنزل، وتدبير المدينة، والتشريع. ولهذه العلوم الأصلية فروع وتوابع، فالطب مثلاً من توابع العلم الطبيعي، والموسيقى وعلم الهيئة من فروع العلم الرياضي.

كتب الرياضيات: من آثار ابن سينا الرياضية رسالة الزاوية، ومختصر إقليدس، ومختصر الارتماطيقي، ومختصر علم الهيئة، ومختصر المجسطي، ورسالة في بيان علّة قيام الأرض في وسط السماء. طبعت في مجموع (جامع البدائع)، في القاهرة سنة ١٩١٧م.

كتب الطبيعيات وتوابعها: جمعت طبيعيات ابن سينا في الشفاء والنجاة والإشارات، وما نجده في خزائن الكتب من الرسائل ليس سوى تكملة لما جاء في هذه الكتب. ومن هذه الرسائل: رسالة في إبطال أحكام النجوم، ورسالة في الأجرام العلوية، وأسباب البرق والرعد، ورسالة في الفضاء، ورسالة في النبات والحيوان.

كتب الطب: أشهر كتب ابن سينا الطبية كتاب القانون الذي ترجم وطبع عدّة مرات والذي ظل يُدرس في جامعات أوروبا حتى أواخر القرن التاسع عشر. ومن كتبه الطبية أيضاً كتاب الأدوية القلبية، وكتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية،

وكتاب القولنج، ورسالة في سياسة البدن وفضائل الشراب، ورسالة في تشريح الأعضاء، ورسالة في الفصد، ورسالة في الأغذية والأدوية. ولابن سينا أراجيز طبية كثيرة منها: أرجوزة في التشريح، وأرجوزة المجربات في الطب، والألفية الطبية المشهورة التي ترجمت وطبعت.

وألّف ابن سينا في الموسيقى أيضاً: مقالة جوامع علم الموسيقى، مقالة الموسيقى، مقالة في الموسيقى.

أساليبه التعليمية:

أ. التدرج بالتعليم:

يقول ابن سينا: (إن على الصبي أن يتعلم اولاً الرجز، ثم القصيدة، لأن رواية الرجز أسهل وحفظه أمكن، لكون بيوته أقصر، ووزنه أخف) وهكذا يكون ابن سينا قد اخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين التلاميذ. فهو يأخذ بيده ويسير معه بما يتناسب مع طاقاته وامكانياته.

ب. التعلم الجماعي:

(ينبغي أن يكون مع الصبي صبِيّة حسنة آدابهم وطيبة عاداتهم) على الرغم من أن ابن سينا قد تلقى العلم من قبل معلمين خاصين به إلا أننا نجده يفضل أن يكون مع الصبي أقران، لان انفراد الصبي الواحد بالمؤدب أجلب لنظرهما ولأن الصبي عن الصبي ألقن. وهو عنه آخذ وبه آنس.. ووجود الصبي مع غيره من الصبيان (ادعى إلى التعلم والتخرج فإنه يباهي الصبيان مرة ويغبطهم مرة ويأنف عن القصور عن شأوهم مرة ثم انهم يترافقون ويتعارضون الزيارة، ويتكارمون ويتعاوضون الحقوق وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة، والمساجلة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهم وتمرين لعاداتهم). وهذا ما اكتشفه علم النفس الحديث، أما الطفل في هذه المرحلة فهو بحاجة إلى اللعب والتقدير والانتماء والشعور بالتفوق والنجاح، وهو بحاجة إلى إشباع ذلك بطرق وأساليب تربوية سليمة.

ج. توجيه التلاميذ على حسب مواهبهم وميولهم:

من أهم ما يستحق الاعجاب في أساليب التربية السيناوية ذلك الاهتمام بموضوع توليه التربية الحديثة اليوم قصارى اهتمامها، نعني بذلك العناية بميول الطلاب وقابلياتهم وتوجيههم نحو الدراسات التي تؤهلهم لها تلك الميول والقابليات. وكثيراً ما يخيل إلينا أن فكرة (التوجيه المهني) فكرة محدثة لم تعرف إلا في القرن الأخير بعد تقدم الدراسات النفسية، والواقع أن الشيخ الرئيس قد عرف جذورها وبذورها حيث يقول ابن سينا في القانون: (وعلى المؤدب أن يبحث للولد عن صناعة فلا يجبره على العلم إذا كان غير ميال إليه. ولا يتركه يسير مع الهوى، إذ ليست كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له. لكن ما شاكل طبيعته مناسب، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد

بالطلب دون المشاكلة والملائمة إذن ما كان أحد غفلاً عن الأدب وعارياً من صناعته. وإذن لأجمع الناس على اختيار اشرف الصناعات).

د. الثواب والعقاب:

تنتشر في أيامنا الراهنة بين أوساط المربين والرأي العام الواسع مختلف الآراء التي تتناول استخدام الثواب والعقاب في تربية الأطفال فمنهم من يعتقد انه يجب الإكثار في العقاب والإقلال من الثواب وعلى العكس يعتبر آخرون أنه يجب الإكثار من الثواب وان يكون العقاب قليلاً، بينما يعتبر غيرهم انه يجدر ممارسة الثواب فقط وعدم اللجوء إلى العقاب وهناك ثمة من يعتقد أن التربية الحقيقية هي التربية التي لا ثواب ولا عقاب فيها.

رأيه في هذا الأسلوب التربوي:

يؤمن ابن سينا بالثواب والعقاب المعنويين وليس الماديين، فإلى جانب العقاب المعنوي (الترهيب والاعراض) هناك ثواب معنوي (الترغيب والحمد والإقبال) وقد أوضح هذا الأمر في كتاب السياسة فصل تدبير الرجل ولده حيث نجد أن ابن سينا قد اهتم بتربية الطفل وتأديبه في مرحلة مبكرة من عمره كخطوة وقائية أولية.

وعند الإقدام على الثواب والعقاب ينبغي مراعاة طبيعة المتعلم والعمل الذي أقدم عليه ويجب أن تتدرج من الإعراض إلى الايحاش، فالترهيب، فالتوبيخ. فالعقوبة عند ابن سينا إرشاد وتوجيه للسلوك وحرص على تعديله برفق، ويحرص كذلك على أن يكون الدافع من وراء العقاب ليس الانتقام والكراهية بل حسن التربية والإخلاص في العمل.

صفات المعلم:

نرى في التربية السيناوية نظرات صائبة لما يجب أن يكون عليه المؤدب وهي آراء تقترب من الآراء التربوية الحديثة في المربي والمعلم فيقول ابن سينا (على مؤدب الصبي أن يكون بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان). وهذا ما تؤكد عليه التربية الحديثة فيجب على المعلم أن يكون عالماً بعلم نفس النمو وسن الطفولة والمراهقة.

ويجب أن يكون وقوراً ورزيناً، بعيداً عن الخفة والسخف، قليل التبذل، ذا مرؤة ونزاهة. فلم يخف على ابن سينا ما للمعلم من اثر مباشر على الطلاب حيث انه سيلازمه وهو أول من سيتطبع بطباعه.

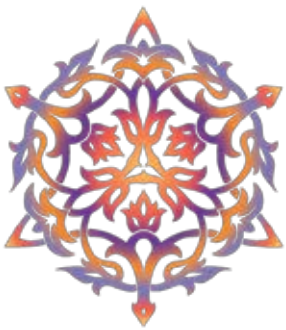

الخلاصة

هكذا يكون ابن سينا العالم الشيعي قد وضع لنا منهجاً تربوياً مستمداً أسسه ودعائمه من الدين، ومن واقع عصره ومجتمعه، ليفي بمتطلبات مجتمعه ويساعده على النهوض والخلاص مما هو فيه من انحلال وتعطل وفقدان للقيم إنها تربية اجتماعية بكل معنى الكلمة. متعددة الجوانب فردية، مجتمعية، أخلاقية، دينية مهنية.. مما يجعل معلمنا من أصحاب المذاهب التربوية الجديرة بالدراسة والاهتمام وفي منهج هذا الفيلسوف من الآراء والنظريات العلمية ما يجعله جديراً بأن يمد الإنسانية بمعين لا ينضب من المعرفة، وما يتفرع عنه من تربية وسياسة وإصلاح، بعد أن أمدها بمعين من الفلسفة والطب ■

المصادر:

١- الذريعة إلى تصانيف الشيعة لاية لله اغا بزرك الطهراني الموسوعة البريطانية ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، تعريب: الدكتور كمال اليازجي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٢.

٢- جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١. حنا الفاخوري وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، الجزء الثاني، دار الجيل، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٨٢.

٣- يوحنا قمير، ابن سينا، دار المشرق، سلسلة فلاسفة العرب، بيروت، ١٩٨٣. جورج قنواتي، مؤلفات ابن سينا، القاهرة، ١٩٥٠.

٤- عبد الحليم محمود، التصوف عند ابن سينا، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة.

لا تصلح إلا بي أو بك

عن علي عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يغزو غزاة له، فدعا جعفراً فأمره أن يتخلف على المدينة فقال: لا أتخلف بعدك يا رسول الله أبداً. فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله، فعزم عليّ لما تخلفت قبل أن أتكلم، فبكيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا علي؟ قلت: يا رسول الله يبكيني خصال غير واحدة، تقول قريش غداً: ما أسرع ما تخلف عن ابن عمه وخذله، ويبكيني خصلة أخرى، كنت أريد أن أتعرض للجهاد في سبيل الله لأن الله يقول: ﴿ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار﴾ الآية، فكنت أريد أن أتعرض للأجر، ويبكيني خصلة أخرى، كنت أريد أن أتعرض لفضل الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما قولك: تقول قريش: ما أسرع ما تخلف عن ابن عمه وخذله، فإن لك بي أسوة، قالوا: ساحر وكاهن وكذاب، وأما قولك: أتعرض للأجر من الله، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟! وأما قولك: أتعرض لفضل الله، فهذان بهاران من فلفل جاءنا من اليمن، فبعه واستمتع به أنت وفاطمة حتى يؤتيكم الله من فضله، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك.

مناقب علي بن أبي طالب(٤)
لابن مردويه ص:١١٣

الجاهلية المعاصرة

• الشيخ محمد الغراوي
كلية الدراسات الإنسانية/ جامعة الكوفة

ينابيع **لقد ورد مصطلح الجاهلية في القرآن الكريم أربع مرات، منها قوله تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)[1].**

والمعنى المتداول المشهور لهذا المصطلح هو أن القرآن الكريم قد أطلقه كوصف لحالة العرب قبل الإسلام، باعتبار ما كانوا عليه من جهل وانحطاط علمي واجتماعي، وحاول البعض أن ينفي هذا المعنى ويستدل على وجود حالة علمية لا بأس بها آنذاك، وأن المقصود بالجاهلية هو معنى خاص من الجهل، كالجهل بالدين وأحكامه، أو الجهل بمعناه الأخلاقي، فالغصب والثأر والقبلية ووأد البنات وعبادة الأصنام مظاهر تحكي جهلاً على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي.

وهذا ما يحفزنا للبحث عن حقيقة هذا المصطلح من خلال البحث عن معنى الجهل في القرآن الكريم باعتباره الجذر اللغوي لمصطلح الجاهلية.

لقد تكررت مادة (جهل) في القرآن الكريم (٢٤ مرة)، أربعة منها ورد فيها التعبير بـ(الجاهلية) التي هي محل البحث، وأربعة منها ورد فيها التعبير بـ(جهالة) وقد جاءت بمعنى ما يقابل العلم، وواحد منها ورد فيه التعبير بـ(الجاهل) وقد أريد به أيضاً ما يقابل العالم، وفي الباقي ورد التعبير بـ(جاهلون)، (جاهلين)، (جهولا)، (يجهلون)، (تجهلون) وقد جاء المراد بهذه التعابير في هذه الموارد أمراً لا يقابل العلم، بل أريد به معنىً إما يقابل التوحيد أو يقابل حكماً من أحكام الله سبحانه وتعالى، والمعنى الجامع

لهـا هو مـا يقابل الحق. ففـي ما يقابل التوحيـد ورد قولـه تعالـى: (قالـوا يـا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)[٢].

فوصف الشـرك بالجهـل، وفي ما يقابل حكماً من أحكام الله سـبحانه وتعالى ورد قوله تعالى: (أئنكم لتاتون الرجال شـهوة من دون النسـاء بل أنتم قوم تجهلون)[٣].

وعلى هـذا يكون المـراد بالجهل في هـذه الموارد هو الباطـل، العقيدة الباطلـة، والسـلوك الباطـل، وحينئـذ فالمـراد بالجاهلية إما أن يكون معنىً يقابـل العلـم، أو معنـىً يقابـل الحق، وحيـث إن المعنـى الأول قليـل الورود فـي القرآن الكريم، وقد ورد مقروناً بالتسـامح، مثـل قولـه تعالـى: (إنمـا التوبـة علـى الله للذين يعملون السـوء بجهالـة)[٤]، فلا يمكـن أن يكون هو المعنـى المقصود مـن الجاهلية، لأنها أمر لا يقبل التسـامح والتساهل، فلابد من الأخذ بالمعنى الثاني، وهو ما يقابل الحـق، أي الباطل، لكثـرة وروده في القـرآن الكريـم من جهـة، ولكونه أمراً لا يقبل التسامح والتساهل من جهة ثانية، وحينئذ فالجاهلية هي بناء الحياة الاجتماعيـة على أسـاس باطـل، وهي أمر يقابل الإسـلام باعتباره يعني إقامة الحياة الاجتماعية على أساس حق.

إذن فليسـت الجاهليـة فتـرة زمنية منصرمة من حيـاة مجتمع معين، وإنما هـي وصف لنمـط خاطـئ مـن الحياة الاجتماعية، كما هو الإسـلام وصف للنمـط الصحيـح منهـا، والمقابلة بين الإسلام والجاهلية مقابلة بين الصواب والخطـأ، بيـن الحـق والباطـل، وهي مقابلـة قابلـة للوقـوع فـي كل زمان ومـكان وليسـت خاصة بزمـان معين ولا بمـكان خـاص، ومـا الجاهليـة العربيـة إلا مثالاً مـن أمثلتها ومصداقاً مـن مصاديقها، وقد ذاع أمره واشـتهر حتى ظن أنها المصداق الوحيد لمفهوم الجاهلية، بسبب كونها المصداق الذي اصطدم مع الإسـلام في أول انطلاقته. ويشـهد لذلك قوله تعالـى: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)[٥].

فالجاهليـة حالـة تقبـل التكـرار والتعـدد والوقـوع فـي أزمـان مختلفة وأماكـن متعـددة، وهـذا المعنـى المسـتخلص والمختـار للجاهليـة فيـه احتمالان:

١ـ أن تكـون الجاهلية وصفاً للحياة الاجتماعيـة الباطلـة وغير الإسـلامية بغـض النظـر عـن الماضـي والحاضر والمسـتقبل، فكل نهج اجتماعي غير إسـلامي هو نهج جاهلـي بغض النظر عن الزمان والمكان.

٢ـ أن تكون الجاهلية وصفاً للحياة الاجتماعية الباطلة التي كانت سـائدة في دنيا الإنسـان قبل الإسـلام خاصة، وأن ظهورهـا من جديد فـي مرحلة ما بعـد الإسـلام لا يعنـي ظهـور جاهلية جديـدة، وإنمـا يعنـي عـودة الإنسـان إلـى جاهلية مـا قبل الإسـلام، فظهور الإسـلام كان بمثابـة الإعـلان عـن انقضاء الجاهلية وبلوغ الإنسـان مرحلة الرشـد والنضج والكمـال على يديه، وأن أي خطوة تستهدف تجاوز الإسلام

وبناء الحياة على أساس غيره إنما تعني إعادة الإنسان إلى مرحلة سابقة هي مرحلة الجاهلية، أو بتعبير آخر إن الجاهلية في حسابات الإسلام مرحلة منصرمة من حياة الإنسان، إلا أن الإنسان قد يتقهقر ويتراجع إلى الوراء ليمارس الجاهلية من جديد، فالجاهلية لا تعود إنما الإنسان هو الذي يعود إليها، وتعدد الجاهلية لا يصح بلحاظ ما بعد الإسلام، إنما هو صحيح بلحاظ ما قبل الإسلام فقط.

فقبل الإسلام كانت هناك جاهليات متعددة فجاء الإسلام ليعلن عن انقضاء عهد الجاهلية وبلوغ الإنسان رشده ونضجه في ظل النبوة الخاتمة، وبالتالي فكل خروج عن تعاليم النبوة إنما هو عودة إلى الجاهلية.

وهذا الاحتمال أكمل من الأول وأكثر صحة ودقة، وما هو مذكور في تراث سيد قطب[٦]، ومحمد قطب[٧]، والشيخ محمد مهدي شمس الدين[٨] وآخرون وإن كان مطابقاً للاحتمال الأول، بحسب ما يظهر من عباراتهم، ولكن الاحتمال الثاني يبدو أقرب إلى الصواب، ذلك أن خاتمية الإسلام لما قبله من النبوات والرسالات الإلهية هي بلحاظ جوانب متعددة، ولابد أن يكون أحدها أن رشد الإنسان ونضجه في فترة الإسلام قد بلغ حداً كافياً لفهم التوحيد بنحو أدى إلى الإعلان عن خاتمية الإسلام وانقضاء الحاجة إلى ظهور رسالة إلهية جديدة، فالنبوات السابقة استطاعت أن تقتاد الإنسان وتعبره مرحلة الصبا والمراهقة وأن توصله إلى مرحلة النضج والرشد الكافيين لتفهم حقيقة التوحيد بتمام أبعادها وجوانبها، وهذا يعني بالنتيجة أن كل سلوك مخالف للإسلام ينتمي من الهوية والنمط والجوهر إلى فترة ما كان عليه الإنسان في أيام طفولته وصباه ويجسد جاهليته ويعبر عن حركة رجعية قهقرائية.

وكمثال تطبيقي حي على ذلك نلاحظ أن الحضارة المعاصرة التي نظر إليها بكثير من الانبهار والإعجاب إذا فصلنا عنها الجانب التقني والعلمي الذي هو تراث إنساني مشترك واقتصرنا على الجانب الآيديولوجي منها وجدنا هذا الجانب يعود من حيث الأصالة والهوية والجوهر الحقيقي إلى سلوك جاهلي عاشه الإنسان منذ أقدم الأزمان، وبالتالي فهو يمثل حالة رجعية خلافاً لما هو العالق في الأذهان من اعتباره مظهراً لتقدم الإنسان ورقيه.

الإنسان الحديث يمتلئ استغراباً وتعجباً من سلفه الإنسان القديم يوم كان يصنع الأصنام بيده ثم يجعلها إلهاً له، ويزداد استغراباً وهو يقرأ في التاريخ كيف أن عبادة الأصنام كانت تغطي وجه الأرض حتى عند اليونان والرومان الذين عرفوا الفلسفة قبل غيرهم، ولكننا نسأل الإنسان الحديث كيف استساغ فكره كفكرة العلمانية واستأنس بها وأقام حياته الاجتماعية عليها واعتبرها حلاً حاسماً لجدلية الإيمان والفكر، وهي لا تحظى بدليل واقعي؟ لأن الواقع من الناحية العقلية لا يقبل إلا أن يكون

في النفس والمجتمع

إيمانياً أو إلحادياً، فإن كان إيمانياً فهو إيماني للإنسان بما هو إنسان سواء كان فرداً أو مجتمعا وإن كان إلحادياً فهو إلحادي للإنسان بما هو إنسان سواء كان فرداً أو مجتمعاً وقيام العلمانية على أساس التفريق بين فرد لا مانع من أن يكون مؤمناً ومجتمع يجب أن يكون مادياً ملحداً أمر لا يمكن أن يحظى بدعم فلسفي أو عقلي، وهو خديعة وسذاجة لا تقل عن سذاجة وانخداع الإنسان القديم بعبادة الأصنام.

إن الحياة الاجتماعية كائن حساس تؤثر فيه أبسط المؤثرات، ولذا نجد التجارب الديمقراطية تتفاوت في الخصوصيات من بلد ديمقراطي إلى بلد ديمقراطي آخر، وكذا الأمر في التجارب الاشتراكية، ومع حقيقة كهذه كيف يتاح لنا تصور أن الحياة الاجتماعية تأخذ نمطاً واحداً سواء كان الفرد مؤمناً أم ملحداً؟

ويستغرب الإنسان الحديث من سلفه كيف كان يتعصب لقبيلته إلى حد بحيث يحولها إلى طوطم يقدم له النذور والقرابين وفروض الطاعة والولاء والعبادة، ولكن هل هناك فرق جوهري بن الطوطمية القديمة والقومية الحديثة؟

أليست القومية الحديثة إلهاً يقدم له الفرد فروض الطاعة والولاء إلى حد التضحية بالنفس؟ وهل القومية إلا دائرة تتحد مع القبيلة في مركز تعصبي واحد ولا تختلف معها إلا في السعة والحجم.

ويفتخر الإنسان الحديث على أسلافه بأنه اكتشف الوطنية كمبدأ حقوقي في الحياة الدولية، ولكننا نقرأ في التاريخ بأن الوطنية شعور لازم الإنسان منذ أقدم الأزمان وأن هذا الشعور كان يتحول بشكل تلقائي إلى مبدأ حقوقي، فنقرأ في قصة فرعون أنه كان ينظر إلى موسى عليه السلام، من زاوية وطنية ويعتبر موسى عليه السلام غريباً لا ينتمي إلى مصر انتماءً أصيلاً، قال تعالى على لسان فرعون: (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى)[9]، وتحدث السحرة فيما بينهم قائلين: (إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم)[10].

ثم خاطب فرعون الناس قائلاً: (يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون)[11] فالأرض لهم وليس لموسى أي حق فيها، وإذا كان له من حق فعليه أن يخضع للإرادة الوطنية العامة، ولا يفرض رأيه عليها، ولم يكن موسى عليه السلام بدعاً من الرسل، فقد عانى كل الرسل والأنبياء من هذه القضية، قال تعالى: (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا)[12].

ويفتخر الإنسان الحديث بالحرية والديمقراطية والليبرالية ويعتبرها المرفأ الأخير للتاريخ بينما يحدثنا القرآن الكريم أن هذه الأفكار من حيث الجوهر عرفها الإنسان ومارسها منذ أقدم الأزمان، وإن لم يطلق عليها هذه الأسماء ولم يطرحها بصياغات نظرية معينة، وإنما طرحها بأسلوب

ساذج بسيط، فحينما كان الأنبياء يدعون أقوامهم إلى التوحيد كان المخالفون يقولون: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون)[١٣].

وجوابهم هذا يتضمن فكرة الحرية، فهم يريدون أن يقولوا للأنبياء: نحن أحرار فيما نختار، ولا نريد اختياركم حتى لو كان اختياركم أفضل من اختيارنا لأنفسنا، كما يتضمن فكرة الليبرالية القائمة على أساس تبعية الإنسان لنفسه، لأنهم يقاومون التبعية لله ويصرون على التبعية للآباء والأجداد كتعبير عن تبعيتهم لأنفسهم.

وإذا كان الإنسان الغربي الحديث قد أطلق الحرية الجنسية بلا حدود، فالقرآن الكريم يحدثنا أن ذلك كان شأن الجاهلية الأولى، وشأن قوم لوط، فما هي ميزة الحداثة إذن؟ وهذا كله يشهد بأن طبيعة العلاقات الإنسانية ونمط إدارتها تخضع لأصول ثابتة لا تقبل التغيير، وأن الزمان مهما امتد لا يؤثر فيها وإنما يؤثر في شكلها وطريقة التعبير عنها وفي علاقة الإنسان مع المادة والكون، وأن علاقة الإنسان مع الإنسان الآخر السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية إما أن تقوم على أسس مادية أو إلهية، وأنها في الحالتين تستند إلى أسس وتفرز خصائص ثابتة لا تتغير، وليس للزمان أن يؤثر فيها ولذا نجد الله

سبحانه وتعالى يخاطب نبيه قائلاً: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)[١٤].

فالحياة الاجتماعية تنتظم وتقوم على أحد أساسين: فأما شريعة الله، وإما أهواء الذين لا يعلمون شريعة الله هي الأساس العلمي الوحيد للحياة الاجتماعية، وما عدا أسس جاهلية يعبر عنها القرآن الكريم بأنها (أهواء) ثم ينسبها إلى الذين لا يعلمون وتبقى هذه المعادلة مهما امتد الزمان، ويشهد لصحة الاحتمال الثاني أيضاً أن معجزة نبي الإسلام ﷺ اختلفت عن معجزة سائر الأنبياء بأنها معجزة أدبية فكرية، بينما كانت معجزات الأنبياء السابقين حسية كإحياء الموتى وتحول النار إلى برد وسلام على إبراهيم عليه السلام وعصا موسى عليه السلام.

والمعجزات الحسية تدل على أن المخاطب لا يميز الأمور إلا بحواسه وجهازه الحسي، والمعجزة الأدبية، وهي القرآن الكريم تدل على أن المخاطب قد ترقى بحيث أصبح بوسعه تمييز الأمور تمييزاً فكرياً وأدبياً وعقلياً، ولأجل وصوله إلى هذه المرتبة من الرشد والبلوغ فليس هناك ضرورة لظهور نبوة جديدة، فكانت نبوة النبي ﷺ هي النبوة الخاتمة لعصر الوحي، بمعنى أن الجاهلية هي عصر سيادة الحس والنوازع الحسية على الإنسان وأن عصر الإسلام هو عصر بلوغ الإنسان رشده وتكامله الفكري بحيث يستطيع أن يدرك حقيقة التوحيد وقبح الشرك استناداً إلى دلائل عقلية وبدون الحاجة إلى معجزة حسية، وبالتالي فكل سلوك يخالف الإسلام هو في الحقيقة نكوص عن العصر العقلي وعودة إلى العصر الحسي أي إلى العصر الجاهلي.

إن الركيزة الأساسية للجاهلية تتمثل في كل زمان ومكان في أن يفعل الإنسان ما يحلو له ويرى سعادته وكماله في ذلك مهما كان فيه من ظلم بحق الآخرين.

وهذا المعنى الذي عبر عنه حديثاً بالليبرالية حكاه القرآن الكريم عن الإنسان القديم بقوله تعالى: (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أو جئتكم بالهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون)[١٥].

فكل أركان الليبرالية ومعالمها مذكورة في هاتين الآيتين وهي:

أ ـ الرأسمالية: وذلك في قوله تعالى: (قال مترفوها) فالرأسماليين هم الطبقة المنتفعة بالجاهلية، والرمز القائد الذي يدعو المجتمع إلى رفض التغيير ومقاومة خط الأنبياء، وهم الذين استضعفوا الناس وجعلوهم يعتقدون أن علامة صدق النبوة تحققها في أكثر الناس ثراءً كما في حكاية القرآن الكريم عنهم: (وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)[١٦].

وهم الذين فككوا الأسرة في هذا الزمان من أجل مصالحهم ورفعوا شعار حقوق المرأة من أجل الحصول على يد عاملة رخيصة تنافس الرجال وتستهويهم للحضور في المعامل والإدارات مهما كانت الأجور زهيدة وهم الذين يسيطرون على مواقع الحكم والمعارضة في البلدان الغربية ويسيرون دفة الحكم من خلال حزبين لا ثالث لهما طيلة التاريخ السياسي المعاصر هناك من وراء لافتة الديمقراطية، وهم الذين يملكون وسائل صناعة الرأي العام المؤيد لمصالحهم، وهم الذين يقودون عمليات الاستعمار والاحتلال والهيمنة على البلدان الأخرى طيلة القرنين التاسع عشر والعشرين.

وهم الذين يقودون حملة العولمة ويسمون كل مخالف لهم إرهابياً، وهم الحليف الطبيعي للصهيونية بما تمثله من قوى استعمارية رأسمالية

يهودية تفكر بالسيطرة العالمية وإغراق العالم بالفتن والاضطرابات، وهم الذين يرفعون الآن شعار صراع الحضارات ضد الإسلام، لأنهم يعتبرونه الخطر الكبير على مصالحهم بما يمثل من قوة معنوية قادرة على تعبئة المسلمين وحتى الشعوب الغربية ضدهم وكشف جناياتهم ومؤامراتهم على البشرية.

ب ـ القومية: وذلك في قوله تعالى: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) فالقوى الرأسمالية لا تجد وسيلة تتمكن من خلالها تعبئة الرأي العالم المحلي ضد قوة الحق والخير أفضل من القومية.

وقد ظهرت في العصر الحديث بشكل مقارن وملازم لظهور الرأسمالية، واختفت في الفكر الماركسي وكذا في الفكر الإسلامي المنافي لها.

ج ـ البراغماتية: فالمترفون قاوموا الأنبياء انطلاقاً من مصالحهم، وفي الظروف العصرية يجد الرأسماليون فلسفة اللذة والمنفعة والقوة، فلسفتهم الطبيعية في الحياة والسند الطبيعي في معركتهم غير المقدسة ضد المستضعفين.

د ـ العلمانية: فالمترفون لم يدخلوا في نقاش فلسفي مع الأنبياء، بل هربوا من هذا الميدان وقالوا في البدء: إنا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فلما قال لهم النبيﷺ أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتهم به كافرون.

فهربوا من المواجهة العلمية المنطقية وتمسكوا بالعصبية دفاعاً عن مصالحهم الرأسمالية.

والرأسماليون في عصرنا تمسكوا بالمبدأ العلماني في مواجهة الدين دون دليل منطقي يساعدهم على ما يذهبون إليه من عزل الدين عن شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية وتفكيك الشؤون الإنسانية إلى فردية واجتماعية، وقد كتب السيد الشهيد الصدر يقول في ذلك:

(إن المسألة الاجتماعية للحياة تتصل بواقع الحياة ولا تبلور في شكل صحيح إلا إذا أقيمت على قاعدة مركزية تشرح الحياة وواقعها وحدودها، والنظام الرأسمالي يفقد هذه القاعدة، فهو ينطوي على خداع وتضليل أو على عجلة وقلة أناة حيث تجمد المسألة الواقعية للحياة وتدرس المسألة الاجتماعية منفصلة عنها، مع أن قوام الميزان الفكري للنظام بتحديد نظرته منذ البداية إلى واقع الحياة التي تمون المجتمع بالمادة الاجتماعية... إذن فمسألة الإيمان بالله وانبثاق الحياة عنه ليست مسألة فكرية خالصة لا علاقة لها بالحياة لتفصل عن مجالات الحياة ويشرع لها طرائقها ودساتيرها مع إغفال تلك المسألة وفصلها، بل هي مسألة تتصل بالعقل والقلب والحياة جميعاً...)[١٧].

هـ ـ الديمقراطية: فقد صور المترفون موقفهم من الأنبياء على أنه دعوة إلى الحرية حينما قال: (إنا وجدنا آباءنا على أمة..). واعتبروا دعوة الأنبياء

في النفس والمجتمع

نوعاً من القيود على الحريات وتصر القوى الرأسمالية المعاصرة على رفع لافتة الحرية والديمقراطية كطريق لإقصاء الدين عن الساحة الاجتماعية وفرض السيطرة الرأسمالية عليها ومن ثم التعدي منها إلى سائر البلدان في العالم عبر عمليات الاحتلال والاستعمار والعولمة.

ولن تذوق الأمم والشعوب بما في ذلك الشعب الأمريكي الطعم الحقيقي للحرية إلا بإسقاط القوى الرأسمالية التي تتحكم بمصير البشرية انطلاقاً من القاعدة الاقتصادية التي تملكها، ولن تذوق المعنى الحقيقي المقصود من الديمقراطية إلا بإسقاط هذه القوى التي تدير الحياة السياسية في كل البلدان الرأسمالية من خلال انقسامها إلى حزبين يحتكران مقاعد الحكم ومقاعد المعارضة ويتناوبان الأدوار بينهما طيلة التاريخ السياسي الحديث، ونحن لا ننكر الديمقراطية بما هي مشاركة شعبية في الحكم وإدارة شؤون الأمة، وإنما نرى أن المشاركة الشعبية إذا أقيمت في مجتمع مادي كانت النتيجة استحواذ القوى الرأسمالية على الحكم وتوليها إدارة دفة الحياة السياسة من وراء ستار براق اسمه الديمقراطية، وإذا أقيمت في مجتمع إيماني كانت النتيجة هي نظرية الشورى في الإسلام وبالتالي فالديمقراطية اسم يطلق على مجتمع مادي تقوده الرأسمالية إلى مشاركة ظاهرية في الحكم والشورى اسم يطلق على مجتمع إيماني تقوده العقيدة إلى مشاركة حقيقية في الحكم.

و ـ إنكار قيم الحق والخير في الحياة، فالمترفون لم يناقشوا الأنبياء ولم يتباحثوا معهم حول الحق والحقيقة والخير والعدل وإنما تمسكوا بالتبعية للآباء والأجداد، ولما قال لهم النبي ﷺ: (أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) قالوا: (إنا بما أرسلتم به كافرون) فهم ليسوا بصدد قيم الحق والحقيقة والخير والعدل بل بصدد إبقاء ما هم عليه من امتيازات ومصالح ومواقع بغض النظر عن مسألة الحق والباطل ومسألة الخير والشر ومسألة العدل والظلم ومسالة الحقيقة والخيال على غرار ما تتمسك به، النظم الرأسمالية الحديثة، من

مقولة نسبية الحقيقة ونسبية الأخلاق وقيم الحق والعدل والخير، وتبني هذه المقولة من جانبهم أمر طبيعي وحتمي، لأن من يؤمن بفلسفة القوة واللذة والمنفعة لا يمكنه أن يؤمن بشيء اسمه حق وحقيقة وخير وعدل ولابد له من أن يؤمن بأن القوة إذا ذهبت إلى مكان قالت للحق والخير والعدل خذني معك.

هذه هي الأركان الستة لليبرالية قديماً وحديثاً، فالإنسان القديم الذي واجه خط الأنبياء كان ليبرالياً من حيث لا يدري، والرأسمالي الذي يعلن الحرب على الإسلام في هذا الزمان هو امتداد لذلك السلف، وبالتالي الليبرالية المادية هي طبعة جديدة من الجاهلية التي جاء الإسلام ليعلن القضاء عليها ويعتبرها نقيضاً دائمياً له، لأن الإسلام هو الإذعان للحق، والجاهلية هي إنكار الحق، وظهور الليبرالية في هذا الزمان إنما هو عودة إلى الجاهلية وحركة رجعية تريد بالإنسان أن يتقهقر إلى الوراء لأن التقدم الحقيقي لا يقاس بالطائرة والسيارة وسائر وسائل العيش التي سخرها الله للإنسان وأمكنه منه وإنما يقاس بمقدار ما يحققه الإنسان من خطوات باتجاه العدل والكرامة والسعادة والحق والخير والحرية الحقيقية والإصلاح ■

(١) سورة المائدة/ الآية:٥٠.
(٢) سورة الأعراف/ الآية:١٣٨.
(٣) سورة النمل/ الآية:٥٥.
(٤) سورة النساء/ الآية:١٧.
(٥) سورة الأحزاب/ الآية:٣٣.
(٦) في ظلال القرآن، ٥٦٤/٦، ١٣٤/٢.
(٧) جاهلية القرن العشرين، ١١.
(٨) بين الجاهلية والإسلام، /٢٥٦.
(٩) سورة طه/ الآية:٥٧.
(١٠) سورة طه/ الآية:٦٣.
(١١) سورة الأعراف/ الآية:١١٠.
(١٢) سورة إبراهيم/ الآية:١٣.
(١٣) سورة الزخرف/ الآية:٢٣-٢٤.
(١٤) سورة المائدة/ الآية:١٨.
(١٥) سورة الزخرف/ الآية:٢٣-٢٤.
(١٦) سورة الزخرف/ الآية:٣١.
(١٧) فلسفتنا، ١٩، دار الكتاب الإسلامي، قم.

بل فيها حياة دينك

روي أن النبي صلى الله عليه وآله خرج يتمشى إلى قبا، فمرّ بحديقة فقال علي عليه السلام: ما أحسن هذه الحديقة!

فقال النبي صلى الله عليه وآله: حديقتك يا علي في الجنة أحسن منها. حتى مرّ بسبع حدائق على ذلك، ثم أهوى إليه فاعتنقه، فبكى وبكى علي عليه السلام ثم قال علي عليه السلام: ما الذي أبكاك يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله: أبكي لضغائن في صدور قوم لن تبدو لك إلا من بعدي.

قال: يا رسول الله كيف أصنع؟

قال: تصبر فإن لم تصبر تلق جهدا وشدة.

قال: يا رسول الله أتخاف فيها هلاك ديني؟

قال: بل فيها حياة دينك.

بحار الأنوار، للعلامة المجلسي ج:٤١ ص:٤

الحاج الشاعر
سمعو عبد الكريم الدرويش

سوريا/ حلب ـ اعتنق التشيع عام ١٩٦٨

ينابيع بداية كنت أقرأ في كتاب لبعض مؤلفي الشيعة حول إيمان أبي طالب، وقد لفت انتباهي إلى عدة نقاط ذكرها المؤلف في هذا الكتاب منها أنه قال:

والأسلم لعقيدة المؤمن أن يقصد بأن أبا طالب قد مات على الإيمان وذلك أقر لعين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بينما إخواننا السنة يعتقدون أن أبا طالب قد مات على الشرك.

هذه الكلمات قد أثارت في داخلي بعض الشكوك حول حقيقة إيمان أبي طالب وبالتالي حول حقيقة الشيعة؟!.

ثم سافرت إلى لبنان من أجل العمل عام ١٩٦٥م والتقيت بأحد الأخوة الشيعة وهو من مدينة الهرمل المدعو محمد صقر أبو هيثم، ودار بيني وبينه نقاش حول إيمان أبي طالب، وأحضر لي كتابين أحدهما للإمام كاشف الغطاء. ومن هنا أخذت أتابع قراءة كتب الشيعة وأرجع إلى المصادر من كتب السنة للمقارنة وإتباع الدليل.

وبعدها التقيت بالسيد الإمام موسى الصدر (بحسينية هونين الكائنة في منطقة النبعة) وذلك بمناسبة الإسراء والمعراج وبعد انتهائه من المحاضرة توجهت إليه ببعض الأسئلة التي كانت تهمني آنذاك ومن ضمن هذه الأسئلة.

فقلت للسيد موسى الصدر: هل علي (عليه السلام) أفضل أم الزهراء (عليها السلام)؟

فكان جوابه بأن علياً (عليه السلام) أفضل من الزهراء (عليها السلام) باعتبار أن الزهراء (عليها السلام) بضعة من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأما علي فنفس الرسول (بنص القرآن) بدليل آية المباهلة فأين البضعة من النفس؟

ثم التقيت بسماحة العلامة المجاهد الشيخ حسين معتوق من صير الغربية (جنوب لبنان) بمسجد يقع في حي الشياح حيث سألته عن بعض الأسئلة حول عقائد الشيعة.

والتقيت بفضيلة الشيخ محمود رضا فرحات من عرب صاليم في منطقة النبعة وقد قدم لي كتاب اسمه (الفصول المهمة في معرفة الأئمة) لابن الصباغ المالكي.

والذي جعلني أعلن عن تشيعي أسباب كثيرة منها: وجود التناقض في فكر المذاهب الأربعة.

وأذكر في هذا السياق أبياتاً لأبي العلاء المعري الشاعر الفيلسوف:

أجاز الشافعي فعال شيءٍ
وقال أبو حنيفة لا يجوز
فضلّ الشيب والشبان منا
وما اهتدت الفتاة ولا العجوز

ومن ثم قلت من أشعاري في أهل البيت (صلوات الله عليهم) بعد إعلاني التشيع راجياً هدايتي بربكم:

توسلت بالمختار ثم بحيدرٍ
وبفاطم ثم الحسينً وبالحسن
وبجاه زين العابدين وباقر
وبجعفر ذاك الذي أحيا السنن
وبكاظم ثم الرضا من بعده
ذاك الذي بأرض طوس قد سكن
ثم الجواد وابنه الهادي علي
سل سامراء العسكري عن الحسن
والقائم المهدي طال غيابه
عجل به يا رب قد طال الزمن

كما قلت في حب أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم):

تجاهلني قومي وليس بضائري
وليس يضرني قول العذول
ولست بتارك أبداً سبيلي
سبيل الرشد من قال وقيل
ولست مفضل النعمان يوماً
على أبناء حيدر والبتول
ولا باقي الثلاثة أو سواهم
وأرجو في مودتهم قبولي
أنا عتقاؤكم يا آل طه
وفي أبراجكم نبتت أصولي

وأخيراً أحب أن أقول: من أجل نشر فكر أهل البيت (عليهم السلام) يجب أن يكون الحوار البناء والبعد عن السب والشتم ومحاولة كتابة وقراءة التاريخ وإعادة النظر فيه من جديد بعد تمحيص وتدقيق وغربلة هو منهجنا في محاججاتنا ومناظراتنا مع الآخرين.. وهذا يحتاج إلى جهود كبيرة من قبل العلماء والمفكرين والمنصفين حيث أن الذين كتبوا التاريخ لم يكونوا معصومين لأن التاريخ كتب بضغط من رجال السياسة والمبغضين لأهل البيت (عليهم السلام) مما جعل أئمة المذاهب يختلفون، والدليل على ذاك وجود مذاهب كثيرة طمست عبر التاريخ ولم يبق منها سوى الخمسة ■

من (المتحولون) بتصرف

أضواء على كتاب..

الإسماعيلية

• خليل إبراهيم المشايخي
باحث ومحقق إسلامي

ينابيع هذا الكتاب سيصدر قريباً عن مؤسسة كاشف الغطاء في النجف الأشرف، من تأليف العلامة محمد رضا كاشف الغطاء، دراسة وتحقيق خليل إبراهيم المشايخي.

نبذة موجزة عن المؤلف

هو الشيخ محمد رضا بن الشيخ هادي بن الشيخ عباس بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي[١] الجناجي[٢]... ولد في النجف الأشرف سنة (١٣١٠هـ)[٣].

تربى تربية صالحة فاضلة لا تشوبها شائبة، ولا يكدر صفاءها وطهارتها شيء، فنما نمواً كريماً[٤].

فلا غرابة إن عد علماً من أعلام الدين والتقوى وبقية من بقايا السلف الصالح ومرجعاً من مراجع الشرع الشريف[٥].

كانت لقراءاته المتنوعة ومواصلة الحضور إلى مجالس أبحاث ثلة من علماء عصره أثر في جعله صاحب (آراء مبتكرة وآراء مستحدثة)[٦].

وقد تحدث عن وطنيته وكفاحه ضد المستعمرين كثير من العلماء والأدباء والشعراء منهم صالح الجعفري ومما قال عنه أنه: (أحد أركان النهضة العراقية ومؤسسيها)[٧] وافاه الأجل أثر مرض عضال عام (١٣٦٦هـ).

ترك لنا الشيخ الجليل قدس سره آثاراً علمية وأخرى أدبية منها:

١- حاشية على كفاية الأصول.

٢- الحق المبين فيمن يجب إتباعه من المرسلين.

٣- الرق في الإسلام.

٤- الشريف الرضي.
٥- الغيب والشهادة.
إضافة إلى الآثار المخطوطة.

الأهداف التي كان يرمي تحقيقها من هذا المؤلف

من يطالع المجلد الذي ضم كثير من آثار العلامة الشيخ محمد رضا رحمه الله التي كتبها بخط يده يجد أن أكثرها محاضرات كان يعدها الشيخ ليلقيها على طلبته الذين كانوا ينالون الاهتمام الأكبر في حياته، فلا غرابة حينما كان يواصل الليل بالنهار مدرساً وقارئاً ومؤلفاً ومصلحاً، ويمكن أن نستشف عرضه من هذا المؤلف ما يأتي:

١- إفادة طالبي العلم في معرفة الإسماعيلية وفرقها.

٢- بيان من أين نشأت الإسماعيلية؟ وما دعوتها؟

٣- بيان أسباب الخلاف بين المذهب الجعفري والفرق الإسماعيلية.

٤- بيان بشكل موجز وميسر ما القرامطة؟ وما آراؤهم؟ وما خطرهم على الإسلام؟

٥- إغناء ثقافة طلبته وإثراء معلوماتهم وجعلهم يلمون بما يجب أن يلم به طالب العلم من ثقافة متنوعة[٨].

يلقي هذا المؤلف الضوء على الحركة الإسماعيلية وتبرز صورتها واضحة جلية بشكل موجز وبلغة سهلة ممتعة يسهل فهمها...

مخطط يبين الفكر الإسماعيلي

تبدأ الرسالة بمقدمة تاريخية متناولة الإمام السادس جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر عليهما السلام ثم الحديث عن أولاده الذكور السبعة، ثم الوقوف على أكبر أبنائه إسماعيل ومناقشة الآراء في إمامته بعد والده عليه السلام، ومسألة خلوده أو موته، ثم الحديث عن آراء هذه الحركة بشكل موجز[٩].

ومن يطلع على هذا المؤلف سيلحظ أنه عبارة عن محاضرات كان يلقيها سماحته على طلبته ينمي معلوماتهم وينوع ثقافتهم ويأصلها...

لهذا تلمس وأنت تقرأ هذا المؤلف

الإيجاز في كثير من المباحث التي تناولها الشيخ قدس سره وكذلك ستلحظ بأن سماحة العلامة رحمه الله صرف جل همه للتعريف بالإسماعيلية وكيفية نشأتها ومقالاتها المتعددة في كل عصر، وكذلك إلقاء الضوء على آراء هذه الفرقة بإيجاز غير مخل وميسر يغري طالب العلم بطلب الزيادة والتتبع وصولاً إلى المعرفة لذلك حرصنا ما أمكننا على إبقاء ما جاء في هذا المؤلف كما تركه لنا سماحة العلامة قدس سره حتى يشعر القارئ بمذاقها ونكهتها، وكأنه يعيش عصر المؤلف.

ما هي الإسماعيلية؟

الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة سميت بهذا الاسم لأنها وقفت بسلسلة الإمامة عند الابن الأكبر للإمام السادس جعفر الصادق عليه السلام وهو إسماعيل، يمثل الإسماعيليون ثاني اكبر جماعة شيعية مسلمة، بعد الأثنا عشرية، ويتوزعون اليوم كأقليات دينية في أكثر من خمسة وعشرين بلداً من بلدان آسيا وإفريقيا وأوربا وأمريكا الشمالية[١٠].

أرسى الإسماعيليون الأوائل الأسس لجماعة إسماعيلية وحركة متميزة، غير إن الإسماعيلية المبكرة وهي التي امتدت حتى تأسيس الخلافة الفاطمية تبقى موضوعاً غامضاً، بسبب العمل السري الذي قام به القادة المركزيين المنحدرين من الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حيث بدأت الحركة الإسماعيلية تحقق نجاحاً بسبب الدعاة الذين بثوا الفكر الإسماعيلي في العراق وفارس وشرقي الجزيرة العربية واليمن، توج انتصار الإسماعيلية المبكرة، بإقامة الخلافة الفاطمية عام ٢٩٧هـ في شمال إفريقيا[١١].

وكانت في بادئ الأمر تعد إحدى الفرق الشيعية المعتدلة، ولكنها صارت مع تطور الزمن حركة عقلية.

لقد نشأت هذه الحركة كحركة دينية كما ذكرت بعض المصادر التاريخية سنة (١٤٨هـ) أثر وفاة الإمام الصادق[١٢] عليه السلام.

تذكر بعض المصادر أنها بدأت منذ عهد إسماعيل بن إبراهيم الخليل[١٣] عليه السلام... كما تؤكد أغلب المصادر أن إسماعيل توفي قبل وفاة أبيه عليه السلام بخمسة أعوام عام (١٤٣هـ - ٧٦٠م) ودفن في مقبرة بقيع الفرقد، لكن أتباع إسماعيل عليه السلام زعموا أنه لم يمت، وأنه كان حياً، وأنه رئي في أحد أسواق البصرة، وهو يضع يده على شخص مقعد فأبرأه من مرضه حالاً[١٤].

يذكر أصحاب الدعوة الإسماعيلية صفات الله تعالى، لأنهم يرون أن الله عز وجل لا يمكن أن يتناول العقل فهو جلت قدرته فوق متناول العقل الذي يكون عاجزاً عن إدراك كنه الله تعالى[١٥].

يسمون العقل: الحجاب أو المحل أو الصلة أو النفس أو الأول، فهم يرون أنه لا يقدر الإنسان مهما بلغ من علم ومعرفة أن يصل إلى معرفة ذات الله، وغاية ما يمكنه الوصول إليه هو معرفة العقل[١٦].

ومن عقائدهم أن النفس الإنسانية بحاجة إلى بلوغ العلم الكامل حتى تسمو إلى مرتبة العقل الكلي، وما أن

يصل الإنسان إلى هذه المنزلة حتى تبطل كل حركة، ويرون أن النفس الإنسانية لكي تبلغ السعادة يجب أن تتزود بالعلم والمعرفة ولا يمكن أن يتأتى للإنسان ذلك إلا بحلول العقل الكلي في إنسان هو النبي وفي الأئمة الذين يخلفونه[١٧].

والجنة في معتقد الإسماعيلية إن هي إلا رمز إلى حالة النفس التي حصلت العلم الكامل... أما الجحيم فهو رمز إلى حالة الجهالة، ويقولون أنه لم يحكم على النفس قط بالجحيم الأبدي[١٨].

تميزت الدعوة الإسماعيلية عن الشيعة الإمامية بأن قالت بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق (ت ١٤٣هـ - ٧٦٠م) والشيعة الاثنا عشرية تقول بإمامة أخيه موسى الكاظم عليه السلام.

وذكر النوبختي أن فرق الإسماعيلية أنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه عليه السلام بأنه مات بالعريض، ودفن بالبقيع سنة (١٣٣هـ)[١٩].

ويذكر المقريزي أن إسماعيل مات في حياة أبيه جعفر عليه السلام سنة (١٣٨هـ) وخلف من الأولاد (محمداً وعلياً وفاطمة)[٢٠].

ويؤيد الدكتور برنارت لويس موت إسماعيل في حياة أبيه جعفر الصادق[٢١] عليه السلام.

على أن الأغلبية لم يعترفوا بوفاته وآمنوا برجعته، أما الأقلية منهم فاعترفوا بموته، ونقلوا الإمامة إلى أبنائه من بعده... وقد انشقت هذه الأقلية على نفسها إلى فرقتين شكلتا أوائل الإسماعيليين، وقد أيدتا مزاعم إسماعيل بن جعفر وولده محمد بن جعفر، وقد تميزتا بقلة العدد في بداية الأمر، كما اتخذتا من الكوفة مركزاً لهما.

إحدى هذه الفرقتين، وقفت عند محمد بن إسماعيل وانتظرته مهدياً فقد رأت أن إسماعيل هو الإمام الحقيقي بعد الصادق عليه السلام وأنه سوف يرجع بالنتيجة في صورة المهدي وقد أنكرت وفاته فسميت بـ(الإسماعيلية الخالصة)، التي اعتقدت (إن الإمام الصادق عليه السلام كان قد أعلن وفاة ولده إسماعيل فقط لحمايته من اضطهاد العباسيين وملاحقتهم لانزعاجهم من نشاطاته السياسية)وقد أصبح هؤلاء فيما بعد يعرفون بـ(القرامطة).

أما المجموعة الأخرى، فقد عرفت بالمباركية، والتي اعترفت بوفاة إسماعيل خلال حياة والده، وأنهم اعترفوا بولده محمد في تلك الفترة إماماً لهم، واعتقدوا أن الإمام الصادق عليه السلام شخصياً كان قد نص على محمد، على إنه الخلف الحق لإسماعيل، عقب وفاة الأخير، كما اعتقدوا بأنه لم يعد بالإمكان نقل الإمامة من أخ إلى آخر بعد حالة الحسن والحسين[٢٢] عليهما السلام، كما قالوا إن الأئمة في عهد محمد بن إسماعيل صاروا مستورين، بعد أن كانوا ظاهرين، من الإمام علي عليه السلام وحتى إسماعيل، ولذلك فقد عرفوا بـ(السبعية) لقولهم (إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبوع والسماوات والأرضين)[٢٣] وهؤلاء هم الإسماعيلية الذين أسسوا الدولة الفاطمية[٢٤].

طروحات عامة

و تطرق المؤلف العلامة الشيخ محمدرضا رحمه الله إلى حركة القرامطة التي برزت كمنظمة سرية في جنوب العراق والبحرين واليمن والمغرب العربي وخراسان، ثم أخذت تتسع وتقوى حتى أصبحت قوة ضاربة تهدد أمن كل من جاورها بعد أن أصبحت لها كيانها السياسي... وكسبت الأنصار من فلاحي السواد والزنج والبدو والقبائل العربية في أطراف الصحراء العراقية السورية[٢٥].

لقد كانت حركة القرامطة تتجه إلى أساليب الإقناع العقلي والتأثير العلمي في المستجيبين عن طريق العلم والثقافة بعد أن أدركوا عدم استطاعتهم من الوقوف بوجه السلطة العباسية في العراق والحمدانية في الشام، لذلك عمدوا إلى أسلوب التهديد والضغط والسلب والنهب[٢٦]. فراحوا يهاجمون قوافل الحجيج لنهبها، وأخطر ما فعلوه هو أنهم سلبوا الحجر الأسود من الكعبة احتجاجاً على عدم مشاركتهم في الفوائد المتأتية من تجارة موسم الحج[٢٧].

ويرى البعض أن سلطة القرامطة إن هي إلا تطبيق عملي لآراء أفلاطون في جمهوريته المثالية[٢٨].

ونرى أن هذا الافتراض بعيد عن الصواب لأن القرامطة اعتمدوا على التهديد والقتل والسلب والنهب، وانتهكوا الحرمات، وقتلوا الحجاج ورموهم في بئر زمزم كما أكد ذلك الكتب التاريخية المعتبرة فأية مثالية أفلاطون هذه؟!!

إراقة دماء الأبرياء، وسلب أموال الناس ونهبها وانتهاك الحرمات يعد مثالية أفلاطونية؟!! أسرقة الحجر الأسود من البيت الحرام، وقتل المصلين فيه مثالية أفلاطونية؟!! أاستغلال الناس البسطاء استغلالاً بشعاً مثالية أفلاطونية؟!!

أمل أن نكون قد قدمت صورة واضحة موجزة مبسطة يسيرة عن الإسماعيلية وبعض الشيء عن القرامطة

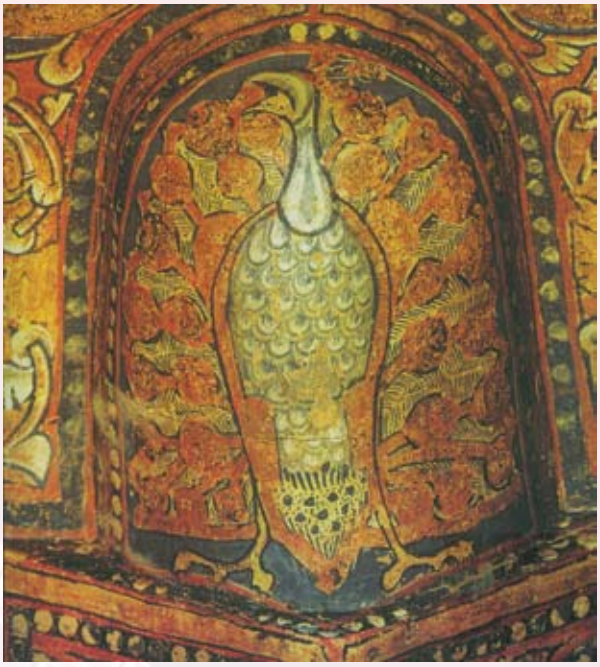

نموذج من الفن الإسماعيلي

مستلة قسم منها من المؤلف العلامة محمد رضا كاشف الغطاء قدس سره ومن المظان التاريخية المعتبرة

(١) طبقات الشيعة، آغا بزرك الطهراني، ٧٧٥-٧٧٦.
(٢) معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، محمد حرز الدين، ١٥١.
(٣) الأعلام، الزركلي، ١/ ٣٠٦-٣٠٧.
(٤) ماضي النجف وحاضرها، جعفر الشيخ باقر محبوبة، ٣/ ١٩١-١٩٢.
(٥) حياة الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء (مخطوط)، مقال الأستاذ جعفر الخليلي، ٦/ ٤٦٥.
(٦) الصوت وماهيته، الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء، تحقيق خليل إبراهيم المشايخي، ٢٤.
(٧) المصدر نفسه، ٣٠.
(٨) مجلة العرفان، ١٣٤٧، ١٦/ ٢٧٢.
(٩) ماضي النجف وحاضرها، جعفر الشيخ باقر محبوبه، ٣/ ١١٢.
(١٠) مختصر تاريخ الإسماعيلية، فرهاد دفتري، ص٧٨.
(١١) الإسماعيليون في العصر الوسيط، فرهاد دفتري، ص١٢٠.
(١٢) الإسماعيلية، محمد رضا كاشف الغطاء، تحقيق خليل المشايخي، ص١٤.
(١٣) أصول الإسماعيلية، ص١٠٤-١٠٥.
(١٤) الإسماعيلية، الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء، مقدمة المحقق.
(١٥) المصدر نفسه.
(١٦) المصدر نفسه.
(١٧) دائرة المعارف الإسلامية، ٢/ ١٨٦.
(١٨) المصدر نفسه، ٢/ ١٨٨.
(١٩) فرق الشيعة، النوبختي، ص٦٧.
(٢٠) اتعاظ الحنفا، المقريزي، تحقيق جمال الدين الشيال، ص١٦.
(٢١) أصول الإسماعيلية، ص١٠٧-١٠٨.
(٢٢) مختصر تاريخ الإسماعيليين، فرهاد دفتري، ص٧٩.
(٢٣) الشيعة والإسماعيلية، سليمان ظاهر، ص١١٢.
(٢٤) التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، الدكتور فاروق عمر، ص٢٩٨-٢٩٩، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي، ٢/ ٢٧١.
(٢٥) الإسماعيلية، الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء، ص٥٤.
(٢٦) القرامطة، عارف ثامر، ص١٤٨.
(٢٧) التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، ٣١٦.
(٢٨) الحركات السرية في الإسلام، الدكتور

الإمام الصادق[٤] عليه السلام في سطور

ولد عليه السلام في ١٧ ربيع الأول سنة ٨٠هـ وتوفي في ٢٥ شوال سنة ١٤٨هـ اثر استشهاده على يد عامل المنصور الدوانيقي على المدينة.

والده: الإمام الباقر عليه السلام.

والدته: أم فروة بنت القاسم الفقيه بن محمد بن أبي بكر.

أعقب من خمسة بنين:

١ـ إسماعيل الأكبر.
٢ـ موسى الكاظم عليه السلام.
٣ـ عبد الله الأفطح.
٤ـ إسحاق المؤتمن.
٥ـ علي العريضي.

تقلد الإمامة من بعده ولده الإمام موسى الكاظم عليه السلام الذي نصّ على إمامته رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع هذا فقد ظهرت فرق صرفت الإمامة إلى أخيه إسماعيل فكانت الإسماعيلية، أو إلى عبد الله فكانت الفطحية.

الحلقة الثانية:

العسل قديماً وحديثاً
استعمالاته الطبية

• أ. د. يسار محمد حسن الشماع
كلية الطب/ جامعة الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

سورة النحل: ٦٨ـ٦٩

الاستعمالات الطبية للعسل:

ينابيع ١ـ العسل مضاد حيوي لعلاج الجروح والحروق والقروح وبعض الأمراض الجلدية وكذلك القروح بسبب الرقود بوضع النوم لفترة طويلة كما يحدث أحياناً بعد إجراء بعض العمليات الكبرى أو عند المعوقين.

وهناك الكثير من البحوث الطبية والعلمية تثبت بأن العسل مضاد حيوي لا نريد الإطالة في سردها إلا أن العلماء يعللون ذلك إلى أن الخواص الفيزياوية والكيمياوية للعسل تجعله مضاداً حيوياً لقتل الجراثيم وأنواع كثيرة من بعض البكتريا المقاومة للمضادات الحيوية العادية وتعود الأسباب لكون أن العسل مضاد حيوي لما يلي:

أ ـ التركيز العالي للسكر في العسل.

يكون تركيز السكر من (٧٥-٨٠)٪ لأن الجراثيم لا يمكن أن تنمو في مثل هذا التركيز إلا أنها ممكن أن تنمو

في تركيز (١٧-٢٠)٪ من تراكيز السكريات.

ب - وجود مواد مانعة لنمو الجراثيم مثل الخمائر ومواد أخرى مثل الأنهبين والفلاونيد وفيتامين (C).

جـ- الماء الأوكسيجيني (بيروكسيد الهايدروجين) وهو أيضاً قاتل للجراثيم لأنه يمتلك خاصية مهمة لأنه يسحب من الجراثيم رطوبتها اللازمة لضرورة حياتها ونموها لذلك فإنها تموت في الجفاف وسبب ذلك هو أن الضغط الأزموزي للعسل أعلى بكثير مما هو عليه في خلايا أي من الجراثيم لذلك فإن العسل يجبر السوائل في تلك الخلايا إلى المرور عبر جدرانها الخلوية نحو العسل ولا توجد أي وسيلة لأي بكتريا لمقاومة هذه العملية سواء في دور النمو أو البلوغ للبكتريا.

٢ـ العسل والقلب والأوعية الدموية:

هناك بعض البحوث العلمية تشير إلى فوائد العسل في علاج الذبحة الصدرية، تصلب الشرايين وقصور الأوعية الدموية التاجية وذلك لوجود مادة الفلاوتيد في العسل والى تقوم بترسيبه الدهنيات في الدم وبذلك تخفض نسبة الكولسترول في الدم كذلك أن فيتامين (C) يمنع الأكسدة الضارة لبعض الدهون منخفظة الكثافة وبذلك يقلل من تصلب الشرايين هذا فضلاً على أن العسل يحتوي مواد موسعة للأوعية الدموية مثل الأسيتايل كولين ينفع في تقليل تصلب الشرايين.

وقد وجد أن نسبة الكلوكوز العالية في العسل تعوض عضلة القلب عما تفقده من طاقة بالأخص في حالة الذبحة الصدرية.

وهناك بحوث أخرى تشير إلى أن العسل يستعمل لعلاج فقر الدم وذلك لاحتواء العسل على حامض الفوليك والحديد وفيتامين (B_{12}) وهذه المواد مهمة جداً لأنها تساعد على زيادة مادة الهيموغلوبين وكذلك عدد كريات الدم الحمراء. كذلك فإن العسل مفيد جداً في معالجة النزف لاحتوائه على فيتامين (C) ومواد أخرى.

٣ـ العسل والجهاز التنفسي:

يستعمل محلول العسل بنسبة (١٠٪) كرشاش (رذاذ) حيث أن استنشاق العسل بهذه الطريقة يساعد في علاج حالات ضمور وجفاف الغشاء المخاطي للأنف والبلعوم.

ويستعمل العسل لعلاج نزلات الزكام والسعال لاحتوائه على فيتامين (C) وكذلك يستعمل لمعالجة التهاب اللوزتين والحنجرة لاحتوائه على مضادات حيوية

طروحات عامة

ويستعمل أيضاً
لخشونة الصوت وكذلك
في بعض حالات الربو القصبي
وتكون الوصفة المفيدة لذلك هي ماء الليمون المغلي مع العسل والنشأ أو الكلسرين كذلك فإن مضغ شمع العسل له فائدة كبيرة لنفس الغرض.

٤ـ العسل والجهاز الهضمي:

وجد أن العسل مفيد لإزالة حموضة المعدة لأنه يحتوي على المنغنيز الذي يجعل محيط المعدة قلوياً.

وهناك بحوث حديثة تشير إلى أن العسل يحتوي على مواد مضادة لمكرويات هليكوبكتريا بلوري التي تسبب قرحة المعدة والاثني عشري.

كذلك عولجت بعض حالات قرحة الأمعاء الغليضة بواسطة الحقن الشرجية التي تحتوي على محلول العسل. كذلك يستعمل العسل لمعالجة أمراض الكبد وأمراض الصفراء (اليرقان) وحصاة المرارة وتليف الكبد ويعود السبب لكون أن العسل يحتوي على نسبة عالية من السكر الآحادي سهل الهضم.

ولعلاج الإسهال المزمن أشارت إحدى البحوث إلى استعمال خليط العسل مع النشأ والليمون ملعقة طعام ثلاث مرات باليوم.

ولعلاج الإمساك وجد أن خلط العسل مع الحليب باستعمال ملعقة طعام مرتين باليوم ذو فائدة كبيرة.

وهناك استعمال مهم وتشخيصي حيث استعمل العسل مع مادة الباريوم الأبيض لفحص القناة الهضمية مع أشعة أكس حيث وجد أن الباريوم المخلوط بالعسل يبقى فترة أطول في المعدة حوالي (١-٢) ساعة أكثر مما لو كان الباريوم لوحده. فضلاً على أن المريض لا يشعر بالرائحة الكريهة للباريوم.

٥ـ العسل والجهاز البولي:

يستعمل العسل لمعالجة أمراض الكلى والتهاب المجاري البولية لسببين أولاً لأنه يحتوي على مضادات حيوية للميكرويات كما أسلفنا كذلك أن العسل يزيل الوذمة بسبب تجمع السوائل (تورم) بسبب الخاصية للعسل مع امتصاص السوائل والرطوبة.

وهنالك بعض البحوث تشير إلى استعمال العسل لمعالجة قرحة المثانة بسبب البلهارزيا المزمنة وذلك باستعمال محلول العسل بنسبة (٨٠٪) عن طريق الفم ومحلول العسل بنسبة (٥٠٪) عن طريق القسطرة موضعياً وجد الباحث أن نسبة الشفاء بهذه الطريقة هي (٦٢٪).

٦ـ العسل وداء السكري:

من المعروف أن سبب داء السكري هو نقص أو عدم وجود هرمون الأنسولين الذي يفرز من البنكرياس وبما أن الأنسولين يساعد على عملية حرق السكر من قبل خلايا وأنسجة الجسم لذا فإن فقدان الأنسولين يسبب زيادة نسبة السكر في الدم.

وقد وجد أن العسل مفيد جداً لداء السكر أولاً بسبب احتوائه على هورمون مشابه لهورمون الأنسولين أو أن بعض المواد موجودة في العسل تحفز خلايا

البنكرياس لزيادة فرز الأنسولين. وثانياً أن العسل يحتوي السكر الأحادي الفركتوز والكلوكوز ويرى بعض الباحثين أن استعمال العسل الذي في هذا المجال، حيث يفضل استعمال العسل الذي يحتوي على الفركتوز فقط وهذا النوع من العسل الصافي المسمى بعسل السنط لا يحتاج إلى الأنسولين في عملية هضم وتمثيل هذا السكر الأحادي سهل الهضم. إلا أن هذا العلاج يتطلب الحمية من المريض لكي تتم الفائدة في العلاج.

٧ـ العسل وطب الأسنان والفم:

وجد أن العسل مفيد لمنع تسوس الأسنان لأنه يحتوي على مادة الفلور إضافة لاحتوائه على نسبة عالية من السكر (٨٠٪) والتي تمنع نمو الجراثيم فضلاً على أن بيروكسيد الهدروجين مهم جداً للمحافظة على صحة الأسنان.

ويفضل أخذ العسل مع الشاي وليس العسل مع السكر حيث سكر الشاي قد يسوس الأسنان إضافة إلى أن الفلور الموجود في الشاي أصلاً قد يفقد مفعوله بسبب إضافة السكر للشاي.

كذلك يستعمل العسل موضعياً في حالة قلع الأسنان لأنه يحتوي على مادة البوركس والكلسرين وهي مواد مطهرة للفم والأسنان.

كذلك يستعمل العسل لعلاج التهاب مفصل الفك الروماتيزي بواسطة حقن محلول العسل الصافي بنسبة (٢٠٪) وقد أشارت البحوث إلى أن نسبة الشفاء بهذا العلاج (٧٠٪).

كذلك فإن العسل خير غذاء كطعام بعد العمليات الجراحية وبالأخص لحالة التهاب مفصل الفك الروماتيزي حيث لا يستطيع المريض تحريك فكيه لمضغ الطعام.

٨ـ العسل وأمراض العين:

وجد أن العسل مفيد لعلاج العشو الليلي بسبب نقص فيتامين (A) ومن أن العسل يحتوى على مادة الكروتين وهي المادة الأولية لفيتامين (A).

كذلك يستعمل العسل لعلاج إلتهاب قرنية العين والملتحمة والجفون ورمد العين ويستعمل على شكل مرهم للعين لأنه يحتوي وكما أسلفنا على مواد مضادة للجراثيم وفي هذا العلاج يجب مراعاة عدم غلي العسل قبل استعماله مع المرهم لأنه يفقد خمائره وقوته ضد المكروبات.

وهناك دراسة حول استعمال العسل لمعالجة فايروس الهريس الذي يصيب العين حيث وجدت نسبة الشفاء (٨٥٪).

٩ـ العسل والأطفال:

وجد أن العسل يمنع التبول الليلي عند الأطفال حيث أن بعض الأطفال المصابين بالتوتر العصبي وعادة مص الإبهام دائماً ما تكون لديهم عادة التبول الليلي بسبب عدم السيطرة على المثانة لتجمع السوائل فيها أثناء النوم وإن فائدة العسل في ذلك هو لأنه مساعد على امتصاص سوائل الجسم أثناء النوم وبذلك يقلل تجمع السوائل بالكلى ويقلل عملها أثناء

طروحات عامة

ا لنو م .

كذلك هنالك فائدة أخرى للعسل عند الأطفال وذلك في معالجة الديدان الخيطية وبالأخص عسل اليوكالبتوس لاحتوائه نسبة عالية من السكريات تمنع نمو الديدان في الأمعاء. فضلاً على أن العسل يزيد من شهية الطفل وكذلك يمنع فقر الدم عنده.

١٠ـ العسل والحمل:

وجد أن العسل يقلل من حالة التقيؤ والغثيان في الأيام الأولى من الحمل بسبب نقص فيتامين (B_6) أو بسبب الحالة النفسية للحامل وقد وجد أن تناول العسل للحامل في الأيام الأولى يقلل من هذه الحالات بسبب احتواء العسل على فيتامين (B_6) ومواد أخرى تقلل من حالة الغثيان.

كذلك فإن العسل مفيد جداً أثناء الولادة والطلق لأنه يساعد في انقباضات عضلة الرحم أثناء الولادة بسبب احتواء العسل على مادة البوستوكلاندين وأفضل علاج هو إعطاء محلول العسل بنسبة (٤٠٪) أو وضع شمع العسل في مهبل الحامل حيث يحفز عنق الرحم للولادة.

ويستعمل العسل أيضاً في حالة التسمم عند الحامل وكذلك حمى النفاس بعد الولادة لاحتواء العسل على مضادات حيوية ضد الجراثيم.

ونظراً لخطورة استعمال الأدوية الطبية بصورة عامة أثناء الحمل خوفاً من حدوث تشوهات الجنين لذا فإن استعمال العسل أثناء العسل خير علاج لذلك.

وهناك فائدة كبيرة للعسل عند الرضاعة حيث أنه يزيد من إدرار الثدي للبن ولكسب الطفل مقاومة طبيعية بواسطة اكتسابه أجسام مضادة للمكروبات. كذلك إن العسل مفيد للحامل لتقليل حالة الصداع والحساسية وتسوس الأسنان وأخيراً فإنه مفيد لجمال شعر السيدة الحامل حيث أن العسل يدخل في صناعة الكثير من مستحضرات التجميل.

وقد وجد علمياً أن الكيلو غرام الواحد من العسل يعادل أحد المواد التالية:

(١) كغم من العسل يساوي (٥، ٣) كغم من اللحوم.

أو (١٢) كغم من الخضروات أو (٥) كغم من الحليب أو (٢٦) موزة أو (٦٠) برتقالة أو (٥٠) بيضة.

١١ـ العسل والجهاز العصبي:

وجد أن العسل يخفف الاضطرابات النفسية والعصبية والصداع النصفي أو الوهن العصبي (الوساوس). كذلك يستعمل لاضطراب النوم حيث يؤخذ كأس ماء مذابة به ملعقة عسل قبل النوم فإنه يسبب نوماً هادئاً إلا أن زيادة تناول العسل قبل النوم قد يؤدي إلى نتائج عكسية حيث أنه يوتر الأعصاب ويسبب الأرق.

كذلك وجد أن العسل مفيد جداً لمعالجة حالات الإدمان على الكحول أو المورفين والتي تسبب هدم الكبد وتليفه وقد أعزي سبب مفعول العسل لاحتوائه على مجموعة فيتامين (B) حيث يقوم بأكسدة بقايا الكحول الموجودة

في الجسم بالنسبة للمدمنين.

كذلك فإن العسل مفيد جداً لمعالجة بعض حالات العقم حيث أنه يحتوي نسبة عالية من الفركتوز حيث يعتبر عامل رئيسي ومهم لحيوية الحيوانات المنوية للإنسان لأداء وظيفة الإخصاب.

وأخيراً هنالك بحوث كثيرة وحديثة لمحاولة استعمال العسل لمعالجة بعض السرطانات حيث اكتشف مؤخراً أن العسل يحتوى على عنصر الراديم المشع مع العلاج الإشعاعي كذلك يحتوى على مواد لها علاقة بانقسام الخلية وهذا دليل على أن نسبة حدوث السرطان عند النحالين قليلة جداً ■

المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- تربية النحل ومنتجات الخلية في التغذية والعلاج، عارف سالم حمزة، منشورات دار علاء الدين.

٣- عسل النحل الطبيعي غذاء كافي ودواء شافي، منتصر صباح مهدي الشمخي.

٤- عسل النحل في الطب القديم والحديث، محمد رضا الحسيني، ١٩٩٩م.

٥- عليكم بالشفاءين العسل والقرآن، الدكتور محمد كمال عبد العزيز، الأستاذ بجامعة الأزهر.

٦- التداوي بعسل النحل، أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع.

٧- أسرار العلاج بالعسل - غذاء ودواء وجمال، صوفي لاكوست، ترجمة عبيد منذر وليديا طانيوس.

٨- العلاج بعسل النحل، تأليف الدكتور ن. يويرميش، ترجمة الدكتور محمد الحلوجي.

٩- التداوي بعسل النحل، عبد المنعم قنديل.

١٠- خير الدواء في الثوم والبصل والعسل والحبة السوداء، تأليف د. محمد محمود عبدالله.

١١- صيدلية النحل القرآنية، تأليف د. محمد محمود عبد الله.

١٢- مكارم الأخلاق، الشيخ رضي الدين الطبرسي.

روائع الحكم

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

كانَ لي فيما مَضى أخٌ في الله، وكانَ يعظّمهُ في عيني صغرُ الدنيا في عينِه، وكانَ خارجاً من سلطانِ بطنِه فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثرُ إذا وَجد، وكانَ أكثر دهرِه صامتاً. فإن قالَ بدّ القائلين ونقع غليل السائلين. وكانَ ضعيفاً مستضعفاً. فإنْ جاءَ الجدُّ فهو ليثُ غابٍ وصِلُّ وادٍ، لا يدلي بحجةٍ حتّى يأتيَ قاضياً. وكان لا يلومُ أحداً على ما يجدُ العذر في مثلِه حتّى يسمعَ اعتذارَه، وكانَ لا يشكو وَجعاً إلا عند برئِهِ. وكان يفعلُ ما يقولُ ولا يقولُ ما لا يفعل. وكانَ إذا غلب على الكلام لم يغلبْ على السكوت. وكانَ على مَا يسمع أحرص منه على أنْ يتكلم. وكانَ إذا بدهه أمران نظرَ أيهما أقربُ إلى الهوى فخالفه. فعليكم بهذهِ الخلائِق فالزموُها وتنافسُوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلَموا أن أخذَ القليل خيرٌ من تركِ الكثير.

نهج البلاغة ج:٤ ص:٦٩

التطور العمودي في اللغة

• م. م. عبد علي حسن ناعور
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

مدخل:

ينابيع من الأمور الثابتة علمياً أن كل لغة حية تتطور وتتبدل ولا تكف عن هذا التطور والتبدل إلا عندما تتحجر وتموت، ويحدث ذلك عادة عندما ينقرض متكلموها وتبقى محفوظة في السجلات التاريخية بدلاً من أن تكون وسيلة حية من وسائل التفاهم ونقل الأفكار. فالتطور إذاً أمر ملازم للغة الحية ويصدق هذا على اللغات كافة. وقد يكون هذا التطور أمر مرغوب فيه إذ أنه يفصل متكلمي اللغة إلى جماعات يصعب التفاهم فيما بينها، ومن هذا المنطلق بالذات ذهب بعض الناس إلى تسمية اللهجات العامية بالتفسخ، إلا أن التطور أمر حتمي شئنا ذلك أم أبينا.

ويكون التطور اللغوي في الغالب على شكلين: تطور أفقي وتطور عمودي. والمقصود بالتطور الأفقي تمايز اللغة من فرد لآخر ومن مجموعة من الناس إلى أخرى، ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى. فالفرد عندما يعبر عن نفسه بالكلام يعكس نفسه إلى حد كبير ويميل إلى استعمال طرائق معينة ومفردات معينة للدلالة على مكنونات نفسه وكذلك الجماعة. فاللغة تميل للتمايز من مكان لآخر، ومن هنا تولد اللهجات الخاصة ببلدان معينة بل وفي كثير من الأحيان بقرى معينة.

وتختلف اللغة أيضاً من طبقة اجتماعية إلى أخرى، فالفصحى عادة يميل إليها المثقفون والموسرون، واللهجات العامية تميل إليها الطبقات التي هي

أدنى في المستوى الاجتماعي. (فالتطور الدلالي في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان. فمعظم ظواهره يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص)[1]. ونحن نعلم أن اللغات البشرية جميعاً على عظم اختلافها واختلاف العقليات والنفسيات الكامنة من ورائها، تحتفظ فيما بينها بقدر غير هين من الوشائج البشرية العامة، ويبدو ذلك في تقارب كثير من النبرات، فنبرة التقرير ونبرة الاستفهام ونبرة التعجب ونبرة الاحتقار ونبرة السخرية وغير ذلك مما يظهر على صوت المتكلم من جميع اللغات.

التطور العمودي:

التطور العمودي يقصد به التطور الزمني أي تبدل اللغة بأكملها بفصيحها وعاميتها عبر الزمن، فعلى مرور الأيام تستوعب اللغة تعبيرات جديدة وأصولاً جديدة ومفردات تلبي الحاجات المتجددة. كما أنها تنقرض في أصواتها وحتى في نحوها وصرفها إلا أن الملاحظ أن اللغة لا تتبدل بين عشية وضحاها بل تحتاج إلى مئات من السنين لكي يحدث فيها تبدل ملحوظ له بعض الأهمية اللغوية. وهذا يعني أن في اللغة عناصر ثبات إلى جانب العوامل المساعدة على التطور.

(يعتقد بعض اللغويين أن العامل الأساسي للثبات في اللغة هو وجود خط يمثل الشكل المثالي للغة يتناثر متكلمو اللغة حوله فبعضهم يقترب منه كثيراً والبعض الآخر يبتعد به نسبياً، إلا أن الجميع يحاول الوصول إليه، وهم بذلك يتخذونه حكماً ودرعاً ضد الشطط والانزلاق.

والتطور الزمني هو التغير الذي يطرأ على الخط المعنوي وطبقاً لذلك يختلف الأفراد والجماعات في استعمالهم للغة)[2]. ويمكن تقسيم مسالك هذا التطور إلى ثلاثة أقسام هي: التطور الصوتي، وتطور المفردات، وتأثر اللغة باللغات الأخرى.

١ـ التطور الصوتي:

يختلف اللغويون في تحديد العوامل التي تؤدي إلى تطور أصوات اللغة وتبدلها ولكنهم أقروا بأن التغير الصوتي في المراحل التاريخية للغة ظاهرة معروفة، (فالتغيرات الصوتية الملاحظة على المراحل المتأخرة من اللغة كانت بذورها موجودة في المراحل القديمة منها، وللقوانين الصوتية صفة قريبة من قوانين العلوم الرياضية من حيث المعادلات التي قلما تكون عرضة للخطأ إذا كانت الأسس المبنية عليها صحيحة)[3]، هذا من حيث ارتباط هذا التطور بالمراحل التاريخية: ولكننا لا ننكر أن هذا التطور يسير ببطئ وتدرج (فاختلاف الأصوات في جيل عما كانت عليه في الجيل السابق له مباشرة لا يكاد يتبينه إلا الراسخون في ملاحظة هذه الشؤون، ولكنه يظهر بصورة جلية إذا وازنا بين حالتيهما في جيلين تفصلهما مئات السنين. فلغتنا لا تكاد تختلف في أصواتها عن لغة آبائنا المباشرين، ولكنها تختلف اختلافاً بيناً في هذه الناحية عما كانت عليه في ألسنة أجدادنا

طروحات عامة

في صدر العصور الحديثة)[٤]. ومهما يكن من شيء فإن التطور الصوتي قلما يكن مسببا عن تطور آخر وإنما في الغالب يكون هو المسبب للتطورات الأخرى في المفردات وفي التراكيب اللغوية، وهذا لا يعني أن التطور الصوتي غير مسبب أبداً إلا أنه يعني أن الأسباب التي ينتج عنها التطور الصوتي غالباً ما تكون غير لغوية، أي اجتماعية، وفكرية، ونفسية.

(فمن ذلك ما حدث في اللغة العربية بصدد أصوات الجيم والثاء والذال والظاء والقاف، فقد أصبحت ثقيلة على أعضاء النطق في كثير من البلاد العربية، وأصبح لفظها على الوجه الصحيح يتطلب تلقيناً خاصاً ومجهوداً إرادياً وقيادة مقصودة لحركات المخارج. ولعدم ملاءمتها مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق في هذه البلاد أخذت تتحول منذ أمد بعيد إلى أصوات أخرى قريبة منها)[٥] فصوت الجيم مثلاً نلاحظ فيه فرقاً في الاستعمال بين المصري والعراقي، بل هناك فرق بين العراقي الحضري وبين العراقي من أبناء الريف. والثاء في مصر تحولت إلى تاء فيقولون: توب في (ثوب) مثلاً. وفي اليمن ينطقون القاف جيماً مصرية ويكتبونها قافاً فصيحة، وهكذا في اختلاف متعدد بتعدد البلاد العربية ومدنها وقراها.

(أما العوامل التي تؤدي إلى تطورات الأصوات فيرجع أهمها إلى الأمور الآتية:

١- التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق في بنيتها واستعدادها.

٢- اختلاف أعضاء النطق في بنيتها واستعدادها باختلاف الشعوب.

٣- الأخطاء السمعية.

٤- تفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض.

٥- موقع الصوت في الكلمة.

٦- تناوب الأصوات وحلول بعضها مع بعض.

٧- أثر الأمور النفسية والاجتماعية والجغرافية.

٨- أثر العوامل الأدبية)[٦].

٢- تطور المفردات:

إن تطور المفردات أكثر نواح التطور اللغوي وضوحاً بالنسبة لمتكلمي اللغة والباحثين فيها على حد سواء وقد يكون مرد ذلك إلى أن استعمال كلمة معينة وانتخابها من بين كلمات عدة يكون في الغالب أمراً شعورياً محسوساً، في حين يكون تبدل الأصوات أو النحو في الغالب أمراً لا شعورياً بالنسبة للمتكلم، فضلاً عن أنه قد استغرق وقتاً طويلاً نسبياً لكي يصل إلى وضعه الحالي. كما أن تبدل المفردات يمكن أن نعيد أسبابها إلى أكثر من تبدل الأصوات والنحو، وذلك لأن المفردات اللغوية تعكس إلى حد كبير تطور الحاجات الاجتماعية والمادية لمتكلمي اللغة، وتعكس أيضاً إلى حد ما المرحلة الحضارية التي يمرون بها، وتتأثر إضافة إلى ذلك بعلاقة متكلمي اللغة بمتكلمي اللغات الأخرى أو بمتكلمي لهجات

اللغة نفسها.

لقد عولجت هذه المسألة بأساليب مختلفة وكثر تعداد العوامل بحيث ترك الأمر للباحث نفسه في اختيار الأسلوب الملائم لتفكيره وذوقه، لذلك سنركز على العوامل النابعة من داخل المحيط اللغوي والاجتماعي لمتكلمي اللغة، ومنها ما يؤدي بالمتكلم إلى خلق تعبيرات جديدة من عناصر لغوية مستعملة في اللغة نفسها ويحدث ذلك عندما يواجه متكلمو اللغة حاجة معينة ولا يجدون لها مقابلاً في ذخيرة المفردات الموروثة (ولذلك يقومون بتركيب تعبير يفي بالغرض. ومن الأمثلة القديمة لذلك خلق التعبير (رأسمال) وحديثاً (لاسلكي) و(مذياع) و(هاتف)، وغير ذلك)[٧]. إلا أنه يبقى من الصعب التنبؤ فيما إذا كانت هذه التراكيب سوف تكتب لها الحياة أم لا. فمنها ما تندثر بسرعة ومنها ما تبقى ويشيع استعمالها وتصبح من المفردات الحية للغة.

ومنها أيضاً ما يؤدي إلى تبدل الشكل الصوتي للكلمة من خلال زيادة أصوات ومثال ذلك استعمال الكلمة (رجّال) بدلاً من (رجل) في اللهجة العراقية، وقد يكون لنقصان بعض أصوات الكلمة، ومثال ذلك استعمال (شي) بدلاً من (شيء)، ومثال استعمال (عليش) بدلاً من (على أي شيء)، و(زميج) بدلاً من (مزيج) في اللهجة الكريتية[٨].

ومن الأسباب التي يذكرها كثير من اللغويين على أنها أسباب تؤدي إلى اندثار بعض الكلمات هو أن تلك الكلمات مشابهة في معناها أو شكلها اللفظي لبعض الكلمات الممنوعة. وهذا رأي يجانب الواقع لأن السبب الحقيقي لاندثار المفردات هو زوال الحاجة إليها بسبب انعدام الحاجة إلى ما ترمز إليه. فالمعجم العربي مليء بالمفردات التي كانت مستعملة في الأزمنة القديمة ولكنها لم تعد تعني شيئاً بالنسبة لنا. وعلى النطاق المحلي نلاحظ أن تبدل طريقة معيشة عائلة أو مجموعة من العوائل من بدوية إلى قروية ومن قروية إلى حضرية يؤدي إلى اندثار مجموعات كبيرة من الكلمات ولاسيما في كلام الجيل الذي لم يشهد مرحلة الانتقال هذه.

٣ـ تأثر اللغة باللغات الأخرى:

عندما تحتك الحضارات عن طريق الحرب أو التجارة أو تبادل البعثات العلمية فإنها تتبادل كثيراً من أفكارها ووسائل عيشها، ويصاحب ذلك تدفق مجموعة من المفردات من لغة إلى أخرى، فعندما احتك الأوربيون بالعرب والمسلمين عن طريق الأندلس وعن طريق الحروب الصليبية، وعن طريق التجارة، تدفقت مفردات عربية إلى اللغات الأوروبية.

(فتأثير اللغة العربية في اللغات الشرقية ولاسيما الفارسية والتركية قديم واضح، وتعود أوليته إلى الفتح ودخول الأمم الشرقية في دين الله... وكانت العربية لغة العبادة العلم والأدب والتأليف)[٩].

وهذا التأثير يظهر الآن واضحاً في كثير من المفردات الفارسية والتركية

طروحات عامة

على الرغم من اختلاف النطق في بعض الحروف العربية. (إن عشرة حروف عربية لا توجد في التركية فيستعيضون عنها بالصوت القريب لها، وهذه الحروف هي الثاء والحاء والخاء والذال والطاء والصاد والضاد والظاء والعين والقاف)[١٠].

وقد تتأثر قواعد وتركيب الكلمات بعناصر أجنبية تصبح في المدى البعيد عميقة الأثر على الصرف اللغوي وعلى التراكيب المألوفة ومثال ذلك الإضافة النهائية (جي) التي اقتبسناها من اللغة التركية فنقول (عربنجي) و(كهوجي)، إذ أن الإضافة النهائية هذه قد حلت تقريباً محل ياء النسبة فيما يتعلق بالدلالة على تخصص الأشخاص في مجال عملهم.

وبقدر ما يؤثر النظام الصوتي للغة على ما تقتبسه تلك اللغة من كلمات إلا أنه بدوره يتأثر بها بدرجات متفاوتة، فعندما تعرضت اللغة العربية إلى فيض من الكلمات الأجنبية مثل الإنكليزية والفرنسية والفارسية والتركية، استجدت على النظام الصوتي العربي وحدات صوتية مثل (ج) و(ب) و(ف).

على أن الكلمات المفترضة يندر أن تحافظ على شكلها ومعناها وذلك لأنها عندما تجري إلى ألسنة متكلمي اللغة المستعيرة تخضع في المدى البعيد إلى تبدلات تتناسب مع أصول اللغة المفترضة. فقد يتبدل شكلها أو قد يتبدل معناها وفي كثير من الحالات يتبدل الاثنان معاً ■

(١) علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص٣١٧.
(٢) ديناميكية التطور التاريخي للغة، د. خليل الحماش، مجلة الأقلام، العدد ١١ تموز، ١٩٦٧، ص٢١.
(٣) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين، ص٤١.
(٤) علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص٢٨٥-٢٨٦.
(٥) م. ن، ص٢٩١.
(٦) م. ن، ص٢٨٩.
(٧) صلة العربية بين المولود الجديد والمصطلح الفني، د. إبراهيم السامرائي، مجلة المعلم الجديد، ص٢٠٧.
(٨) ينظر: محاضرات في اللغة، عبد الرحمن أيوب، ١٧١/١.
(٩) تأثير اللغة العربية في اللغة التركية، د. حسين علي محفوظ، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، الدورة الحادية والأربعون، ص٣٦٩.
(١٠) معجم الألفاظ التركية، محمد الفاسي، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ص٢٢٣.

المصادر:

١- علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ط٧، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د. ت.
٢- منهج البحث اللغوي في التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
٣- محاضرات في اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦م.
٤- مجلة الأقلام، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، تموز ١٩٦٧م.
٥- مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، الدورة (٤١).
٦- مجلة المعلم الجديد، المجلد ٢٢٩، ج٤، نيسان ١٩٥٩م.

الكولسترول.. وصحة الإنسان

• م. م. نبيل سليم تويج
كلية العلوم/ جامعة الكوفة

ينابيع الكولسترول هو أحد أنواع الدهون التي يحتاجها الجسم لبناء الصحة السليمة. ويتم نقل الكولسترول من الكبد إلى أنسجة الجسم المختلفة عبر الدم بواسطة البروتينات الدهنية Lipoproteins حيث تأخذ الخلايا حاجتها منه و تظل الزيادة في مجرى الدم تلتقطها بروتينات دهنية أخرى لإعادتها إلى الكبد. والسبب في هذه الطريقة للنقل هو أن الكولسترول مركب دهني والدم وسط مائي ولهذا فهما لا يمتزجان (كالزيت والماء). ويوجد أنواع معينة من البروتينات الدهنية التي تحتوي على الكولسترول

في الدم، وكل منها يؤثر على مخاطر أمراض القلب بطرق مختلفة.

❖ البروتينات الدهنية منخفضة الكثافة Low-density lipoproteins أو LDLs : وهي الكولسترول الرديء أو السيئ أو الضار. هذا النوع من البروتين يحتوي على ٢٥٪ بروتين و٤٥٪ كولسترول اذ الجزء الأكبر من الكولسترول في الدم يكون محمولا بواسطة البروتينات الدهنية منخفضة الكثافة . وهذا النوع من الكولسترول يعتبر المصدر الأساسي لترسب الكولسترول في الشرايين وضيقها وانسدادها . وبهذا ، فكلما ارتفع تركيز كولسترول البروتينات الدهنية منخفضة الكثافة LDL-cholesterol في الدم كلما ارتفعت مخاطر الإصابة بأمراض القلب التاجية coronary heart disease أو CHD .

❖ البروتينات الدهنية عالية الكثافة High-density lipoproteins أو HDLs : الكولسترول الجيد أو المفيد هذا النوع من البروتين يحتوي على حوالي ٥٠٪ بروتين و٢٠٪ كولسترول. . البروتينات الدهنية عالية الكثافة تحمل الكولسترول في الدم وتنقله من أجزاء الجسم المختلفة إلى الكبد ليتم التخلص منه إلى خارج الجسم . وبهذا فإن البروتينات الدهنية عالية الكثافة HDLs تساعد الجسم في التخلص من الكولسترول وتمنع ترسبه في جدران الشرايين . وإن كان تركيز كولسترول البروتينات الدهنية عالية الكثافة HDL-cholesterol أقل من ٣٥ ملغ / ديسيلتر mg/dL ، فإنك تكون معرضا لمخاطر الإصابة بأمراض القلب التاجية . فكلما ارتفع تركيز كولسترول البروتينات الدهنية عالية الكثافة كلما كان ذلك أفضل. ومتوسط تركيزه في الرجال ٤٥ ملغ / ديسيلتر ، وفي النساء ٥٥ ملغ / ديسيلتر.

❖ الدهنيات الثلاثية Triglycerides: عبارة عن نوع من الدهون المحمولة في تيار الدم. فمعظم الدهون الموجودة في أجسامنا تكون على هيئة دهنيات ثلاثية وتخزن في الأنسجة الدهنية ، وتكون نسبة قليلة منها في تيار الدم. ويجدر الإشارة هنا إلى أن ارتفاع تركيز الدهنيات الثلاثية في الدم لوحدها لا يؤدي إلى تصلب الشرايين. ولكن البروتينات الدهنية الغنية بالدهنيات الثلاثية تحتوي أيضا على الكولسترول، والذي يسبب تصلب الشرايين عند بعض الأشخاص المصابين بارتفاع تركيز الدهنيات الثلاثية. إذا ، ارتفاع تركيز الدهنيات الثلاثية ربما يكون علامة لوجود مشكلة في البروتينات الدهنية من الممكن أن تساهم في أمراض القلب التاجية. إذا ليست كل أنواع الكولسترول ضارة.

وظائف الكولسترول:

بالرغم من السمعة السيئة المرتبطة بالكولسترول، إلا أن له وظائف هامة جدا في الجسم، من أهمها نذكر ما يلي:

١- يدخل في تركيب جدران خلايا

الجسم، حيث يكون بمثابة الدعامة الأساسية لها.

٢- يعتبر النواة الأولية التي ينطلق منها التصنيع الحيوي للهرمونات الستيرويدية مثل الكورتيزون وهرمونات الذكورة والأنوثة.

٣- يدخل في تركيب العصارة الصفراوية التي تتجمع في المرارة لكي تساعد في عملية الهضم.

٤- يتواجد بكميات كبيرة في طبقات الجلد، مما يعطي الجلد مناعة ضد كثير من العوامل الطبيعية.

٥- يتواجد الكولسترول بكميات كبيرة في خلايا الدماغ مما يجعلها مخزناً للذاكرة والمعرفة.

٦- الكولسترول أحد أهم المواد الداخلة في تركيب الغلاف المحيط بالأعصاب والذي يحافظ عليها وعلى الرسائل الكهربائية التي تنتقل داخلها. لذلك نرى أهمية الكولسترول وحاجة الجسم له ولكن يجب أن يتواجد في الدم بنسب محددة بدون زيادة أو نقصان.

مصادر الكولسترول:

الكولسترول أحد المواد الدهنية الطبيعية وهو عنصر أساسي في الجسم، يتواجد طبيعياً في المخ والأعصاب والكبد والدم والعصارة الصفراوية. يحصل الجسم على الكولسترول من مصدرين:

١- مصدر داخلي حوالي ٨٠٪ من إجمالي الكولسترول يتم تصنيعه في الكبد.

٢- مصدر خارجي أما الـ ٢٠٪ الباقية فإنها تأتي جاهزة من الطعام الذي نتناوله يوميا، خصوصا المصادر الحيوانية. (الزبدة، السمن الحيواني، صفار البيض).

العوامل المسببة لارتفاع نسبة الكولسترول في الدم:

أ- هناك أمراض عضوية مزمنة تؤدي إلى ارتفاع مستوى الكولسترول، أحيانا بمعدلات خطيرة على الصحة منها:

- أمراض الكبد المزمنة المصحوبة بيرقان (صفار إنسدادي).
- تشمع الكبد الأولي والثانوي.
- بعد عملية إزالة البنكرياس.
- التهاب البنكرياس المزمن.
- داء السكري البولي المزمن.
- المتلازمة الكلائية Nephritic Syndrome مرض كلوي مزمن يؤدي الى تورم الجسم وفقدان كبير في بروتينات الجسم في البول.
- قصور وظائف الغدة الذرقية الموجودة في الرقبة.
- السمنة المفرطة.

ب - الاستعداد الوراثي الأسري وهو استعداد مكتسب من الوالدين ويشيع بين أفراد الأسرة مثل:

- مرض فون جيرك وينتج من تراكم مفرط للجلايكوجين داخل خلايا الكبد.
- ارتفاع البروتينات الدهنية الألفوية في الدم، يبدأ ظهور المرض في سن الطفولة.
- ارتفاع الكولسترول الوراثي،

طروحات عامة

يبدأ ظهور المرض في سن الطفولة.

ج ـ عوامل أساسية أخرى وهي:

❖ قلة النشاط: عدم القيام بالتمارين الرياضية بشكل دوري يساعد علي تقليل نسبة الكولسترول (HDL) العالي الكثافة وهو نوع كولسترول هام للجسم كما ذكرنا.

❖ البدانة: زيادة وزن الجسم بشكل كبير يزيد من نسبة ثلاثي الجلسرين في الجسم ويخفض من نسبة (HDL) ويزيد من نسبة البروتين المنخفض الكثافة جداً .

❖ النظام الغذائي: يتوفر الكولسترول في أنواع الأطعمة الحيوانية مثل (اللحوم، البيض والجبن) تناول الأطعمة الغنية بالدهون والعالية الكولسترول تساهم في زيادة نسبة الكولسترول في الدم. تزيد أيضاً الدهون المشبعة من نسبة الكولسترول والدهون غير المشبعة المتعددة تخفض من نسبة الكولسترول في الدم ولكن قد تساعد على الأكسدة مع مرور الوقت تعمل الأكسدة علي بناء كتل داخل الشرايين. أما الدهون الأحادية غير المشبعة تخفض من نسبة الكولسترول ولا تساعد على حدوث الأكسدة.

❖ التدخين: تدخين السجائر يعمل على تدمير جدار الأوعية الدموية في الجسم ويجعلها أكثر عرضة لتكوين كتل دهنية. كما يساعد التدخين أيضاً علي خفض نسبة (HDL) في الدم إلي ١٥٪.

❖ ضغط الدم المرتفع: يقوم ضغط الدم المرتفع بتدمير جدار الشرايين، وبالتالي يكون الجسم أكثر عرضة لتراكم الكتل الدهنية على جدار الشرايين.

❖ السكر: يظهر هذا النوع من الداء السكري غالباً بعد سن الأربعين. ينتج عن هذه الحالة تجمع وتزايد لنسبة السكر في الدم. ارتفاع نسبة السكر بشكل مزمن قد يؤدي إلي حدوث ضيق في الشرايين.

المستوى الأمثل للكولسترول:

إذا كنت في صحة جيدة: إجمالي نسبة الكولسترول: أقل من ٢٠٠ ملجم في كل عُشر لتر (mg/dl).

وإجمالي ثلاثي الجلسريد: أقل من ٢٠٠ ملجم/عُشر لتر (mg/dl).

ومستوى (HDL): أكثر من ٤٥ ملجم/عُشر لتر (mg/dl).

ومستوى (LDL): أقل من ١٣٠ ملجم/عُشر لتر (mg/dl).

الأعراض:

لا يوجد أعراض لارتفاع الكولسترول في الدم وقد لا يتم اكتشافه لعدة سنوات أو يتم اكتشافه بعد الإصابة بأمراض القلب التاجية:

❖ الذبحة الصدرية أو خناق الصدر angina pectoris.

❖ جلطة القلب أو احتشاء العضلة القلبية myocardial infarction.

فعند تراكم البروتينات الدهنية منخفضة الكثافة LDL (الكولسترول

الضار) على السطح الداخلي للشرايين ينتج عن ذلك تكون لطخة أو بقعة plaque . تكون هذه اللطخة يؤدي إلى ازدياد سمك الشريان ، وتصلبه ، وتقل مرونته مما يؤدي إلى قصور في تيار الدم وبالتالي يسبب أمراض القلب التاجية.

يتم تراكم الكولسترول ببطء وخلال سنوات عديدة . ولأن ارتفاع الكولسترول ليس له أعراض فاحتمال اكتشافه ضئيل وعادة يتم اكتشافه بعد الإصابة بأمراض القلب التاجية.

التشخيص:

يستطيع الطبيب معرفة المستوى الكلي للكولسترول بواسطة اختبار دم بسيط. والمستوى الكلي للكولسترول يتضمن وبشكل كبير على مستوى البروتينات الدهنية منخفضة الكثافة LDL والبروتينات الدهنية عالية الكثافة HDL.

العلاج:

تغيير نظام الحياة هي الخطوة الأولى لتحسين مستوي الكولسترول وثلاثي الجلسرين في الدم. تتضمن هذه الخطوات نظام التغذية السليم، القيام بالتمارين الرياضية وعدم التدخين. لكن في حالة تغيير نظام الحياة، واتباع هذه التعليمات ومازالت نسبة الكولسترول مرتفعة، فسوف تحتاج إلي علاج دوائي تحت إشراف الطبيب ■

لولا علي(٤) لم يعرف المؤمنون

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما قدم علي على رسول الله ﷺ بفتح خيبر قال له رسول الله ﷺ : لولا أن تقول فيك طائفة من أمتي ما قالت النصارى في المسيح ابن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ إلا أخذوا التراب من تحت قدميك، ومن فضل طهورك فاستشفوا به. ولكن حسبك بأن تكون مني وأنا منك، ترثني وأرثك، وأنك مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأنك تبرئ ذمتي، وتقاتل على سنتي وأنك غداً في الآخرة أقرب الناس مني، وأنك غداً على الحوض خليفتي، وأنك أول من يرد الحوض عليّ، وأنك أول من يكسى معي، وأنك أول داخل الجنة من أمتي، وأن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي اشفع لهم، ويكونون غداً في الجنة جيراني، وأن حربك حربي وأن سلمك سلمي وأن سرك سري وأن علانيتك علانيتي، وأن سريرة صدرك كسريرتي، وأن ولدك ولدي، وأنك تنجز عداتي وأنك على الحق ليس من الأمة أحد يعدلك ندي، وأن الحق على لسانك وفي قلبك وبين عينيك، وأن الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وأنه لم يرد على الحوض مبغض لك ولن يغيب محب لك غداً عني حتى يرد الحوض معك يا علي. قال: فخر عليّ ساجداً ثم قال: الحمد لله الذي أنعم عليّ بالاسلام وعلمني القرآن وحببني إلى خير البرية خاتم النبيين وسيد المرسلين إحساناً منه إلي وفضلاً منه علي. فقال له رسول الله ﷺ : يا علي لولا أنت لم يعرف المؤمنون بعدي.

مناقب الإمام أمير المؤمنين(٤) للكوفي ج:١ ص:٢٤٩

من شهداء الإرهاب

الشهيد محمد صلاح المالكي
بغداد/ المدائن

الشهيد محمد جمعة عمود
بغداد/ المدائن

الشهيد محمد عبد الرضا دعي
بغداد/ المدائن

الشهيد جاسم محمد الصبيحاوي
بغداد/ المدائن

الشهيد خالد محمود الشمري
بغداد/ المدائن

الشهيد صاحب طرام راضي
بغداد/ المدائن

الشهيد خلف جودة الاسدي
بغداد/ المدائن

الشهيد رياض فلحي جبار
بغداد/ المدائن

الشهيد رعد مهدي عتيبي
بغداد/ المدائن

الشهيد كاظم حسون علي
بغداد/ المدائن

الشهيد قاسم محمد العبودي
بغداد/ المدائن

الشهيد قحطان خضير الفكيكي
بغداد/ المدائن

مسابقة العدد

١ ابن بابويه القمي أبو جعفر محمد ابن علي بن الحسين الصدوق، أحد علمائنا الأعلام الذين أرسوا قواعداً للمرجعية الدينية، كم المدة الزمنية التي استمرت خلالها زعامته؟

أ ـ ١٣ سنة

ب ـ ٣٢ سنة

ج ـ ٤٠ سنة

٢ يحيى بن زيد بن علي، طارده بنو أمية فما نزل بلداً إلا وتبعوه، حتى نزل الجوزجان، فالتحق به من أهلها خمسمائة رجل واشتد القتال مع بني أمية حتى استشهد، فكم كان عمره حينذاك؟

أ ـ ١٨ سنة

ب ـ ١٩ سنة

ج ـ ٢٠ سنة

٣ السيد نصر الله الفائزي الحائري الشهير بالمدرس في الحضرة الحسينية، عالم فقيه، وشاعر خطيب، أحضر إلى القسطنطينية أيام السلطان محمود الأول فقتله صبراً وكان له من العمر خمسون سنة، ففي أي سنة قتل؟

أ ـ ١١٥٥ هـ

ب ـ ١١٥٦ هـ

ج ـ ١١٦٥ هـ

٤ لما حدثت واقعة حنين انهزم المسلمون في بداية الأمر فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا نفر قليل، فلما حمي الوطيس نادى:
(أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب). فما كان بأسرع أن ولى القوم على أدبارهم ونزل النصر، فكم شخص ثبت مع النبي صلى الله عليه وآله؟

أ ـ ثمانية أشخاص

ب ـ تسعة أشخاص

ج ـ عشرة أشخاص

كوبون المسابقة

ينابيع

العدد (١٢) جمادى١ ـ جمادى٢ ١٤٢٧هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ شبّه رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام بسورة من سور القرآن الكريم، فقال: علي في هذه الأمة مثل... في القرآن. فأي سورة قصد؟

أ ـ سورة الفاتحة

ب ـ سورة يس

ج ـ سورة التوحيد

٦ شاعر حسيني له قصائد تدعى بالحوليات في رثاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، قرئ شعره على طه حسين فقال: هذا الشعر الذي يطرب حقاً، فمن يكون؟

أ ـ السيد حيدر الحلي

ب ـ صفي الدين الحلي

ج ـ السيد محمد سعيد الحبوبي

٧ (**فاطمة من المهد إلى اللحد**) كتاب يبحث بشكل متسلسل حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كما يستعرض مواقفها ومصائبها، فمن المؤلف؟

أ ـ جعفر مرتضى العاملي

ب ـ باقر شريف القرشي

ج ـ محمد كاظم القزويني

٨ **فلما تنازعنا المقال قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع**

بيت أنشده الإمام الهادي عليه السلام في مجلس المتوكل العباسي. فلمن هذا البيت؟

أ ـ علي بن طباطبا الحسني

ب ـ علي بن محمد الحماني

ج ـ عيسى بن زيد العلوي

٩ لما جهّز رسول الله صلى الله عليه وآله جيش مؤتة جعل على ذلك الجيش ثلاث أمراء، فمن كان أولهم؟

أ ـ جعفر بن أبي طالب

ب ـ زيد بن حارثة

ج ـ عبد الله بن رواحة

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/شعبان/١٤٢٧هـ.**